الفيصل

مجلة ثقافية - العدد ٢٧٦ - جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ - سبتمبر / اكتوبر ١٩٩٩م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 276 - SEP./OCT. 1999



في جميـع مســاعيـهــا

حرصت الفيصلية على تكريس جل جهودها وإمكاناتها لتحقيق هدف واحد. هو كيفية تطوير سبل الحياة في شتى ميادينها والإرتقاء بها إلى أفضل المستويات. ولتحقيق هذا الهدف فقد أقامت الفيصلية شراكات راسخة مع بعض من أشهر الماركات التجارية في العالم.

ففي منازلنا نجد سوني SONY قد ساعدتنا في تعزيز أسلوب حياتنا اليومية على نحو أكثر متعة وإثارة. بينما نجد ميجاستار أكبر شركات الموسيقى في الشرق الأوسط قد منحتنا البهجة والسعادة بما تقدمه لنا من فنون أصيلة وموسيقى راقية. أما في مكاتبنا ومدارسنا ومنازلنا. فنجد أن hp HEWLETT PACKARD تواصل باستمرار تقدمها لتحقيق التميُّز النوعي في مجال أتمتة المكاتب. والتعليم والثقافة والمعرفة. والإستفادة القصوى من تقنية المعلومات بواسطة الكمبيوتر. كما نجد أن مئات الآلاف من الأسر في كافة أرجاء المملكة العربية السعودية تفضل حليب ومنتجات الصافي AL SAFI الطبيعية التي توفرها لهم أكبر وأضخم مزرعة ألبان متكاملة في العالم. وفي محلات السوبرماركت والزهور نمدكم بأرقى أنواع الورود والزهور الطبيعية والخضروات الطازجة التي يتم زراعتها بواسطة مؤسسة الفيصلية الزراعية. وفي مجال وقود السيارات نجد شركة Ethyl الرائدة عالمياً في صناعة المواد الكيميائية تقوم بانتاج المواد المضافة ذات الجودة العالية التي يتم استخدامها في تحسين وقود السيارات. كما نجد أن المستشفيات والمستوصفات الطبية تعتمد بدرجة كبيرة على كفاءة أجهزة TOSHIBA Medical Systems الطبية في أغراض التشخيص وغيرها من الأمور الطبية. فمن أجهزة التسلية وأنظمة الكمبيوتر والصناعات الكيميائية إلى منتجات الألبان الطازجة والخضروات والزهور الطبيعية. كرسنا جهودنا وسخرنا إمكاناتنا لنحقق التميُّز والهدف المنشود.

مجموعة الفيصلية
Al Faisaliah Group

شارع العلياء العام - مركز النمر التجاري. ص. ب ١٦٤٦٠ الرياض ١١٤٦٤ المملكة العربية السعودية - هاتف: ٤٦١٠٠٧٧ - فاكس: ٤٦٤٠٤٩٨

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - السنة ٢٣ - العدد ٢٧٦ - جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ - سبتمبر/ أكتوبر ١٩٩٩م

ALFAISAL MAGAZINE - No276 - Sep./Oct. 1999



عمان بصمات الماضي تزين الحاضر

شهد تاريخ عمان كثيراً من الحضارات المتعاقبة التي لكل منها شواهدها وبصماتها الدالة عليها، وقد كان موقع عمان المتميز سبباً في دفع القوى الأوربية إلى محاولة السيطرة عليها، واليوم تتعانق الآثار القديمة مع الإنجازات الحضارية الحديثة موجدةً واقعاً متميزاً.



كفى بالحرب واعظاً!!

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى ظنها الجميع حرباً قصيرة، بل ابتهج بعض الناس بقدومها، فهتف الألمان: إلى باريس، ورقص الناس في شوارع باريس هاتفين: إلى برلين، وكان ظن البريطانيين أنها لن تدوم أكثر من ١٢ يوماً، وعلى الرغم من ويلات هذه الحرب كانت الحرب العالمية الثانية بعد عشرين عاماً، فإلى متى يظل الإنسان مولعاً بالحرب؟!



البيزرة عند العرب

كان علم البيزرة - وهو علم أحوال الطيور الجارحة - مزدهراً عند العرب، وقد جعلوه علماً يدرس، وفي ظل الإسلام اهتم الخلفاء وأمراء المؤمنين اهتماماً كبيراً بهذا العلم، وبرز فيه بعضهم، وكان بعضهم يهدي البزاة والصقور والشواهين لمن أراد جلب السرور إلى نفسه، وهناك كتب كثيرة ألفت في هذا العلم، وسجل الفنانون والمصورون صور ملوكهم وسلاطينهم وقد حمل كل منهم الباز أو الصقر أو الشاهين في يده.



لغز الماء في الأندلس

كان العرب على دراية وخبرة عظيمتين بتقنية مسار المياه الجوفية، وقد طوروا هذه التقنية في الأندلس التي اهتم أهلها أيضاً بمياه الأمطار وحفظها.

واستخدم الماء في تزيين القصور بنوافير بها نباتات وتماثيل لحيوانات يخرج الماء من أفواهها بهندسة مائية باهرة، حتى أصبح الماء في القصور الأندلسية عنصراً معمارياً لا غنى عنه.

المحتويات



كيف تعرف أن طفلك لا يرى جيداً؟

يتمكن الطفل في الشهر الثاني من النظر إلى النور، ويتمكن من معرفة الأشياء المحيطة به بعد ولادته ببضعة أشهر، ولكن هناك علامات تدل على ضعف نظر الطفل يجب على الأبوين أن ينتبها لها مبكراً فما تلك العلامات؟



الحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي في إفريقية

تضم القارة الإفريقية كنوزاً من المخطوطات الإسلامية النادرة التي تعكف عليها مراكز علمية متخصصة تتولى حفظها وتحقيقها، فما أهم تلك المراكز؟ وفي أي بلد توجد؟



آثار في الذاكرة والمكان

توجد شواهد معمارية في العالم عدّها الإنسان من عجائب الدنيا، لما تميزت به من دقة الهندسة، وعظمة البناء، وقد تختلف الآراء حول تلك العجائب، فبعضها ينتمي إلى العالم القديم، وبعضها الآخر حديث نسبياً، فما هي تلك العجائب؟



نظرات في التقاويم عبر العصور

اجتهد الإنسان كثيراً في وضع نظام زمني ينظم حياته، حتى يعرف وقت عمله ووقت راحته، وكان في روما في عصور ما قبل الميلاد منادٍ ينادي الناس يوم السوق، وينادي بداية الشهر ومنتصفه ونهايته، وكذلك أيام العبادة والراحة الأسبوعية، واتخذ بعضهم دورة القمر أساساً لعد الأيام والسنوات، ومنهم من قام بدراسة الشمس، ووضع تقويماً يعتمد عليها.

وحاولت الثورتان الفرنسية والروسية وضع تقويم خاص، إلا أنهما أخفقتا في هذه المحاولة.



أهمية الماء والغذاء في حياة الإنسان النفسية

يتصل كثير من الاضطرابات النفسية التي تصيب الإنسان مثل فقدان

الفيصل

الناشر: دار الفيصل الثقافية

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

السعر الإفرادي:

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيه ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠-٠٢٥٨

مطابع نجد

هاتف: ٤٤٨٨٠٢٤

التغيير ضرورة والموضوعية مطلب

أسعدتنا الحلّةُ الجديدة التي خرجت بها «الفيصل» مؤخرًا بعد توليكم رئاسة تحريرها.

تسرعتُ في الحكم عليها ـ كما فعل غيري ـ في بداية الأمر، حين أُعيد تبويب المجلة؛ لكني مع مواصلتي في متابعتها ألفيتني أخرج بنتيجة غير التي خرجت بها في انطباعي الأول عنها.

لعل تتابع الأعداد من المجلة على نهجها الجديد بدأ يوضّح للقارئ صحة ما ذهبتم إليه، وضرورة إحداث تغيير عام للهيكل الأساسي للمجلة، وخصوصًا مع اقترابنا من الألفية الثالثة التي يتطلب منا أن نتهيأ لها ونعدّ العدة؛ لنتمكن من اقتحامها بكل جدارة وثقة، والتعامل معها كما تقتضيه ظروفها وأحداثها، والتفاعل معها حسب ما تمليه علينا معطياتها، لا أن تقتحمنا هي اقتحامًا يجعل منّا عالة على الثقافة العالمية والمجتمع الدولي بأسره.

أرى أنه من الأقوم أن يتفهم الأحبة القراء الوضع الجديد للعالم؛ فيتبينوا المسيرة التي تبنتها «الفيصل»؛ ثم يراعوا في حكمهم عليها وتقويمهم المفاهيم التي طرأت على الساحة الثقافية، ليستتب لهم التأمل والتأني والروية في إصدارهم حكمًا عليها، ولئلا يكون لعواطفهم تحكم في انفعالاتهم وآرائهم تجاه ما يريدون أن يصلحوا من شأنه؛ فيكون نبذهم للحديث نابعًا من أنّه حب للتليد!!

هذا.. وإن لي طلبًا أتقدم به إليكم، عسى الفرج القريب بين يديكم...

ألا وهو: إرسال العدد الذي أضاف الدكتور حسن ظاظا ـ رحمه الله ـ في (باب منتدى الفيصل)؛ حيث إنني لم أتمكن من الحصول عليه حتى الآن.

ولقد نبع بداخلي الاهتمامُ بهذا اللقاء لعلمي بما يحتله الدكتور حسن ظاظا في الفكر العربي الحديث من مكانة راسخة وسعة أفق في نظرته للأمور. وخصوصًا ما يتعلق بالفكر الصهيوني فيها. لكم تحياتي، وأمنياتي الخالصة.

إبراهيم بن حافظ المولوي

مكة المكرمة ـ قوز النكاسة ـ بقالة محمد عواض العتيبي

التحرير:

نحيي فيك هذه الروح الطيبة، واعترافك بالرجوع عن حكمك الأول على خطوات التجديد في المجلة، وما يهمنا في المقام الأول النقد البناء مهما كان مختلفًا مع توجه المجلة، لأن من يصم آذانه عن آراء الآخرين يحكم على نفسه بالجمود، ونحن يهمنا أن تظل المجلة محتفظة بحيويتها وتجددها من خلال آراء الإخوة القراء التي نحترمها تمامًا.

لماذا التغيير؟

نرفع إليكم هذه الشكوى في رسالتنا هذه التي ليست الأولى، بل كتبنا إليكم مرارًا بخصوص توزيع المجلة في اليمن، فالمجلة لا تصل إلينا إلا نادرًا، ولم نعرف السبب، في البداية أخبرونا أن التوزيع في اليمن قد توقف، ولكن فوجئنا بأحد الأعداد يوزع (العدد ٢٦٩، ذو القعدة ١٤١٩هـ)، وعند الاطلاع عليه وجدنا أسلوب المجلة قد تغير، ولم نكن نعلم ذلك، لأن آخر عدد وصل إلينا كان هو العدد ٢٤٢ الصادر في شعبان ١٤١٧هـ، ثم اختفت المجلة من دون أن نعرف الأسباب، وكتبنا إليكم أكثر من رسالة، ولكن من دون جدوى.

الأخ رئيس التحرير لنا منكم رجاء وهو تلبية طلباتنا المتمثلة في:

أولاً: العمل على حل مشكلة التوزيع هنا في اليمن بحيث تصل المجلة إلى معظم المحافظات، ولا ينحصر التوزيع في العاصمة ـ صنعاء، وذلك بزيادة الكمية المرسلة إلى اليمن، أو التعاقد مع شركة توزيع تخدم القراء الحريصين على قراءة المجلة.

ثانيًا: إعادة الأبواب التي تم حذفها ومنها مثلاً (مناقشات وتعليقات ـ قصة قصيرة ـ دائرة المعارف ـ الحركة الثقافية في شهر ـ ردود خاصة..)

فالمجلة بأسلوبها الجديد (العدد ٢٦٩) ليست بالمستوى القديم حقيقة، ثم لماذا التغيير مادام مستوى المجلة ممتازًا وراقيًا؟؟! وإذا لم تكونوا على قناعة فعليكم بعمل استبيان وتوزيعه على القراء وسوف ترون النتيجة.

ثالثًا: لنا أمنية لم تتحقق ـ على الرغم من الكتابة إليكم، ثم الكتابة إلى بعض الإخوة القراء الذين نشروا عناوينهم في المجلة في باب «ردود خاصة، عمود بين القارئ والقارئ» ـ وهذه الأمنية التي لم تتحقق هي الحصول على العدد (٢١٨)، الذي اشتمل على ملف عن اللغة العربية، وكذا القائمة الببليوجرافية التي أهديت إلى القراء مع العدد نفسه، فكلنا أمل أن تحققوا أمنيتنا في الحصول على ذلك العدد.

في الختام نرجو أن تتقبلوا رسالتنا هذه بصدور رحبة، وجزاكم الله خيرًا على ما تبذلونه في سبيل رفع مستوى القارئ العربي في كل مكان.

قراء مجلة الفيصل في البيضاء

عنهم/ الهُصيصي ـ أحمد الرهينة ـ علي السيّد

ص.ب ٣٨٠٤١ ـ البيضاء ـ اليمن

التحرير:

شكرًا للإخوة القراء في اليمن على هذه الرسالة الرقيقة على ما فيها من نقد، ولكننا نرى أن آراء القراء من وسائلنا في دعم خطا التجديد.

أما مشكلة التوزيع في اليمن فقد تم تلافيها مؤخرًا وذلك بالتعاون مع واحدة من كبريات الشركات اليمنية المتخصصة في توزيع الصحف والمجلات.

وبخصوص الأبواب المشار إليها، فإنكم ستجدون تجديدًا في الأبواب القديمة التي عاد بعضها، تحقيقًا لرغبة كثير من القراء، وسوف يصل إليكم العدد الأمنية، آملين لكم دوام التوفيق إن شاء الله.

مناشدة

هذه هي المرة الأولى التي أراسل فيها مجلتكم ومجلتنا الرائدة (الفيصل)، ويسرني أن أبعث لكم تمنياتي وأشواقي لكم بدوام التقدم والازدهار.

أشكو لكم قلة أعداد المجلة التي ترسل إلى محافظة السويداء، ولا أجد في مدينتي السويداء سوى مكتبة واحدة تصل إليها أعداد قليلة يحجزها صاحب المكتبة لأشخاص محددين بشكل دائم مما يجعل القارئ يسافر إلى العاصمة دمشق حتى يحصل عليها.

لذلك أناشدكم توفير الأعداد في المدينة، حتى لا يحرم منها

القـراء أو (إذا أمكـن) إرسـال المجـلة إلى عنوانـي، علمـًا بأنني مـن قـراء المجلة الدائمين. أرجو ألا يخيب أملي، ولكم جزيل الشكر

نسيم صالح عبيد
حي الفرسان - مدينة السويداء - سورية

التحرير:

سوف يتم النظر في هذه الشكوى، وبحث زيادة الكمية المرسلة إلى الشقيقة سورية، ويمكن للقراء الحريصين على اقتناء المجلة شهرياً الاشتراك السنوي حتى يتيسر لهم الحصول على المجلة، وقيمة الاشتراك موضحة في الصفحة الثالثة.

الرشيد لا المأمون

نقرأ باهتمام المجلة الغراء (الفيصل) ويهمنا أن تكون رائدة المجلات العربية، ومن المحبة أن نعقّب على ما يرد فيها من أخطاء - إن وجدت - من هنا نقول انه لدى قراءتنا لعدد (٢٦٤) وضمن استراحة العدد ورد أن المأمون دخل على ابنه هارون وهو يقرأ في كتاب جيد، والصواب أن الرشيد هو من دخل على المأمون وهو ينظر في كتاب فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب يشحذ الفكرة ويحسن العشرة، فقال الرشيد: أحمد الله الذي رزقني من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه(١).

إذاً فالمأمون هو ولد هارون الرشيد لا العكس، وقد كان الرشيد يتوسم فيه النجابة والرجاحة، ويقول: والله إن فيه حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة نفس الهادي، ولو شئت أن أقول الرابعة لقلت(٢).

أما من طلب خمساً فوجدها في خمس فهو شقيق (بالقاف لا بالفاء) البلخي وهو أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي (توفي ١٩٤هـ/٨١٠م) من مشايخ خراسان، كان أستاذ حاتم الأصم(٣). ولكم الشكر.

فاروق شاهر النفوري
النبك - ص.ب ١١٣- سورية

المراجع:

١- زهر الآداب وثمر الألباب للقيرواني ص١٤٢. ٢- مروج الذهب للمسعودي ٣/٣٦٢.
٣- الرسالة القشيرية للقشيري: ٣٩٧.

التوزيع في موريتانيا

تحية طيبة محملة بالشوق والمحبة مفعمة بالحنين والمودة إلى الأخوة القائمين على هذه المجلة الرائعة.

وأشكر لكم هذا العمل الممتاز وأرجو الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.

وبعد: إخوتي لقد كنت أسمع كثيراً عن مجلة الفيصل لكني لم أفلح في العثور عليها في أكشاك الصحف والمكتبات هنا في موريتانيا إلى أن جاءت المصادفة التي يقولون إنها خير من ألف ميعاد، وأهدى إلي صديق قادم من المملكة العربية السعودية عدداً منها، وبالذات العدد رقم ٢٧٣. وفي الحقيقة وجدتها فوق ما كنت أسمع عنها بكثير لكنني لا أعرف الطريقة التي تمكنني من الحصول عليها ولذلك كتبت إليكم لعلكم ترشدونني إلى الطريقة المثلى لذلك؟

أرجو منكم أن ترسلوا لي أعداداً منها وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. جزاكم الله خيراً،،

أبي ولد أحمد طالب الشنقيطي EBI OLAHMED TALEB
ص.ب ٤٨٠١ - نواكشوط - الجمهورية الإسلامية الموريتانية

التحرير:

سوف ترسل إليك الأعداد والإصدارات التي طلبتها، مع قسيمة اشتراك في الفيصل، ونود الإشارة إلى أنه سوف يتم التعاقد قريباً مع أحد الموزعين في موريتانيا، حتى تصل المجلة إلى قرائها في هذا البلد العربي الشقيق.

ردود سريعة

الأخ محمد علي الموسى - حلب - سورية:

لا يتوافر لدينا العنوان الذي طلبته، وما قدمته لك المجلة ليس إلا شيئاً متواضعاً، وكنا نأمل لو نستطيع تقديم أكثر من ذلك.

الأخ منزار محمد بالحاج - أغادير - المغرب:

نشكر لك هذا الاهتمام الواضح بالتواصل مع مجلتك «الفيصل»، ونحن ندعو لك ولجميع الاخوة الذين لا نستطيع تلبية طلباتهم بالخير، كما تشير في خطابك، ونأسف إذا كان مجال الاستجابة لكثير من الطلبات محدوداً، لأنها خارجة عن اهتمامات المجلة وقدراتها، وإن كنا نشكر لأصحابها حسن الظن بمجلتهم.

الأخ سليم رضوان بو عبيد - عين طابية - الجزائر:

سوف تصل إليك بعض أعداد الفيصل، واهتمامنا بالرد على الإخوة القراء نابع من تقديرنا لهم، ولأنهم المرآة التي ترى فيها المجلة نفسها.

الأخ جمال عبدالله - تونس:

سوف ترسل إليك الأعداد التي أشرت إلى أنها نفدت من السوق التونسية قبل أن تحصل عليها، حتى تكتمل مكتبتك، ونشكر لك هذا الاهتمام باقتناء المجلة، ونأمل أن نتلقى مشاركاتك في القريب إن شاء الله.

الأخ العروسي مفتاح عبدالقادر - ولاية جلفة - الجزائر:

نشكر لك التحية الأخوية التي بعثت بها إلى المجلة، ونأمل أن تكون عند حسن ظن القراء في كل مكان، ويسرنا تلقي ملاحظاتهم.

الأخت كريمة محمد نور ناصر - دمشق - سورية:

شكواك من عدم وصول الإصدارات التي فزت بها في مسابقة «الفيصل» أحيلت إلى القسم المختص، وتأكدي أن جائزتك ستصل إليك إن شاء الله، ونشكر لك هذا الحرص على اقتناء إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

البيزرة عند العرب

إبراهيم بن عبدالرحمن الهدلق

لقد كان للصيد عند العرب في جاهليّتهم مكانةٌ مهمةٌ، ويبدو أن الاهتمام به قد فرضته الحاجة الاقتصادية، ثم لم يلبث أن تطوّر إلى متعةٍ عند من يجدون الكفاية في المعيشة.



الطير والحبارى «مواجهة» بريشة الأمير خالد الفيصل

ولم يكن الصيد عند عرب الجاهلية وسيلةً من وسائل الرّزق فحسب، وإنما كان متعةً من متع النفس، وضربًا من ضروب الحرب في أيام السلم، وهم أشد ما يكونون حاجة إلى الرزق والمتعة والتدرب الدائم على القتال.

ولما جاء الإسلام برسالته الشاملة لشؤون العقيدة والحياة، وأخذ العرب يبنون حياتهم الجديدة على أسسه وتعاليمه، ويحكمون شريعته في جميع ما يأتون وما



يذرون، لم يكن بدعًا أن يسألوا الرسول صلوات الله عليه عن حلّ الصيد وحرمته، وأن يقفوا على رأي الإسلام في هذا الأمر الحيوي المهم، وهم الذين جعلوا يتحرجون من كل ما كان في الجاهلية خشية أن يكون للإسلام منه موقف آخر غير ما ألفوه وما تعاملوا به. فقد رُوي أن زيد الخير وعدي بن حاتم سألا النبي صلوات الله عليه، فقالا: «إنا نصيد بالكلاب والبزاة وقد حرم الله تعالى الميتة فماذا يحل لنا منها»، فنزل قوله تعالى: يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطّيّبات وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلمونهنّ مما علّمكم الله، فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب. المائدة: ٥.

سلطانية - إيران - القرن السادس الهجري. تحت تصميم طائر رابض على فرع ومملوء بتزجيجات ذات ألوان مختلفة ويرجح أن يكون الطائر بازيًا

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وسميت هذه الحيوانات التي يصطاد بهن (جوارح) من الجرح، وهو الكسب كما تقول العرب: فلان جرح أهله ، أي أكسبهم خيرًا، ويقولون: فلان لاجارح له ، أي لا كاسب له، وقال تعالى: ويعلم ماجرحتم بالنهار، أي ما كسبتم من خير وشر.

كيف بدأت البيزرة؟ وأين ؟ ومن هو أول مربٍّ للصقور؟ ظلت هذه الأسئلة محلاً للاجتهاد والرواية، وقد تناولها كثير من المؤلفات العربية القديمة، بوصفها قضايا شائقة يهتم بها عدد من الناس. ولعل من الثابت تاريخيًا أن العرب كانوا أول من اهتم بتربية الصقور وتدريبها، وذلك حتى قبل بعثة النبي محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، حيث أجمع الباحثون في البيزرة على أن أول من صاد بالصقر وضرّاه هو الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة، وأما الفرس فهم أول من ضرى البزاة، والروم أول من اصطاد بالشاهين والعقاب، والعرب أول من ضرى الصقور وصاد بها، وفي ذلك يقول الجاحظ: «إن الباز أعجمي، والصقر عربي».

وقد اهتمت الشعوب القديمة بالصيد وخاصة الصيد بالطيور، فكانت الصقور والبزاة هي أدواتهم



إبريق تغمره زخارف حيوانية
وجوارح ونقوش نباتية

في صيد الجوارح، وهناك الحديث المشهور الذي يروي قصة إسلام عم النبي صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب (٥٤ ق هـ - ٣هـ/٥٥٦ - ٦٢٥) وأنه رضي الله عنه عندما عاد من رحلة الصيد كان صقره بيمينه، فهذا شاهد على اهتمام العرب بتربية الصقور والصيد.

تعريف البيزرة

البيزرة: علم أحوال الطيور الجارحة، كما أن البيطرة علم الحيوان. والكلمة معربة، وهي من قولهم «بيزار» معرّب من الفارسية، و«بازدار» و«بازيار» أي حامل البازي وصاحبه، والجمع «بيازرة» كما في (اللسان) و (التاج)، قال الكميت:

كأنّ سوابقها في الغبار
صقورٌ تُعارض بيزارها

ويرى الدَّميري في كتابه «حياة الحيوان الكبرى» أن الكلمة عربية الأصل، فالبيزرة مأخوذة من البازي أو الباز: وهو مذكر لا اختلاف فيه، ويقال في التثنية «بازيان»، وفي الجمع «بُزاة» كـ«قاضيان» و«قضاة»، ولفظه مشتق من البزوان، وهو الوثب، وأفصح لغاته «بازي» مخففة الياء.

ويمكن تعريف البيزرة أيضًا بأنها العلم الذي يبحث في أحوال الجوارح من حيث حفظ صحتها وإزالة مرضها ومعرفة العلامات الدالة على قوتها في الصيد وضعفها فيه.

والبيزرة يضرب بها المثل في نهاية الشرف، وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا ما اعتز ذو علم بعلم
فعلم الفقه أولى باعتزاز
وكم طيبٍ يفوح ولا كمسكٍ
وكم طَيرٍ يطير ولا كباز

ويكفي البيزرة شرفًا أن بعضًا من رجال العلم قد تشبهوا بالباز، فهذا أحدهم يقول:

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها
طربًا وفي العلياء باز أشهب

تاريخ البيزرة عند العرب والمسلمين

كان علم البيزرة مزدهراً معروفًا أيام عز العرب ورقيّ مدنيتهم، حيث جعلوه علمًا يدرس كالطب للإنسان، والبيطرة



مبخرة من الجزيرة العربية محلاة بزخارف نباتية منقوشة ومخرمة يتوجها طائر ناشر جناحيه

للحيوان. وقد بلغت عناية المسلمين بهذا الفن الجميل حداً كبيراً حتى برع فيه وأولع به كثيرٌ من الخلفاء وأمراء المؤمنين المشهود لهم بالورع والتقوى. فقد كان أبو جعفر المنصور (٩٥ - ١٥٨م/ ٧١٤ - ٧٧٥م) من الخلفاء الذين يعدّون في فن البيزرة قدوة يُحتذى بهم، وكذلك كان الخليفة المهدي (١٢٧-١٦٩هـ / ٧٤٤-٧٨٥م) مشغوفًا بالصيد، وهو المعروف بالحذر والتحفظ، والبعد عن التبذل. وحذا حذوه معظم خلفاء الدولة العباسية، فقد كان هارون الرشيد (١٤٩-١٩٣هـ / ٧٦٦-٨٠٩م) يرتاح لرياضة البيزرة، وكان الملوك والأمراء يهدون البزاة والصقور والشواهين لمن أرادوا جلب السرور إلى نفسه، أو طلباً للقرب منه والتودد إليه.

ولم يقف ولع خلفاء الدولة العباسية بالبزاة والبيزرة عند حد الإهداء فحسب، بل خصصوا لها النفقات والرواتب الثابتة، كما أُلفت فيها الكتب والرسائل، واهتم خلفاء الدولة الفاطمية في مصر بعلم البيزرة، وجعلوه علماً يدرس، له قواعده وأصوله، كما صنفت فيه الكتب والرسائل.

وبعد استيلاء المغول على العراق وإيران، لم تفقد رياضة البيزرة وفنونها مكانتها، بل أقبل عليها الأمراء إقبالاً منقطع النظير، يدل على ذلك ما سجله الرحالة المشهور ماركو بولو (١٢٥٤-١٣٢٤م) عند زيارته الخاقان المغولي قوبلاي (١٢١٥-١٢٩٤م) في سنة ١٢٩٠م ، فذكر أن الخاقان حرص على أن يري ماركو بولو البزاة التي يمتلكها . ولما سأل ماركو بولو أمراء أسرة قوبلاي وأولاده ما لذة الحياة عندهم ؟ أجابوا جميعًا: «في الصيد وتطيير البزاة».

وكان الصيد والبيزرة في بلاد الشام في المقام الأول بالنسبة إلى فنون الرياضة الأخرى، وفي العصر المملوكي ثابر السلاطين في مصر والشام على الاهتمام بالبيزرة، حتى جعلوا وظيفة «البازيار» من الوظائف الكبرى في الدولة التي يتولاها كبار الأمراء، ومن فرط عنايتهم بالبيزرة كان سلاطينهم يخرجون لزيارة مطعم الطير، ويأمرون بأن تطعم طيور الصيد بحضرتهم، كما تسموا بأسمائها مثل «سنقر ، آق سنقر» أي الصقر الأشهب.

ولم يقتصر الشغف بالبيزرة عند المسلمين على الملوك والأمراء، بل تعداه إلى الفنانين والمصورين الذين سجلوا صور ملوكهم وسلاطينهم وقد حمل كل منهم الباز أو الصقر أو الشاهين في يده.

وحفلت المخطوطات الأدبية والدينية أيضًا بالكثير من الصور التي حرص المصور على رسم طيور الصيد فيها، ومن أهم هذه المخطوطات «كليلة ودمنة» لابن المقفع، و«مقامات الحريري»، وكتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني، و«دمعة الباكي» لابن

فضل الله العمري، وكتاب «الشاهنامة» للفردوسي. أما الكتب الدينية التي استهوت المصورين فكثيرة نذكر منها كتاب «جامع التواريخ »الذي ألفه الوزير رشيد الدين، وقد حوى كثيرًا من صور ملوك المغول وسلاطينهم، وحرص المصور في معظمها على أن يحمل السلطان أو الأمير على يده بازًا أو صقرًا أو شاهينًا كناية عن أن السلطان صياد، ولما تدل عليه هذه الرياضة من صفات الشجاعة والبطولة والشرف، وكذا كتاب «الآثار الباقية للبيروني». ولم تقتصر رسوم مناظر البيزرة وصورها وطيور الصيد وحيواناته على صدور المخطوطات فحسب، بل تناولتها الفنون الزخرفية الأخرى، فقد رسمت ونقشت وحفرت على الخشب كما نسجت في البسط والسجاد.

مؤلفات البيزرة العربية

وفي مجال التأليف في علم البيزرة نلحظ بروز ثلاثة اتجاهات رئيسة.

الاتجاه الأول : الاتجاه اللغوي وهو أقدم الاتجاهات، وأعني ما كتبه علماء اللغة من مؤلفات في الطيور والجوارح حين كانوا يسجلون معاجم صغيرة لكل موضوع ككتبهم في الإبل والخيل والنبات وغير ذلك، فمن كتبهم: «كتاب البازي» و«كتاب الحمام» و«كتاب العقاب» لأبي عبيدة معمر بن المثنى (١١٠-٢٠٩هـ / ٧٢٨-٨٢٤م)، و«كتاب الطير للسجستاني» (١٧٢-٢٥٥هـ /٧٨٨- ٨٦٩م) و«كتاب الوحوش» للأصمعي (١٢٢-٢١٦هـ/٧٤٠-٨٣١م).

والاتجاه الثاني: اتجاه فقهي يعالج الصيد من الزاوية الفقهية مثل «الصيد والذبائح» لمحمد بن الحسن (١٥٠-٢٠٤ هـ / ٧٦٧-٨٢٠م)، وآخر مماثل للشافعي، وأضحى هذا النوع من الكتب فصلاً في الكتب الفقهية.



طبلة البازي: كان البيازرة يستخدمون طبولاً من هذا النوع غالبًا لاستنفار الجوارح. ترجع هذه الطبلة إلى القرن التاسع الهجري «الخامس عشر الميلادي»

والاتجاه الثالث : اتجاه يمثل تطور هواية الصيد إلى علم يدعى البيزرة، وثمة ما يقوي الترجيح بأن هذا النوع من التأليف بدأ في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي.

أما المؤلفون في هذا الاتجاه فكان معظمهم من البيازرة العرب، وفيما يلي لمحة عنهم، وعن مؤلفاتهم:

ـ الغطريف بن قدامة الغساني (القرن الثاني): أستاذ حاذقٌ عالمٌ بأمور الضواري في زمن الرشيد، وقبل ذلك في زمن هشام والوليد ابني عبد الملك، ونقل عنه المسعودي في «مروج الذهب»، ذكر أول من ضرى البازي، وأول من لعب بالشواهين، وأول من لعب بالصقور، وأول من لعب بالعقبان. أما كتابه فيحمل اسم «الغطريف» نفسه، وظل مصدرًا مهمًا معتمدًا على مر الزمن، وقد ترجم من العربية إلى اللاتينية، ومن اللاتينية إلى الفرنسية ، ويدل كتاب «الغطريف» على أن الطائر المفضل من بين الجوارح هو الباشق، وأنه أودع كتابه مجموعة من طرق العلاج ومن النصائح العلمية، وهو في خمسة وسبعين فصلاً.

ـ الحجاج بن خيثم، أو الحجاج بن خيثمة (القرن الثاني الهجري)، كما ورد اسمه في كتاب «منافع الطير» أو «كتاب الطيور»، ويتحدث الحجاج في هذا الكتاب عن أجناس الطيور ومعالجتها من المرض، ويذكر في أوله:«ألفنا هذا الكتاب بعون الله عز وجل وتوفيقه، وكان أحسنها وأجملها لأمور البزاة والشواهين، وسائر الضواري، والكتاب مائة وخمسون بابًا».

ـ عبد الرحمن بن محمد

البلدي، وكتابه يعرف باسم «الكافي في البيزرة»، وهو من مدينة «بلد» على نهر دجلة شمال الموصل، وعاش في أواخر القرن السادس الهجري، وأوائل السابع، وقد عاصر بيازرة كثيرين.

يقول البلدي إنه ألف كتابه«الكافي» تذكرة لنفسه مدة حياته، وقدوة لغيره بعد وفاته، ولم يذكر أميرًا عمل عنده، ولكنه لا يوصي باتخاذ البيزرة صناعة إلا لمن كان لها في نفسه محبة غالبة ونية طالبة، وأنه لابد لمن يمارسها أن يكون محبًا للجوارح، شفيقًا عليها، راغبًا في سياستها وصيانتها لقلبه، لا لخبزه ومعاشه، وأن يكون مع محبته لها ومعرفته بجيدها من رديئها، وطرق تدبيرها، رحيمًا بها، حليمًا عنها.

وفي كتابه ما يدل على خبرته وتجربته في البيزرة، والكتاب له أربعة أقسام كل قسم منها يحوي أربعة أبواب يتحدث فيها عن أصناف الجوارح وألوانها ومعرفة الجيد من الرديء منها، ورياضتها، وسياستها وتعليمها، ومداواة أمراضها وعوارضها وآفاتها.

ومن مؤلفات البيزرة كتاب «الجوارح» لمحمد بن عبد الله بن عمر البازيار المعروف بـ «عرجه» (عاش في القرن الثالث)، وكتاب «البزارة للفرس» لمؤلفه عبد الله بن محمد بن يوسف البازيار الأصفهاني (عاش في القرن الثالث)، كما يقول النديم، وكتاب «البيزرة في مهد هارون الرشيد» لمؤلفه إبراهيم البصري (عاش في عهد هارون الرشيد)، وكتاب «الفتح بن خاقان» (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠ م) المسمى «الصيد والجوارح» وكتاب «الطرد» لمؤلفه أحمد بن أبي طاهر طيفور، وكتاب «الجوارح والصيد» لأحمد الطيب السرخسي (ت٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، وكتاب «الجوارح والصيد» لابن المعتز (٢٤٧-٢٩٦هـ / ٨٦١-٩٠٨م)، وكتاب «الصيد للخالديين» (القرن الرابع الهجري) وكتاب «المصايد» لمؤلفه الطبيب عيسى الرقي (القرن الرابع الهجري) من أطباء سيف الدولة الحمداني.

ومن المؤلفات في العصور المتأخرة كتاب «الجمهرة في علوم البيزرة» لعيسى بن حسان الأسدي (ت ٦١١هـ)، وكتاب «البازي» لبدر الدين الخزندار الرماح (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)، وكتاب «القانون الواضح في البيزرة» و«المنصوري في



وعاء عثماني منقوش بوحدات نباتية دقيقة يتوجها طائر يرجح أن يكون بازيًا



صفحة من كتاب مخطوط بعنوان «التمام والكمال في علم الجوارح»
تأليف: الحسين البازيار المصري «٣٨٦هـ»



مخطوط «كتاب الضواري والجوارح» ٦٢٠هـ/١٢٢٣م.

البـيـزرة» وكـتــاب «أنـس الملا بوحش الـفـلا» لمحـمـد بن منـكلي (٧٠٥ – ٧٨٤هـــ / ١٣٠٥ – ١٣٨٤م)، وكتاب «البيزرة» للسان الـديـن بـن الـخـطـيـب (٧١٣ – ٧٧٦هـــ/١٣١٣ – ١٣٧٤م)، و«رسالة في الصـيـد بالجـوارح» لأبي بكر بن الحـسـن القـاسـمي العلـوي (ت ٨٤٧هـ)، و«مـبـاهج السـرور والـرشـاد في الـرمي والسباق والصـيـد والجهـاد» لزين الدين الفاكهي.

وصاغ العرب علم البيزرة شعراً فألف الفحيمي قصيدة في البيزرة، ووضع ابن نباتة أرجوزته الشهيرة «فـوائد السلوك في مـصـايد الملوك»، وقد كانت هذه الأشعار والأراجيز العلمية في غالب الأمر لغرض تعليمي، إذ الشعر أسهل حفظاً للمتعلمين، فإذا أضفنا إلى هذه القائمة من المؤلفات العربية



الطغرل: وهو من الطيور الجوارح وهو أعظمها وأكبرها وأكثرها شراسة

في علم البيـزرة، تلك الفصـول المطولة التي أوردها العلمـــاء الموسـوعـيـون في كـتـبـهم عن الحـيوان مـثل كـتـاب «الحـيوان» للجاحظ، و«عجائب المخلوقات» للقـزويني، و«حـيـاة الحـيـوان الكبـرى» للدمـيـري صـارت لدينا حصيلة طيبة من الإسـهامات العربية في علم البيزرة.

وفيما يخص الأثر العربي في أوربا من نـاحـيـة علم البـيـزرة، فتشير الدراسات المعاصرة في تاريخ العلم إلى أن البيزرة العربية تُرجمت إلى اللغة اللاتينيـة في صـقلية أيام الإمـبراطور فريدريك الثاني «صـديق العـرب» على يد أحـد العلمـاء العـاملين في بلاط الإمـبـراطـور، وهو الفـيلسـوف «ثيودروس» الأنطاكي، وانتشرت تلك التـــراجم في بلدان أوربـا، وكـانت هي الأسـاس الذي اعتـمد عليه الإمبراطور في تأليفه كتابا بعنوان: «الصـــيـــد بـواسطـة الصقور» وهو الكتـاب الذي انتشر في أرجاء أوروبا.

ومن جـــهـــة أخـرى، أخـــذت رياضة الصيد بالطيور تنتشر في البلدان الأوربية المتاخمة لحدود الإسلام، بعدما نشر الأمويون في الأندلس والأغـالبـة في شـمـال إفريقية هذه الرياضة في بلادهم وهكذا أثرت البيـزرة العربيـة في أوربا على صعيد البحث العلمي من جـهـة، والواقـع العـمـلي من الجهة الثانية.

أنواع الجوارح

وتكاد تجمع المراجع التاريخية التي تناولت البيزرة وجوارح طير الصـيد بالبـحث والدراسـة على



كتاب انس الملا بوحش الفلا

تاليف عالم العلامة محمد بن منكلي * منقول عن نسخة ذكر باولها انها من خط المصنف و انه احد مقدمي رجال الحلقة المنصورة نصرهم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد عبد لعطاه معترف * ومن فيض فضل ربه مغترف * واصلي و اسلم على الشرف الفائق سيدنا محمد الرسول المختار * امام المقربين والأبرار * وعلى آله واصحابه سادة الاطهار ماتزل ركب لـم سار اما بعد فانه لما استخرت الله تعالى لتاليف هذا الكتاب المسمى انس الملا بوحش الفلا ضمنته كيفية الصيد وما يحل منه وما يحرم وما يتعلق بذلك جملة وتفصيلا استخرجته من صدف الجواهر * لمطالعة كل وجه زاهر * وفيه فوايد جمة * مخبوة لكل ذي همة * واختصرته ليلا يسيم من طالعه * ويسلم ممن نازعه * ولعل لم يسبقني لهذا التاليف الا سابق * فاكون

1

كتاب «أنس الملا بوحش الفلا» لمحمد بن منكلي منقول من نسخة ذكر بأولها أنها من خط المصنف

تقسيمها خمسة أنواع هي:

ـ «الطغرل» وهو من طيـور الجـوارح، وأعظمـهـا وأكـبـرها وأكثرها شراسة، ويوجد فقط في خـوارزم بكشـمـير وأفغانسـتـان، ويمتـاز بقوة احتـماله، فهـو ينقض عشر مرات.

ـ البـاز، ولـه عـائلة كـبـيـرة يقسمـهـا صاحب كـتـاب «مباهج السرور والرشاد» خـمسـة أقسام هي البــازي والـزراق والبـــاشق والبيدق والعفصي.

والبـازي أحـرها مـزاجًـا، لأنه قليل الصبـر على العطش، ومأواه مساقط الشجـر العـالية الملتفة والظل الظليل، وهو خـــفــيف الجناح، سـريع الطـيران، وفـرخ البازي يسمى غطريفًا.

ويشبه الزراق البازي إلى حد كبير، من حيث الحجم والتركيب الجـســمــانـي، إلا أنه يصطاد



SID MOHAMED EL MANGALI

TRAITÉ

DE VÉNERIE

TRADUIT DE L'ARABE

PAR

FLORIAN PHARAON

AVEC UNE INTRODUCTION

PAR

M. LE MARQUIS G. DE CHERVILLE

Tiré à 500 Exemplaires Numérotés

PARIS

E. DENTU, LIBRAIRE-ÉDITEUR

3, 15, 17 ET 19, GALERIE D'ORLÉANS (PALAIS-ROYAL)

1880

نسخة باللغة الفرنسية لكتاب «أنس الملا بوحش الفلا» لمحـمد بن منكلي، تاريخ الطباعة ١٨٨٠م باريس مما يوضح الأثر العربي الكبير في تطور البيزرة في أوروبا

الحَجَل، ولا يقـدر على صـيـد الكراكي.

والباشق أعجمي معرب، وكنيته «أبو الأخذ»، ويعرف بالباشق في العراق والحجاز، أما في مصر وسورية فيعرف بالشاف، وهو أيضاً حار المزاج، يغلب عليه القلق والزعارة، قوي النَفَس، خفيف المحمل.

أما البيدق فهو بازي صغير الحجم، لايصيد إلا العصافير، وهو قليل الفائدة، قريب في الطبع من العفصي.

ويشبه العفصي الباشق من حيث الشكل، إلا أنه أصغر منه، وهو أصـغـر الجـوارح نفـسًـا، وأضعفها حيلة، وأشدها ذعرًا، وأيبسها مزاجًا، ويصيد العصفور في بعض الأحـيـان، وربما هرب منه.

ـ الشاهين، جمعه شواهين،



شمعدان من القرن الثامن الهجري وقد نقش عليه بيازان راكبان ولاعب بولو يظهر اهتمام وبراعة الفنانين العرب بالبيزرة

وهو أعجمي معرب . والشاهين من جنس الصقر إلا أنه أبرد منه وأيبس مزاجًا ، وحركته في العلو إلى الأسفل شديدة، ولهذا ينقض على صيده انقضاضًا من دون تحويم، وعنده جبن وفتور، وهو مع ذلك شديد الضراوة على الصيد. وربما ضرب الأرض بنفسه فمات، ويقول بعض الناس: إن له من اسمه نصيبًا، فالشاه في الفارسية الملك، فهو لايحتمل أدنى حال من الشبع ولا أيسر حال من الجوع، والمحمود من صفاته أن يكون عظيم الهامة واسع العينين، رحب الصدر ممتلئ الزور، عريض الوسط، جليد الفخذين، قصير الساقين، قليل الريش، رقيق الذنب، يصطاد الكركي وغيره، وهو ثلاثة أنواع شاهين، وقطامي، وأنبقي.

ـ الصقر، تسمي العرب كل طائر يصيد صقرًا ماخلا النسر والعقاب ، وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لأنه أصبر على الشدة، وأحمل لغليظ الغذاء والأذى، وأحسن الفًا، ومزاجه أبرد من كل ما تقدم ذكره من الجوارح، وهو أهدأ من البازي نفسًا وأسرع أنسًا بالناس ، يتغذى بلحوم ذوات الأربع، ولبرد مزاجه لايشرب الماء ولو أقام دهرًا، ولذلك يوصف بالبخر ونتن الفم.

ومن صفاته أنه لا يأوي إلى الأشجار، ولا رؤوس الجبال، إنما يسكن المغارات والكهوف وصدوع الجبال، وأول من صاد به الحارث بن معاوية بن ثور.

ـ الكونج نوع من الصقور، إلا أنه أحرّ منه، ولذلك هو أخف منه جناحًا، وأقل بخرًا، ويصيد السمك، وطيور الماء، ويعجز عن صيد الغزال الصغير.

ـ اليؤيؤ، نوع من الصقور، وهو طائر قصير الذنب، ومزاجه بالنسبة للباشق بارد رطب لأنه أصبر منه نفسًا وأثقل حركة، ولا يشرب الماء إلا للضرورة، ومزاجه

حار يابس بالنسبة إلى الصقر، ولذلك فهو أشجع منه.

أمراض الجوارح

الجوارح كسائر الحيوان والإنسان، تصاب بالمرض وتشفى بالدواء، وأمراض الجوارح في الطيور لا تلحظ، ولا تراقب إلا عند من يربيها، ويعتني بها، ويجعلها موردًا لعيشه، أو سبيلاً لرياضته أو هوايته.

والطيور كما نعلم من ذوات الدم الحار، وأسباب مرضها كما قسمها القدماء يشبه إلى حد بعيد أسباب أمراض الإنسان والحيوان، وفي تعريف مرض الطير يقول البلدي في كتابه «الكافي في البيزرة»: «الأمراض هي ما منع الطير من فعله الطبيعي» ، كما يقول: «اعلم أن أسباب أمراض الجوارح تنقسم قسمين: باطن، وظاهر، فأما الباطن فكهيجان الأخلاط التي هي أسباب أمراض الجوارح، وهي ثلاثة: الدم والبلغم والريح، فالمرض الدموي حار رطب، والبلغمي بارد رطب، والريح بطبع السوداء باردة يابسة، ولايحدث للجارح مرض من الخلط الصفراوي إلا نادرًا؛ لأن أمزجتها الأصلية الطبيعية حارة يابسة بطبع الصفراء، وهي إذا غلبت عليها الصفراء صحت واعتدلت طبائعها.

أما أسباب الأمراض الظاهرة للحس فهي إصابة الحر والبرد والدخان والغبار والطرفة والصدمة والكسر والخلع والوهن والجرح وما أشبهها من الأسباب الظاهرة.

إن هذه المقدمة التي وضعها البلدي في الباب الثاني من القسم الرابع من كتابه «الكافي في البيزرة» دليل واضح على أن «البازيار» لم يكن مجرد راع ومدرب للطيور الجارحة فحسب، وإنما الطبيب الملم بالعلم والعمل الطبي، فتعريف البلدي أمراض الطير بأنها خروج عن الفعل الطبيعي، وكذلك تقسيم أسباب الأمراض إلى باطن وظاهر، ثم النهج العلاجي في إعادة حالة الأجسام إلى طبيعتها دليل على أن «البازيار» كان طبيبًا متخصصًا في أمراض الطيور كما كان البيطار متخصصاً في أمراض الخيل، وكما كان الطبيب متخصصاً في أمراض الإنسان.

وأخيراً فإن تسليط الضوء على هذا العلم الذي كان للعرب فيه باع طويل، وخبرة لايضاهيهم فيها غيرهم، يكشف لنا كنزًا مهمًا من كنوز حضارتنا ، وعلمًامن علوم أجدادنا الذين نفخر بهم وبعلمهم. فمن الحري بنا أن نعيد الاهتمام بطب تلك الطيور، وسلامة طرق اصطيادها، وأن تؤلف الكتب الحديثة التي تتضمن خبرة أجدادنا في الصيد والرياضة والطب، بالإضافة إلى ما بين أيدينا من معطيات علمية حديثة في أمراض الطيور، لنكون السباقين دائمًا بالاحتفاظ بعلومنا والتخصص به، كما فعل علماؤنا العرب في تخصصهم بطب الخيل وطب الطيور الجارحة.

المراجع:

أولاً ـ الكتب

١ـ أنس الملا بوحش الفلا، محمد بن منكلي، تحقيق محمد صالحية، الأردن، ١٩٩٣م.
٢ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني، ١٩٩٢م، ج١، الكويت.
٣ـ حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري، ١٩٦٥م، دار التحرير للطبع.
٤ـ الحيوان، للجاحظ، عمرو بن بحر، تحقيق عبدالسلام هارون، ج٦، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩م.
٥ـ زخرفة الفضة والمخطوطات عند المسلمين، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٠٨ ـ ١٤٠٩هـ
٦ ـ الصيد عند العرب، د. عبدالرحمن رأفت الباشا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م، ١٣٩٤هـ
٧ـ الصيد والطرد عند العرب، د. ممدوح حقي، دمشق.
٨ـ الكافي في البيزرة، عبد الرحمن بن محمد البلدي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٤٠٣هـ
٩ـ لسان العرب، ابن منظور، ١٩٥٥م، ج٤، بيروت.
١٠ـ لوحات فنية، خالد الفيصل، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٥هـ
١١ـ مختصر تفسير ابن كثير، ج١، ص٤٨٤.
١٢ـ وحدة الفن الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٠٥هـ

ثانياً ـ الدوريات:

١ـ التعريف بعلم البيزرة عند العرب، موفق قنصه، حلب ١٩٨٦م، أبحاث المؤتمر السنوي العاشر، جامعة حلب، معهد التراث العلمي.
٢ـ البيزرة في التاريخ والآثار، سعاد ماهر محمد، الدارة، العدد ١.
٣ـ الصيد: تاريخه مصطلحاته كتبه، د. صادق وند، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٨م
٤ـ الصقور والقنص، مجلة الفيصل، العدد الأول، السنة الثانية، رجب ١٣٩٨هـ
٥ـ من مخطوطات البيطرة والبيزرة بدار الكتب الوطنية، مجلة معهد المخطوطات، العدد الأول، جمادى الأولى، ١٤٠٩هـ
٦ـ البيزرة رياضة القنص بالصقر، عبدالغني عبدالهادي، مجلة الحرس الوطني، العدد الثامن، السنة الثانية، ربيع الأول، ١٤٠٢هـ
٧ـ الصيد والبيزرة عند العرب، مجلة العربي، العدد ١٥٦، رمضان ١٣٩١هـ
٨ـ من تراثنا العلمي، كتاب في البيزرة، علي الطنطاوي، مجلة الرسالة، العدد ١١٣، جمادى الآخرة، ١٣٥٤هـ
٩ـ البيزرة، د. يوسف زيدان، مجلة الفيصل العدد ٢٠٣، جمادى الأولى، ١٤١٤هـ

مقالات

كفى بالحرب واعظاً

خالص جلبي



الحرب عبثية وانتحار

لماذا اندلعت الحروب، وشبت النزاعات الدموية، وانفجرت الحروب الأهلية ومازالت؟ بل لماذا تحدث النزاعات المسلحة أصلاً، ليس فقط بين الدول بل حتى على مستوى الأفراد؟ حقًا إنه سرٌ عجيب، ولغزٌ غامض، يستحق التنقيب عن منابعه، والكشف عن جذوره، لأنه أفظع من وباء الكوليرا والحمى الصفراء والجذام والجمرة الخبيثة مجتمعةً!! فالحرب أودت بحياة زهرة شباب المجتمع ومازالت!! ومن الغريب أنها لا تعدحتى الآن مرضًا رهيبًا، وارتكابًا لجرائم حمقاء، بل (بطولة) خارقة، وسياسة متقنة!! لقد حان الوقت لوضع هذه الظاهرة المكربة تحت عدسة مجهر الدراسة النفسية الاجتماعية، من أجل بناء ثقافة (سلمية) وتوديع ثقافة (البطولة)، بعد أن أدرك العالم أن طريق القوة مسدود، وأن الحرب عبثيةٌ وانتحار.

في خريف عام ١٩٩٣م كنت في زيارة للعاصمة الكندية أوتاوا، وفي رحلة التعرف إلى البرلمان الكندي والكومنولث البريطاني والمكتبة الرائعة التابعة للكومنولث التي تحوي ٦٠٠ ألف كتاب من ذخائر المعرفة الإنسانية، ثم المجلس الذي تدار فيه مناقشات الأحزاب، حيث يهيأ وفي مكان مرتفع منه للراغبين من الجمهور في حضور هذه المناقشات الساخنة، وفي نهاية الرحلة وقفت السيدة التي كانت تقوم بدور المرشد السياحي أمام لوحة تذكارية لتقول بخشوع: هذه اللوحة هي ذكرى للخسائر التي مُنيت بها كندا في الحرب العالمية الأولى، حيث اشتركت الوحدات الكندية في ساحات القتال الأوربية، مع مجموعات دول الكومنولث من أستراليا والهند ونيوزيلندا وبالطبع بريطانيا، حيث سيق ٦٠٠ ألف جندي كندي يمثلون زهرة شباب المجتمع الكندي وعُشر مجموع الأمة الكندية في ذلك الوقت، وقتل منهم أيضًا العُشر (قُتل ٦٠ ألفًا).

ثقافة البطولة

وقفت أتأمل اللوحة التذكارية والشعر الحزين المسطر عليها، تساعدني ابنتي التي تدرس في جامعة مك جيل في فك معاني بعض الكلمات، ذلك أن الأسطر كتبت بلغة فخمة: «عندما ترسل الشمس أشعتها الدافئة، وتمتلئ حقول الربيع بورود الزنبق والياسمين، وتشعر بالسلام يظلل الوطن الذي تعيش فيه، فلا تنس البؤساء في حشرجة الموت، تنزف جراحاتهم في ساحات القتال». وتمنيت أن تُختم الأبياتُ بالاستفادة من هذا الدرس المريع كي لا يتكرر الخطأ، بكل أسف خُتمت الأبيات بـ«ثقافة البطولة» مرةً أخرى: «لا تنس دماء القتلى وآهات الجرحى وعذاب المشوهين من أجل الثأر لهم والانتقام لتضحيتهم!!»، ولم يختموها بعبارة: كفى بالحرب واعظًا!!

قلت لمرشدتنا الكندية: إنني متألم لما ذكرت، وأرجو ألا تتكرر هذه المأساة بتقديم المزيد من القرابين البشرية على مذبح الحروب البئيسة، فهزت رأسها متأثرةً بالإيجاب.

قبل ثلاثة وثمانين عامًا في الصيف اللاهب من عام ١٩١٤م في يوم ٢٨حزيران/يونيو، اختبأ شاب صربي عمره ١٩ عامًا فقط، في أحد أزقة مدينة سراييفو هو جافريلو برنسيب GAVRILO PRINCIP وبيده مسدس محشو بما يكفي من الطلقات، قد أكل الحقد قلبه، يصرُّ على أسنانه، ويشدُّ من قبضته على الغدَّارة التي في يده، وهو ينتظر قدوم ضيوف مهمين إلى مدينته لتصفية الحساب معهم!!

صربي يشعل فتيل الحرب

في هذه الأثناء كان ولي عهد إمبراطورية النمسا وهنغاريا الأرشيدوق فرانتس فيرديناند FRANTZ FERDINAND يركب عربةً مكشوفةً، وقد اصطحب زوجته الكونتيسة صوفي شوتيك SOPHIE CHOTEK(١) التي محضها حبه وإخلاصه، يحاول أن يُدخل على قلبها شيئًا من البهجة، بمناسبة مرور ١٤ عامًا على زواجهما، فهي من عائلة عادية، وهو من عائلة الدم الملكي (آل هابسبورغ) العريقة، فلا يُسمح لها بالظهور في الاحتفالات النمساوية العريقة في البلاط الملكي، وكان من سوء الطالع (لا ندري) أن الحب جمع بينهما ليتزوجا في ٢٨ حزيران من عام ١٩٠٠ميلادي، وليفارقا الحياة في هذه المناسبة نفسها بعد أربعة عشر عامًا!! فأراد أن يمضي معها وقتًا للاستجمام والراحة بعيدًا عن فيينا، في هدوء مدينة سراييفو عاصمة البوسنة التي كانت قد ضمت إلى

حينما اندلعت الحرب العالمية الأولى ظنها الجميع حربًا قصيرة، بل ابتهج الناس بقدومها فهتف الألمان: إلى باريس، ورقص الناس في شوارع باريس وهتفوا: إلى برلين!!

الإمبراطورية النمساوية في عام ١٩٠٨م.

في أثناء اختراق الشارع الرئيس في مدينة سراييفو تنقل لنا أسرار التاريخ أن منظمة سرية صربية إرهابية، تدعى منظمة «الكف الأسود» يرأسها رجل غامض اسمه آبيس APIS كان قد جند مجموعة من الشباب المتحمسين لاغتيال الضيف المهم القادم للاستجمام في المدينة مع زوجته!!

كانت مجموعة الاغتيال الرئيسة مكونة من ثلاثة أشخاص، وهي غير صاحبنا جافريلو الذي كان يتربص في مكان آخر، فأما الأول فأشفق من قتل الكونتيسة فتراجع، وأما الثاني فمد يده إلى المسدس، إلا أنه ارتجف وخانته شجاعته، وأما الثالث فتحامل على نفسه وطوح بالقنبلة اليدوية بعد مرور الموكب فأخطأت هدفها؟!!.

وبذلك نجا ولي العهد النمساوي وقرينته المحبوبة، وتنفس التاريخُ الصعداء!! ولكن هذه الاستراحة التاريخية لم تدم أكثر من ساعة، فالحريق الشيطاني الذي سيغلف الكرة الأرضية مازال على موعد مع رصاصات جافريلو برنسيب، الذي لم يدرك ماذا فعل، وما النتائج المروعة والرهيبة التي ستتلو هذه الرصاصات الغادرة؟! وطوفان الدماء الذي سيغرق جنبات المعمورة. كان جافريلو تحت ضباب الحقد لا يرى سوى شيء واحد: أن يسفك الدم النمساوي، ولم يعلم أن الصرب سوف تُسفك دماؤهم أيضًا، وأن الدم يقود إلى الدم، والحقد يثير الحقد، والكراهية تولد الكراهية، والدمار ينتج الدمار المتبادل، فهي عملة متبادلة، وردود فعل كونية رُكِّبت النفوس عليها، وأن الذي يدفع بالتي هي أحسن يولد التي هي أحسن، وأن هذه الطريقة تجعل: فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. فصلت:٣٤.

غضب الأرشيدوق من حادثة الاعتداء هذه، وألغى برنامج زيارته، وأمر الحوذي بسلوك طريق مخالف في أحد أزقة المدينة، إلا أنه هذه المرة لم يفلت؛ حيث عاجلته وزوجته الرصاصات المحكمة التسديد من يد جافريلو، فرقد الزوجان متكئين على بعضهما، غارقين في الدم، فاقدين الحياة والأنفاس. وحتى الآن لم نفهم كيف سيفقد ثمانية ملايين جندي حياتهم في ساحات الوغى بعد طلقات سراييفو، وتندلع أفظع حربٍ عرفها الجنس البشري حتى ذلك الوقت؟! وهي التي عرفت بالحرب العظمى أو الحرب العالمية الأولى، أو ما روته لنا جداتنا ونحن صغار نسمع مشدوهين فاغري الأفواه للمجاعة والفقر والتشرد

والمذابح الجماعية وكيف طرد (العصملية) الإنجليز من (جنا قلعة وغاليبولي) وهو ما عرف واشتهر بحرب (السفر برلك).

تفكيك الحدث التاريخي

ومع هذا تبقى هذه القصة غير ذات معنى، ولا تفسر تماماً الكارثة الكونية المروعة التي حدثت بعد ذلك؟ لذا كان لابد من أجل فهم أدق وأعمق، أن يُنظر إلى هذه الحادثة من خلال الاقتراب إلى جو الحدث، فنحن بعقليتنا الحالية يصعب أن نفهم سبب الحدث وعلاقته بنتائجه الكارثية. لابد إذن من محاولة فهم، بل تفكيك الحدث التاريخي لمعرفة محتوياته، لابد من معرفة (الجيوبوليتيك) أي الوضع الجغرافي السياسي، لابد من معرفة الوضع النفسي الاجتماعي التاريخي، بل التطور التقني (التكنولوجي) وماكينة الحرب لفهم عملية الذبح البشري الأكبر التي تمت في مدى أربع سنوات ونيف!! لعل أقرب تفسير لهذا الحريق هو نظرية عود الثقاب أو العمل الذي تجاوز نية صاحبه، بمعنى أن إلقاء عود ثقاب على برميل ماء لا يؤدي إلى أي حريق، خلافاً لرميه فوق برميل بارود، كما أن ضرب رجل بكف لا يؤدي إلى موته، لولا أن صاحبه قريب من الموت بأقل من ضربه الكف! وهذا ما قاله المثل العربي القديم «القشة التي قصمت ظهر البعير»، وإلا فإن آلاف القشات لا تفعل شيئاً للقط فكيف بالبعير!! هذا الجو في أوربا بشكل أو آخر هو الذي فجّر برميل البارود في العالم، مع أن أوربا عاشت فترة نصف قرن في سلام ممتع، ومعها العالم حتى جاءت هذه النكبة الجائحة. ولعل الفيلسوف والمؤرخ الألماني أوسفالد شبينجلر انتبه بشكل دقيق لجو القرن من خلال الصورة الشاملة (البانوراما) التاريخية فكتب يقول: «لقد اقترحت على نفسي أن أضع دراسة واسعة عن الظاهرة السياسية آنذاك وعن تطوراتها المحتملة، ويومذاك كانت الحرب العالمية تبدو لي أنها وشيكة الوقوع، ومظاهر خارجية محتومة للأزمة التاريخية التي كانت تجتاحنا حينذاك»(٢). ترى، ما الأزمة التاريخية التي تحدث عنها شبينجلر؟ إنه يحددها بقوله: «إنني أقرر هنا أن الاستعمار الذي كان الأساس الذي ارتكزت عليه الإمبراطوريات بين مصرية ورومانية وصينية وهندية، وقامت على أشلاء الضحايا وإذلال الجماهير، أقول إن الاستعمار هو الرمز المميز لاحتضار المدنية الغربية وموتها، وفي هذا الشكل الظاهري - الاستعمار - قد بت الآن بمصير الغرب بتّاً لا عودة عنه ولا تعديل»(٣) بل حتى إنه



القنبلة النووية كبحت جماح القوى الكبرى

ينتقل ليعطي حكماً قاسياً على تركيبة الحضارة الغربية: «إن كل حضارة تمر بمراحل العمر ذاتها التي يمر بها الفرد الإنسان، فلكل حضارة طفولتها وشبابها ورجولتها وشيخوختها.. إن هذا الاكتمال الباطني والظاهري الخاتمة التي تنتظر كل حضارة حية هو مغزى جميع الانحطاطات التاريخية، بما فيه الانحطاط الكلاسيكي الذي نعرفه معرفة تامة، وبما فيه انحطاط آخر يشابه الانحطاط الكلاسيكي في مجراه وديمومته، هذا الانحطاط الذي سيشغل القرون الأولى من الدورة الألفية القادمة من الأعوام، وهو الذي نرى الآن طلائعه ونحس به من حولنا، وأعني به انحطاط الغرب»(٤).

المفاجأة الكبرى

وبالطبع فنحن في مقالتنا هذه لا نريد الغوص في التفصيلات السياسية، كل ما نريده صياغة (بانوراما) عامة لهذا الحدث، الذي يجب استحضاره أمام القارئ العربي بعد أن أصبح معظم العالم العربي فيما يشبه الحرب الأهلية القائمة أو المبطنة، ولا يظن الآخرون أنهم بمنجاة من هذه الجائحة، لأن (البلازما) الثقافية التي يسبح فيها الإنسان العربي واحدة، وما حدث في أفغانستان أو لبنان سابقاً، قابلٌ أن يتكرر في صور أخرى في أماكن أخرى بشدة تزيد أو تنقص، ويجب أن نستوعب قضية على غاية من الأهمية من أجل التخلص من ثقافة (البطولة والسيف) في سبيل بناء الثقافة السلمية. إن هذا المرض ليس مرض فريق بعينه أو اتجاه من دون الآخر، بل هو مرض عام، وثقافة مشتركة، ومصيبة طامة، و(بلازما) ثقافية يسبح فيها جميع أطراف النزاع، بل حتى من لم يشترك في النزاع، لأنها ثقافة (إلغاء الآخر) وعدم الاعتراف به فضلاً عن (إيجاده).

بين ٢٨ يونيو/ حزيران من عام ١٩١٤م ومطلع أغسطس /آب تسارعت الأحداث بشكل لا يصدق، ففي ٢٨ يوليو/تموز وجهت النمسا إنذاراً نهائياً للصرب، على أساس أنها خلف حادث الاعتداء والمنظمة الإرهابية (الكف الأسود) من عشر نقاط وافقت على سبع منها، فلم يعجب النمسا ذلك، ولم ترض بأقل مما يشبه الاستسلام الكامل، فقامت روسيا بإعلان التعبئة العامة في محاولة لحماية صربيا، فوجهت ألمانيا إنذاراً لروسيا لإلغاء التعبئة العامة في مدى ١٢ساعة!! فرفضت روسيا، وفي اليوم الأول من شهر أغسطس /آب التهبت الكرة الأرضية، وكان البريطانيون يتوقعون أنها قد تدوم ١٢ يوماً

فقط!!(٥)، وبدأت الحرب تحصد أرواح الشباب في مفاجأة كبرى للساسة والجنرالات على حد سواء!! وانطلقت إلى الغرب أرتال من السيارات المحملة بالجنود، وتبع ذلك طوابير هائلة من المشاة ذوي البذلات الرمادية، وكان معظمهم شباباً ألمانيين جميلي العيون شقر الشعور، وهم أحداث متعلمون، ممن يطيعون القانون ويحترمونه، وممن لم يحدث أن رأوا من قبل رصاصة تطلق غضباً، لقد أخبروهم أن هذه هي الحرب، وأنهم يجب أن يكونوا شجعاناً لا تجد الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً.

٦٩٥ ألف إنسان في مقابل قلعة قديمة

«وفي ليلة ٤ أغسطس وبينما أوربا ما تبرح مستغرقة في بحبوحة نصف قرن من السلم، وما تبرح تستمتع الاستمتاع المعتاد بالحرية والرخص والوفرة الشاملة التي لن يراها أي حي مرة أخرى وتفكر في إجازاتها الصيفية؛ كانت قرية (فيزيه) البلجيكية الصغيرة في أتون من النيران، ثم كان فلاحوها المشدوهون يؤخذون ويعدمون رمياً بالرصاص، بدعوى أن أحد الناس أطلق النار على الغزاة، ومن المؤكد أن الضباط الذين أصدروا هذه الأوامر والجنود الذين نفذوها شعروا بالرعب لغرابة ما أتوا، إذ لم يسبق لمعظمهم أن شهد حتى ذلك اليوم ميتة عنيفة، وكانوا قد أضرموا النار لا في القرية بمفردها بل في العالم بأجمعه»(٦).

وهكذا بدأت حرب (السفر برلك) الحرب العظمى، التي عرفت فيما بعد بالحرب العالمية الأولى، لأنه حينما بدأت لم تكن حرباً عالمية وظنها الجميع أنها حرب قصيرة، فأعطاها الألمان ستة أسابيع، بل ابتهج الناس بقدومها فهتف الألمان: إلى باريس، ورقص الناس في شوارع باريس وهتفوا: إلى برلين!! الوحيد الذي جاءه حدس لافت للنظر هو الجنرال البريطاني كتشنر حيث توقع امتداد الحرب إلى عدة سنوات، وأما كلفة الحرب فتوقعها أشد المتشائمين في حدود مليار جنيه فكانت ما يزيد على عشرة أضعاف ما ذكر، وتوقعها الجنرالات حروب (بطولة)، وكان الجنرالات البريطانيون (كيتشنر وجون فرانش وهايغ وروبرتسون) يتحرقون إلى بعض المناظر التي تخلب الألباب من مناظر حروب العصور الوسطى حيث ينطلق الخيالة لحصد الرؤوس بعد المدفعية واستيلاء المشاة على المواقع بالقتال القريب والطعن بـ (السونكي)(٧)، إلا أن المدافعين الألمان كانوا يحرمونهم هذه الرؤية البهيجة للرؤوس المتطايرة بحصد الخيالة بالرشاشات(٨). كما توقع الفرنسيون وهم يفتلون شواربهم العريضة أن الهجوم هو أفضل الطرق لتخفيف الخسائر!! فمات في معارك «الفردون» نحو ٦٩٥ ألفاً من جنود الطرفين، من أجل الاستيلاء على قلعة

ثقافة السلام ستبدل الذهنية الجماعية التقليدية التي تنظر إلى العنف على أنه بطولة وقداسة

قديمة لا قيمة لها من الناحية الإستراتيجية باستثناء حرص ألمانيا على تمريغ أنف فرنسا في الرغام فانصبت على القلعة في اليوم الأول مليونا قنبلة!! في حين أن معارك السوم كلفت مليوناً و ٢٦٥ ألف قتيل(٩).

مسالخ بشرية

على هذه الطريقة وُصف عويل الفرق المرصوصة التي كانت تتقدم لاقتحام الخنادق، بعد أن تحولت الحرب إلى استحكامات ومكانك راوح!! وحينذاك صدر أمر ضباط الألمان: «النار سريعاً ارم، ومع ارم هذه سقط الصف الأول على طول الجبهة من المتقدمين، لقد حصدتهم المدفعية وصادهم الرماة وارتفع صراخ من نفذ في صدورهم الرصاص، ومعه ارتفعت اللعنات تنصب على الألمان والإنجليز والدنيا والشيطان، كان الجرحى ينزفون دماً وهم يجودون بأرواحهم فلا لوم عليهم أن يلعنوا أيّاً كان»(١٠). كانت معارك الحرب العظمى في واقعها مسالخ بشرية، وكان الهجوم يتلو الهجوم من دون أي اعتبار للخسائر الإنسانية، بل إخفاء ما يحدث عن شعوبهم التي تقبع بالخلف وهي تمدهم بالقرابين البشرية: «يرى بعض المؤرخين أن فردون والسوم لم تكونا معركتين بقدر ما كانت فورة حيوانية دهت العقل البشري بكامله في تلك الأيام... كان الخندق الواحد يتبادله الجانبان وفي ساعات قليلة، فترتوي أرضه الكلسية المنخربة بدماء الجرحى والقتلى مرة واحدة - فإذا سقطت الجثث بجانب بعضها البعض اصطلحت وتوقف النزاع فالموت كان سيد الصلح»(١١).

كان كل واحد من أولئك الذين يقاتلون في الخنادق - ويصل الوحل والطين والماء إلى خصر أحدهم - إنساناً يحمل مشاعر وذكريات آمال وطموحات، وفي لحظة واحدة كما قال فولتير يتحول إلى العدم بطلقة واحدة.

كانت الحرب العظمى نتيجة لحرب عام ١٨٧٠م البروسية الفرنسية، كما كانت هي بدورها سبباً لحرب أشد ترويعاً وفتكاً لحقتها بعد عشرين عاماً. ومع بزوغ الشمس النووية وضع الإنسان يده على الوقود الكوني، ووصل إلى معادلة عجيبة للغاية، أوصله العلم إليها حيث ألغت القوة القوة، وانسد الطريق الذي بقي مفتوحاً منذ بداية الحضارة الإنسانية.

إن القرن العشرين قدم الدليل العلمي الواقعي لصحة موقف (ابن آدم الأول) من رفض العنف. إن القنبلة النووية لم تكن لصالح العنف، بل كانت لصالح عدم العنف ولصالح السلام، إنها نسخت العنف والحرب والسيف، نسخت العهد القديم، فلهذا لا يمكن لعالم الكبار أن يتقاتلوا، ويحدث هذا للمرة الأولى في تاريخ الجنس البشري، وسقوط الاتحاد السوفييتي وهو يملك من القدرة ما يقدر أن يدمر به الأرض، دليل على أن القوة

لم تعد تجدي ولا تحمي من يملكها، وصعود اليابان وهي لا تملك القوة ولم تعد تريدها دليل آخر على إمكان الصعود من دون قوة.

هذا هو عالم الكبار اليوم فما هو حال عالم الصغار؟

كيف نصنع ثقافة السلام؟

إن الصغار إذا لجؤوا إلى القوة في حل مشكلاتهم، فإنهم يكونون قد باعوا قضيتهم للمترفين في الأرض، لسماسرة الحروب، والأخيرون ينظرون فمن يكون انتصاره في مصلحتهم نصروه، وإلا فإنهم يتركونهم ينحر بعضهم بعضًا، أو يمدونهم بالأسلحة التقليدية بتغافل وشماتة، وهذا الوضع العالمي بين الصغار والكبار وضع جديد، علينا أن نتفهمه ونتكيف معه من دون تبلد. وعلينا أن ننسخ الثقافة المبنية على العهد العتيق، عهد وصف العنف بالبطولة، ولنبدأ التكيف مع العهد الجديد في الأرض الجديدة، عهد السلام ولنبدأ بصنع (ثقافة السلام)، لأن صنع ثقافة السلام شرط لقيام العيش المشترك معًا بسلام. وهذه الثقافة التي ينبغي أن نصنعها هي التي ستبدل الذهنية الجماعية التقليدية التي تنظر إلى العنف على أنه بطولة وقداسة، بدلاً من النظر إليه على أنه أمر يدعو إلى الغثيان، وأنه كفَّ عن كونه بطولة بل تحول إلى جريمة، وما لم نحقق هذه النقلة الثقافية والقطيعة المعرفية فلن نكون قد صنعنا شيئًا. فكما كانت الجراثيم القاتلة قبل كشفها ومعرفة كيفية التعقيم مبثوثة في أعيننا، وكانت تداهمنا من غير أن نعرف كيف تأتي وتحصد الناس، كذلك فإن الجراثيم الفكرية الثقافية المبثوثة في أغذيتنا الفكرية تأتي وتحصدنا ثم نعيش حيارى مبلسين.



متى تسود ثقافة السلام؟

إنه لم يبق في العالم إلا مذهبان، من يؤمن بالعنف، ومن يرفضه ويتحداه بالسلام، وما أمام العرب اليوم إلا أن يتمرنوا على حل مشكلاتهم سلميًا فيما بينهم، فإن نجحوا في ذلك فستحل المشكلات بينهم وبين غيرهم تلقائيًا، ويظن كثير من الناس أن حل المشكلات عند السياسيين، والواقع أن السياسي هو حفيد المثقف، فهم ثمار الشجرة التي غرسوها.

إن التاريخ يعلمنا أن سقراط تحدى العنف وقبل الموت، وعدّ العنف عارًا، والموت ليس عارًا، وأن من العار أن نرتكب العنف الذي هو العار، خوفًا مما ليس بعار وهو الموت، وعندما تجرع السم بكت زوجته وقالت: إن ما يحزنني أنك تموت وأنت بريء، فقال لها: ويحك وهل كان يرضيك أن أموت وأنا مدان!

المراجع والهوامش:

١- خلّد اسم القاتل جافريلو برنسيب والأرشيدوق فرانتس فيرديناند والكونتيسة صوفي شوتيك، وسرايفو في التاريخ، فطلقات الرصاص ودوي المدافع بعد الحادث المشؤوم سمع في العالم أجمع ومات في ساحات القتال زهرة شباب الفرنسيين والألمان والإنجليز والروس والإيطاليين، فمات في أشنع الظروف قرابة ثمانية ملايين جندي. راجع في هذا «قصة الحرب العالمية الأولى» تأليف عمر ديراوي، و«تاريخ أوربا في العصر الحديث» تأليف فيشر، ومعالم تاريخ الإنسانية» تأليف هـ.ج. ويلز، و«الحرب العالمية الثالثة الخوف الكبير» تأليف الجنرال فيكتور فيرنر، و«تحدي الحرب وهذه هي الحرب» تأليف غاستون بوتول.

٢- عن كتاب «تدهور الحضارة الغربية» تأليف أوسفالد شبينجلر، ترجمة أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، عام ١٩٦٤م،المجلد الأول، ص ١١٤ ـ ١١٥.

٣- المصدر السابق جـ١ ص٩٧.

٤- المصدر السابق: جـ١ ص٢١٨.

٥- ذكر المؤرخ البريطاني فيشر هذه العبارة: «أما في لندن فقد أعدت أركان الحرب العامة العدة لمعارك أربع تدوم كل منها ثلاثة أيام» كتاب «تاريخ أوربا في العصر الحديث» تأليف هـ.ا.ل فيشر، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف بمصر ، ط٧،ص٤٩٢.

٦- من كتاب «معالم تاريخ الإنسانية» تأليف هـ.ج. ويلز، ترجمة عبدالعزيز جاويد، المجلد الرابع، ص ١٤٤٢ وص ١٤٤٣.

٧- السونكي الحربة التي تركب على فوهة البارودة، وبذا تؤدي البارودة وظيفة الرمح في القتال القريب، واشتهرت في تلك الأيام بطولها غير المعهود، بسبب قلة (الماشين جن)، أي البارودة ذات الطلقات المتعددة.

٨- لأخذ فكرة عن فداحة الإصابات، فإن الإنجليز خسروا تحت الرشاشات الألمانية في هجوم معركة السوم الأول ٦٠ ألف جندي من خيرة جنودهم في مدى ١٢ ساعة فقط، وهو المعروف بجيش كتشنر، ففي الصدامات المرعبة مع الألمان لم يكونوا يعتمدون أو يثقون بجنود المستعمرات الذين كانوا يسمونهم جنود (عطلة نهاية الأسبوع) ـ راجع كتاب «الحرب العالمية الأولى»، عمر الديراوي، دار العلم للملايين، ص٢٩٨.

٩- تفوق الخسائر لهؤلاء الشباب التعسين كل تصور بشري ، وقد قدر عليهم الحظ العاثر أن يولدوا في تلك الأيام الشقية، فسالت دماؤهم في الأوحال وخنادق الحرب العالمية الأولى، من مثل معارك السوم التي بدأت في ١٩١٦/٧/١م حتى ١٩١٦/١١/١٨م أي دامت نحو أربعة أشهر ونصف الشهر، قتل فيها ٦٥٠ ألف ألماني و ٤٢٠ ألف بريطاني و١٩٥ ألف فرنسي، والسبب في نقص خسارة الفرنسيين أن جل المذابح كانت في القطاع البريطاني الألماني، وخسر البريطانيون في اليوم الأول ٥٧٤٥٠ قتيلاً، وهي أعظم خسارة بريطانية سجلها التاريخ حتى ذلك الوقت. راجع كتاب «الأسلحة والتكتيكات»، تأليف ونترنغهام وبلاشفورد ـ سنل، ترجمة حسن بسام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص١٢.

١٠- الديراوي ص٢٩٧.

١١- الديراوي ص٣٠٠ ـ ٣٠١.

أثر الفتاوى والنوازل في إثراء الفقه الإسلامي

محمد فاروق نبهان

بدأت حركة التدوين الفقهي منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، مستندة إلى الكتابات الأولى التي تمت قبل ذلك، سواء فيما يتعلق بتدوين السنة أو تدوين المسائل الفقهية الأولى، وكان لتلك الكتابات المبكرة أثرها المباشر في ظهور التدوين الفقهي الذي بدأت بواكره الأولى مع تدوين كتاب الموطأ الذي يعد من أبرز المدونات في الفقه والحديث.

ثم تتالت بعد ذلك جهود الفقهاء في تدوين الأحكام الفقهية، من خلال سماعهم لما قرره شيوخهم من أحكام، ويعد الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم من أوائل من اتجهوا إلى التدوين الفقهي، وهناك من يعد كتاب المجموع للإمام زيد من أقدم المدونات الفقهية، إلا أن هناك من يشك في نسبة هذا الكتاب للإمام زيد، لعدم ثبوت النسبة، ولأن هذه الرواية جاءت عن طريق عمرو بن خالد الواسطي الذي كان من أبرز تلاميذ الإمام زيد، ولم يكن الواسطي في موطن الثقة عند كثير من العلماء، ولعل الواسطي سجل بعبارته فقه الإمام زيد بعد استشهاده، متأثراً بفقه الرأي الذي كان منتشراً في العراق.

ثم أخذت المدونات الفقهية تنتشر بعد ذلك، مستندة إلى الطبقة الأولى من تلاميذ أئمة المذاهب، ويبدو أن هذه الطبقة من الأتباع كان لها الفضل في التدوين الفقهي وفي التعريف بفقه الأئمة، وضاع كثير من فقه الأئمة الآخرين بسبب عدم وجود هذه الطبقة من التلاميذ الذين وضعوا الدعائم الأولى لبروز المذاهب الفقهية، ومازال الفقه الإسلامي يشيد بجهود أبي يوسف ومحمد بن الحسن في خدمة المذهب الحنفي، وعبدالرحمن بن القاسم ومحمد بن وهب وعثمان بن الحكم في خدمة المذهب المالكي، والبويطي والمزني والمرادي في خدمة المذهب الشافعي، ويعد الربيع بن عبدالجبار المرادي من أبرز تلاميذ الشافعي، وأكثرهم رواية عن الشافعي، وتنسب إليه رواية «الأم».

وأخذت المدونات الفقهية فيما بعد تتوالى وتتكاثر، متنافسة في التصنيف والتنسيق، جامعة لفقه المذهب، مستنبطة أصوله وقواعده، مبينة أوجه الاتفاق والاختلاف بين المذاهب الفقهية، بانية بذلك صرح فقه عظيم التكوين، غني في آرائه دقيق في تخريجاته..

ولما استقر أمر الفقه، تدويناً وتأصيلاً، برزت ظاهرة جديدة، تمثلت في ظهور مدونات فقهية ذات طبيعة تطبيقية، أرادت أن تنظر في الوقائع والنوازل المستحدثة، وأن تبين رأي الفقه في تلك الوقائع، وسميت هذه المدونات بكتب الفتاوى والنوازل، وشاعت كتب الفتاوى في المشرق، كما شاعت لفظة النوازل في الغرب الإسلامي، وحظيت كتب النوازل باهتمام الفقهاء، وعكف عليها العلماء دارسين ما تضمنته من آراء واجتهادات.

والفتوى ليست أمراً جديداً، ويعود تاريخها إلى القرن الأول، وكان الصحابة يستفتون النبي صلى الله عليه وسلم في الوقائع والنوازل، وجاءت اللفظة في القرآن الكريم بالمعنى نفسه الذي استعملت فيه فيما بعد في مجال الاستفتاء، ونمت ظاهرة الفتوى في عصر الصحابة لحاجة الناس إلى معرفة حكم الشرع في الوقائع التي تنزل بهم، في العبادات والمعاملات. وفقه النوازل يختلف عن الفقه الافتراضي الذي انتشر في العراق، بسبب ازدهار الرأي والقياس، وينظر فقهاء المدرسة الحجازية الذي يمثلون مدرسة الحديث إلى الفقه الافتراضي نظرة ريبة

ويضيقون بمسلك فقهاء الرأي الذين توسعوا في مجالات الفقه الافتراضي المعتمد على الأقيسة العقلية.

واستعمل الفقهاء في الغرب الإسلامي لفظة «النوازل» وأطلقوها على الوقائع والأحداث التي تنزل بالناس، فيبحثون عن رأي الفقه فيها، وجاءت لفظة النوازل مرادفة للفظة الفتاوى، كما استعملت لفظة الأجوبة والمسائل بالمعنى نفسه.

ظاهرة الفقه النوازلي

ازدهر فقه النوازل في عصر الاستقرار الفقهي، حيث أصبح الفقيه هو مصدر الفتوى، ومن الطبيعي أن تكون النوازل معبرة عن حاجات اجتماعية مستحدثة، وتبرز أهمية فقه النوازل من خلال قدرة الفقيه على استيعاب الحكم الفقهي بحيث تكون الفتوى ملائمة لمقاصد الشريعة، محققة أهدافها في حماية القيم التي تجسد الأهداف الشرعية.

وتختلف مكانة فقه النوازل بحسب مكانة المفتي، فمن اتسعت رؤيته من الفقهاء واستوعب المقاصد الشرعية كانت فتواه أكثر ملاءمة لمصالح المجتمع، بحيث لا يقع في الفتوى ما يناقض المصالح الاجتماعية.

والفتوى تحتاج إلى قدرة، ولا يحسن الفتوى إلا من توافرت فيه الملكة الفقهية، والفقهاء ليسوا سواء فيما يفتون به، ولهذا تعددت كتب النوازل، وأصبح لكل فقيه رأيه واجتهاده، ولكل مدينة فقهها، وكلما اتسع فقه النوازل دلّ ذلك على سعة الفقه الإسلامي، وفي فقه النوازل آراء جديرة بالدراسة والاهتمام.

شروط ازدهار الفقه النوازلي

لا يمكن لفقه النوازل أن يزدهر إلا في ظل المجتمعات التي تتوفر فيها إمكانات نمو هذا الفقه، وأهمها ما يلي:

أولاً: في العواصم العلمية

يزدهر فقه النوازل في العواصم العلمية، لازدهار العلم فيها، والعلماء الذين يعيشون في ظل المجتمعات التي تضم مراكز علمية أكثر قدرة على إبداء الرأي الاجتهادي، لأنهم يثقون بعلمهم ولا يخشون من إبداء الرأي، ولهذا ازدهر فقه النوازل في القيروان والأندلس وفاس وسوس.

ثانيا: في المجتمعات المتحضرة

والسبب في ازدهار الفقه النوازلي في المجتمعات المتحضرة أن هذه المجتمعات تشهد تحولات اجتماعية كبيرة، ومن شأن هذه التحولات أن توجد نوازل جديدة لم تكن معهودة، في مجال التجارة والصناعة والمبايعات، وفي العادات الاجتماعية، وفي الأعراف والتقاليد، وكلما تطور المجتمع كان أكثر حاجة إلى تقبل صور جديدة في مجال الأعراف والمعاملات، ومن الطبيعي أن يلجأ المجتمع إلى الفقهاء لاستفتائهم فيما نزل بهم من الوقائع، ولهذا تختلف النوازل بحسب طبيعة المجتمعات، كما تختلف الأجوبة والفتاوى باختلاف القيم الاجتماعية السائدة.

والفقه النوازلي شديد الصلة بالحياة الاجتماعية، ولهذا يحتاج الفقيه النوازلي إلى القضية، وبخاصة فيما يتعلق بالمعاملات والعادات المرتبطة بالزواج، والعادات الاجتماعية.

ويراعي فقه النوازل القيم السائدة في المجتمع، فالفقيه عندما يستفتى في مسألة فقهية يجيب بما يجسد القيم السائدة، ترسيخاً لما هو صالح من هذه القيم، وتصحيحاً لما هو فاسد منها، ومجتمعات الحضارة ليست كمجتمعات البداوة، ولهذا يختلف الفقه النوازلي بحسب الزمان والمكان، وهذا المنطلق يؤكد دور المخاطب في تفسير النصوص، وهو نوع من أنواع الاجتهاد والقياس، وينسجم الفقه النوازلي مع



كثير من المعاملات الاقتصادية الحديثة يحتاج إلى الإفتاء

ملكة فقهية تمكنه من الاجتهاد، ولا قيمة لفقه النوازلي إذا خلا من الاجتهاد، فالاجتهاد هو الذي يعطي فقه النوازل مكانته التجديدية، بوصفه فقهاً يصور الحاجات الاجتماعية، ويعبر عن قدرة الفقه الإسلامي على مواكبة هذه المتغيرات في الحياة الاجتماعية.

فقه النوازل يجسد الحياة الاجتماعية

وفقه النوازل يعبر أصدق تعبير عن تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ولا يمكن للفقه أن يتجاهل الحاجات المستجدة، والفقه النوازلي هو الفقه الواقعي الذي يستمد قوته من حاجة المجتمع إليه، فالفقيه النوازلي وليد عصره، ولكل عصر رؤيته المتميزة لقضاياه، ولا يمكن للفقيه عندما يُستفتى في قضية من القضايا الاجتهادية أن يتجاهل نظرة المجتمع لهذه مقاصد الشريعة في احترامه مبادئ العدالة والقيم الأخلاقية الإسلامية.

كما يسهم فقه النوازل في تصحيح المفاهيم الإسلامية عندما يقع تحريف للأحكام الشرعية، ومهمة الفقيه النوازلي أن يصحح هذه المفاهيم، وأن يؤكد رفض الشريعة الإسلامية لكل المظالم الاجتماعية.

واجبات الفقيه النوازلي

أولاً: تأكيد احترام الأحكام الشرعية الثابتة

وبمقتضى هذا المبدأ لا يجوز للفقيه أن يخرج عن إطار الشريعة الإسلامية، فما قرره الفقه الإسلامي ووقع الإجماع عليه فلا يجوز الخروج عليه، لأن مهمة المفتي أن يلتزم ما وقع الإجماع عليه، وما قام الدليل عليه من الأحكام،

الاجتهاد يعطي فقه النوازل مكانته التجديدية، بوصفه فقهًا يصور الحاجات الاجتماعية، ويؤكد مواكبة الفقه الإسلامي المتغيرات الحياتية

ولو سمح المفتي لنفسه أن يخرج عن إطار الشريعة انحرف عن مهمته، وسقطت قيمة آرائه واجتهاداته.

ثانيًا: مراعاة المقاصد الشرعية

وبمقتضى هذا المبدأ يجب على المفتي أن يجيب السائل بما يعبر عن رأي الشريعة، ويراعي في الوقت ذاته المقاصد الشرعية، فلا يتوقف عند حدود ما قرره الفقهاء من آراء، بل يجب عليه أن يختار من هذه الآراء ما يراه أقرب إلى النصوص الشرعية، وما يعبر عن المقاصد الشرعية التي قرر الفقهاء وجوب احترامها.

ثالثًا: منع كل أنواع المعاملات الضارة

وبمقتضى هذا المبدأ يجب على المفتي أن يفتي بما يؤكد تحريم الشريعة لكل أنواع المعاملات التي تحمل معنى الظلم، كالإفتاء بتحريم كل أنواع الربا والاحتكار والاستغلال، ولا حدود لحرية الفقيه في تحريم كل أنواع الظلم الذي حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

اهتمام فقه النوازل بالقضايا المستحدثة

لأن فقه النوازل يتعلق بالقضايا الواقعية، كان من الطبيعي أن يهتم فقهاء كل زمن بما يشغلهم من قضايا، وأن يهتم فقهاء كل مدينة بما يقع في مدينتهم، ففي أيام الحرب يهتم فقه النوازل بما تولده الحرب من آثار، وفي ظل المجتمعات التي تعيش فيها جاليات يهودية ونصرانية يهتم فقه النوازل بما يترتب على هذا التعايش من آثار، سواء في طبيعة العلاقات الناتجة عن التزاوج بين المسلمين وغيرهم أو فيما يتعلق ببناء الكنائس، وأعتقد شخصيًا أن فقه النوازل يختلف عن الفتاوى، بالرغم من أن كلتا اللفظتين تدل على معنى واحد، فالفتاوى كالنوازل، في تعبيرهما عن الفقه التطبيقي، أو في دلالتهما على دور الفقيه في إخبار المستفتي والسائل عن حكم الشرع في القضايا التي يسأل عنها، ولهذا تعددت المصطلحات الدالة على هذا المعنى، واستعملت ألفاظ النوازل والفتاوى والأسئلة والأجوبة.

وأرى أن من الأفضل أن نميز بين الفتاوى والنوازل، من حيث الدلالة. فالفتوى تفيد معنى الإخبار، وهو إخبار بحكم شرعي من غير إلزام، والمفتي هو الذي يخبر بالحكم الشرعي فيما يستفتى به عن المسائل، وينعدم دور المفتي في الفتاوى، لأن مهمته تتوقف عند حدود الأخبار، بخلاف النوازل فهي قضايا جديدة، والنوازل ما تنزل بالناس من وقائع مستحدثة، وعملية الاستنباط تتطلب ملكة اجتهادية، ويشترط في الإفتاء في فقه النوازل أن يكون المفتي مالكًا شروط الاجتهاد، من حيث العلم الذي يمكنه من النظر ومعرفة الأدلة والعدالة والقدرة على الاجتهاد وفهم اللغة العربية فهمًا جيدًا ليدرك دلالة الكلمة.

الفروق بين الفتاوى والنوازل

وبناء على هذا التعريف يمكننا إقرار ما يلي:

أولاً: يختلف لفظ الفتوى عن لفظ النازلة، والفتاوى ليست كالنوازل، وتختص النوازل بالوقائع المستحدثة، وتشمل الفتاوى كل أنواع الأجوبة الفقهية..

ثانيًا: يشترط في فقهاء النوازل ما لا يشترط في فقهاء الفتوى، فالفتوى إخبار، ولا يشترط في المخبر عن الحكم الشرعي أن يكون مؤهلاً للاجتهاد، بخلاف الإفتاء في النوازل فيشترط فيه أن يكون المفتي من أهل الاجتهاد، الذين عرفوا الأصول والفروع، والناسخ والمنسوخ، وما وقع الاختلاف فيه من الأحكام.

ثالثًا: يعد فقه النوازل الفقه التطبيقي الذي تراعى فيه المقاصد الشرعية والمصالح الاجتماعية في وقت واحد، وهو منهج يعتمد على الأقيسة فيما يتعلق بإلحاق الفروع بالأصول، كما يعتمد على مبدأ الاستحداث، وهو الذي تطبق فيه القواعد الأصولية المتعلقة بالمصالح المرسلة، فيما لم يرد فيه نص بالاعتبار أو الإلغاء، ومراعاة المصالح مقصد من المقاصد الشرعية، ولهذا ازدهر فقه النوازل في العواصم العلمية، وتصدى لهذا الفن الفقهي أعلام الفقهاء المشهود لهم بالمكانة والتميز.

ويعد فقه النوازل من أبرز جهود العلماء المتأخرين، الذين اهتموا بمباحث الفتوى، وضبطوا أصولها واشترطوا في المفتي أن يكون عالمًا بروايات المذهب، عارفًا بما وقع الاختلاف فيه، قادرًا على التمييز بين الصحيح والسقيم من الآراء.

ويجسد فقه النوازل الترابط الوثيق بين الفتوى والواقع الاجتماعي، لأن الفقيه النوازلي عندما يفتي بنازلة من النوازل فإنما يراعي أمرين:

أولاً: ارتباط الفتوى بالأدلة الشرعية، لكي تكون الفتوى في موطن القبول، ولهذا يحرص المفتي على إبراز أدلته النقلية أولاً، ثم يعتمد على الأقيسة المعتمدة.

ثانيًا: تجسيد الفتوى للقيم الإسلامية السائدة في المجتمع، بحيث يستجيب المجتمع لمضمون هذه الفتوى بقناعة يؤكدها الدليل، ومع هذا فإن النوازل غالبًا ما يقع الاختلاف فيها بين مؤيد ومعارض، وبخاصة إذا اختلفت البيئات الاجتماعية التي تسهم في تكوين فكر الفقيه.

ومن اليسير علينا أن نعرف أثر البيئة في تكوين الفقه النوازلي من خلال تتبعنا لآراء فقهاء النوازل في القضايا المتشابهة والمتماثلة.

ويلاحظ أيضًا أن فقه النوازل قد أسهم بطريقة مباشرة في إثراء الفقه الإسلامي بسبب ما تثيره الفتوى من آراء مؤيدة أو معارضة، تتمثل في تعقيبات متتالية، تتناول النازلة بالدراسة وإبداء الرأي.

ومن أمثلة القضايا التي تناولها فقه النوازل ما يلي:

حكم السعاية: والمراد بالسعاية هو الجهد المبذول من أحد الزوجين أو الأقارب لتنمية مال الآخر، فالزوجة عندما تعمل في مال زوجها، أو في أرضه أو فيما يعود نفعه

إليه تستحق أجرًا على ذلك، فإذا سعت المرأة في مال زوجها وأسهمت في تنمية هذا المال فإنها تشاركه في ملكية ذلك المال، فالمال الذي ينمو بجهد الزوج أو ينتقل إليه عن طريق الإرث أو الهبة فهو له، والمال الذي ينمو بجهد الزوجين معا فإنه يكون ملكًا لهما، وأفتى بعض علماء النوازل بأن المرأة تستحق أن تشارك زوجها فيما سعت فيه وبذلت فيه جهدًا، كالزراعة والحياكة والخياطة، وهو يشاركها في مالها إذا اشتغل معها في تنميته، ويستحق كل منهما أن يشارك الآخر بمقدار ما بذله من عمل..

ثانيًا: حكم بيع العنب لمن يعصره خمرا، وذهب معظم الفقهاء إلى عدم جواز هذا البيع، سواء كان المشتري مسلماً أو كافراً، وأجاز بعضهم ذلك، وأفتى آخرون أنه يجوز للمسلم أن يبيع عنبه من اليهودي والنصراني الذي يعصره خمرًا إذا علم أنه لن يبيعه إلى مسلم، ويحرم عليه بيعه إذا علم أنه سيبيعه لمسلم، وذهب بعضهم إلى أن بيع العنب لمن يعصره خمرًا أمر مكروه(1).

ينسجم الفقه النوازلي مع مقاصد الشريعة في احترامه مبادئ العدالة والقيم الأخلاقية الإسلامية، ويصحح ما يقع من تحريف للأحكام الشرعية

وحظيت المعاملات المالية والمبايعات باهتمام فقهاء النوازل، من حيث توافر شروط الصحة في هذه العقود، أو من حيث خلوها من الأوصاف الربوية، ولا نهاية للنوازل المستحدثة في المعاملات المالية، ففي كل يوم صور جديدة، وبخاصة في ظل تطور المعاملات، وتداخل أشكالها.

ومن اليسير علينا أن نلاحظ صوراً كثيرة في مجتمعنا، تحتاج إلى رأي الفقه فيها ولا يشترط فيها أن تكون مستحدثة، فقد تكون مستحدثة، وقد تكون قديمة، إلا أن السائل عندما تنزل به يعيد طرحها على الفقهاء، ويطلب منهم جوابا عليها.

وأهم ما يطرح الآن على الفقهاء من صور النوازل ما يلي:

- ما حكم الإسلام في الفوائد المصرفية، وهل هذه الفوائد من الربا المحرم أم لا ؟، وذهب معظم الفقهاء إلى عد الفائدة من الربا، وذهب آخرون إلى التفريق بين الربا والفائدة، كما ذهب بعضهم إلى التفريق بين الفائدة المضاعفة والفائدة المحدودة، وبين القروض الإنتاجية والقروض الاستهلاكية.
- ما حكم الإسلام في عقود التأمين: وهل هي من العقود المحرمة لوجود الغرر فيها، فالبعض عدها محرمة بسبب الغرر والبعض الآخر أجازها على أنها من صور العقود التعاونية التي تتم بين الأفراد لترميم الأضرار الواقعة على بعض المشتركين في هذه الاتفاقات.
- ما حكم الإسلام في زكاة الشركات والعقارات والمصانع.. والأسهم والسندات.
- ما حكم الإسلام في تحديد أسعار السلع والخدمات والأرباح، وهل يجوز للدولة أن تتدخل في تحديد الأسعار لحماية مصالح اجتماعية، أو أن تضع قوانين لحماية حقوق العمال وهل يجوز للدولة أن تؤمم المرافق الضرورية التي يحتاج إليها المواطن، لكيلا يقع استغلالها من طرف أفراد، فيتحكمون في أسعارها، بما يلحق الضرر بالمواطن.
- ما حكم الإسلام في تصور تقنيات الإنجاب، والإنجاب الصناعي واستخدام الأرحام الصناعية أو البشرية، للتغلب على بعض أشكال الخلل في الأبدان.
- ما حكم الإسلام في أثر التطور العلمي في ميدان الطب على ثبوت النسب في حالات التأكد من عدم قدرة الزوج على الإنجاب، أو في حالات وجود دليل علمي على عدم صحة النسب.

ولا حدود للنوازل، ويقف الفقيه في مواجهة هذه النوازل، باذلاً جهده في تخريج الحكم الشرعي السليم، مستعملاً معاييره القياسية، معتمدًا على المقاصد الشرعية، مراعيًا المصالح الاجتماعية، مؤكدًا قدرة الفقه الإسلامي على أن يجيب عن كل سؤال بما ينسجم مع القواعد الشرعية.

ولا يمكن للفقيه أن يقف عاجزًا صامتًا أمام هذه النوازل المعروضة عليه، كما لا يمكن له أن يتجاهل المصالح الاجتماعية، وهنا تبرز قيمة الفتوى من حيث قدرة المفتي على التخريج السليم والاستنباط الصحيح، والتشديد ليس فضيلة وكذلك التساهل، وتكمن الفضيلة في إيجاد الرأي الفقهي المعتمد على النصوص الذي يحقق المقاصد الشرعية، ولا يجد الناس فيه ما يضر بمصالحهم أو يتجاهل ما هم بحاجة إليه من أسباب ضرورية لاستمرار الحياة البشرية.

وليس من حق فقيه أن يجعل نفسه وصيا على غيره من الفقهاء، فالفقهاء متكافئون في حقوقهم، ويتميز بعضهم من بعض بالحجة والدليل، ولا قدسية لأفراد على غيرهم، والحجة هي السند الأقوى، ولا مكان لجاهل يتهم غيره بقلة الدين، متظاهراً بالغيرة على الشريعة، فالتفاضل بين العلماء قائم على أساس التفاضل العلمي، وليس على ادعاء الغيرة على الإسلام.

وسوف يظل فقه النوازل وهو فقه الفتاوى الساحة الرحبة لنمو قاعدة الاجتهاد، التي تغني فكرنا الإسلامي بالجديد من الآراء الفقهية، ولا يجدر بنا أن نخاف من تعدد الآراء، والرأي الأقوى يجد طريقه إلى العقول والقلوب، والرأي الذي لا يعتمد على أي دليل سرعان ما يسقطه النظر العلمي، في مسيرة علمية متواصلة، يبني صرحها نظر سديد، ويعلي بنيانها جيل يملك ناصية العلم والمعرفة.

الهوامش:

١- انظر النوازل لعيسى بن علي الحسني العلمي ٣٦٧/١

هل تتعلق الأحكام بالأعيان أو بالأفعال؟

أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري

قال أبو عبدالرحمن: هذه المسألة من عُقَدِ أصول الفقه، وجوهرها التحقيق في قابلية العين ذاتها للحكم الشرعي، وقبل الخوض في غمار التعليل للقابلية أوْ رَدِّها أسوق نصوصًا أصولية وأناقشها في جوانب أخرى؛ ليكون ذلك عونًا لي في النهاية على تمحيصٍ محقَّق للمسألة.

قال أبو إسحاق الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ) رحمه الله تعالى: «ومنها [أي من النصوص الشرعية المختلف في كونها مجملة] الألفاظُ التي علُّق فيها التحليل والتحريم على أعيان كقوله تعالى: حرمت عليكم الميتة. المائدة:٣. قال بعض أصحابنا: إنها مجملة؛ لأن العين لا توصف بالتحليل والتحريم، وإنما الذي وصف بذلك أفعالنا.. وأفعالنا غير مذكورة، فافتُقِر إلى بيان ما يحرم من الأفعال مما لا يحرم.

ومنهم من قال: إنها ليست بمجملة.. وهو الأصح؛ لأن التحليل والتحريم في مثل هذا إذا أطلق عُقل منه التصرفات المقصودة في اللغة.. ألا ترى أنه إذا قال لغيره: حرَّمْتُ عليك هذا الطعام عُقِل منه تحريم الأكل.. وما عُقِل المراد من لفظه لم يكن مجملاً»(١).

قال أبو عبدالرحمن: يجب عدم الخلط بين المجمل والعام.. والآية الكريمة المذكورة من سورة المائدة عامة غير مجملة.

وتعليق الحكم على العين متصور في العقل أن يأتي مجملاً، وذلك عندما لا يقبل العموم؛ فلابد من دليل معيِّن أو معيِّنات.

وصحيح قول الشيرازي رحمه الله: إن تحريم الطعام لا يُعقل منه إلا تحريم الأكل.. إلا أن آية تحريم الميتة غير متعين في كونه طعاماً، والأصل العموم حتى يقوم دليل على تخصيص، أو يقوم دليل على أن المراد خاص بعينه، أو يقوم دليل على عدم قابلية العموم؛ فيكون النص مجملاً؛ فنلتمس البيان.. والآية هنا قابلة للعموم بتحريم الأكل والانتفاع بصوفها وإهابها..إلخ؛ فلا نحيد عن هذا العموم إلا ببرهان.

وتابع الشيرازيَّ أبو حامد الغزالي، وعزا القول بأن الأعيان لا تتصف بالتحريم إلى قوم من القدرية، ثم قال: قوله تعالى: حرمت عليكم أمهاتكم. النساء:٢٣. وحرمت عليكم الميتة. المائدة:٣: ليس بمجمل.. وقال قوم من القدرية(٢): هو مجمل؛ لأن الأعيان لا تتصف بالتحريم، وإنما يحرم فعل ما يتعلق بالعين، وليس يُدرى ما ذلك الفعل، فيحرم من الميتة مسُّها، أو أكلها، أو النظر إليها، أو بيعها، أو الانتفاع بها؛ فهو مجمل.. والأم يحرم منها النظر، أو المضاجعة، أو الوطء، فلا يُدرى أيُّهُ؛ ولا بد من تقدير فعل.. وتلك الأفعال كثيرة، وليس بعضها أولى من بعض!

وهذا فاسد؛ إذْ عُرْف الاستعمال كالوضع؛ ولذلك قسمنا الأسماء إلى عرفية ووضعية(٣)، وقدمنا بيانها.. ومن أَنِسَ بتعارف أهل اللغة، واطَّلع على عرفهم: علم أنهم لا يستريبون في أن مَن قال: حرمت عليك الطعام والشراب: أنه يريد الأكل من دون النظر والمس.. وإذا قال: حرمت عليك هذا الثوب: أنه يريد اللبس.. وإذا قال: حرمت عليك النساء: أنه يريد الوقاع.. وهذا صريح عندهم، مقطوع به؛ فكيف يكون مجملاً؟!..

والصريح تارة يكون بعرف الاستعمال، وتارة بالوضع.. وكل ذلك واحد في نفي الإجمال»(٤).

المحرم الأكل

قال أبو عبدالرحمن: الآية من سورة المائدة ـ بلفظها من دون دلالة سياق، أو دليل من خارج ـ دالة على تحريم كل ما يتعلق بالميتة من فعل، ولكن دل سياق هذه الآية، ونص سياق آيات أخرى على أن المحرم الأكل، وإليكم البيان:

أ ـ قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله

إن كنتم إياه تعبدون * إنما حرم عليكم الميتة... البقرة: ١٧٢ - ١٧٣؛ فجاء تحريم الميتة في سياق ما يُستثنى من أكل الطيبات؛ فدل ذلك على تحريم أكل الميتة.

ب - قال تعالى في سياق الكلام عن الأنعام: كلوا مما رزقكم الله. الأنعام: ١٤٢. ثم قال تعالى: قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة. الأنعام: ١٤٥؛ فذكر ربنا الأكل، والطعم - وما يُطعم يؤكل - فدل ذلك على حرمة الأكل.

جـ - في آية المائدة هذه ذكر ربنا في سياق تحريم الميتة تحريم ما أكل السبع، ثم قال في الآية بعدها: فكلوا مما أمسكن عليكم. المائدة: ٤ فكان ذلك قرينة على أن الحكم للأكل.. وأول هذه الآية: يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات.. ثم قال في الآية بعدها: اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب. المائدة: ٥؛ فهذا سياق في الأكل.

قال أبو عبدالرحمن: إذن قام البرهان بالسياق والقرائن على أن الآية الكريمة عن تحريم أكل الميتة لا غير؛ فلا يحرم من الميتة غير الأكل، ولا يباح أكلُ أيِّ شيء ميت إلا ببرهان.. ولا يتسرعن متسرع؛ فيقول: هذا موافقة لمن قال: إن الآية غير مجملة، وإن المحرَّم الأكل لا غيره؛ فكيف مع هذا يجوز لي القول: إن الأصل تحريم ما يتعلق بالميتة من أفعالنا على سبيل العموم حتى يأتي مخصص، وكيف وافقت من قال: إن المحرم الأكل فقط.. مع قولي: إن الأصل العموم؟!.

قال أبو عبدالرحمن: لا مسامحة في الحقائق، ولا عبرة في موافقة المخالف في نتيجة دعواه - وهي أن المحرم الأكل فقط - إذا اختلف المأخذ البرهاني لنتيجة الدعويين المختلفتين؛ لأن للخلاف (وإن اتفقت نتيجة الدعويين المختلفتين) ثمرة، والعبرة بتحرير أصول البراهين؛ لأن نتائج الدعويين المختلفتين لن تكون متوافقة دائماً؛ إذن هناك فارق أصولي وفقهي من وجوه:

أولها: أنني أرى أن الآية الكريمة بذاتها عامة تدل على حرمة الأكل وغيره، والمخالفون يرون أن الآية بذاتها غير مجملة، بل متعينة في تحريم الأكل فقط.

وثانيها: أنه ثمة فرق بين العموم والإجمال أذكره إن شاء الله في مناسبة من كلام الأرموي وغيره.

وثالثها: من لم يفرق بين الإجمال والعموم - وإن قال: إن المحرم الأكل فقط - لا يلزمه القول: بأن الآية الكريمة غير مجملة (بمعنى غير عامة) بل يقول: هي في ذاتها مجملة - بمعنى عامة -، وإنما جاء بيان الخصوص من الخارج، وذلك هو دلالات السياق، والقرائن، ودلالة آية أخرى نصت على أن المحرم الطعم، وذلك وفق ما أسلفته آنفاً من دلالتي سورة البقرة وسورة الأنعام.

ورابعها: أنهم قالوا: إن الآية بينة بنفسها على تحريم الأكل.. فأما الشيرازي فقال: «لأن التحريم في مثل هذا إذا أطلق عقل منه التصرفات المقصودة في اللغة».

قال أبو عبدالرحمن: تحريم الانتفاع بالميتة من دون أكل منها من التصرفات المعقولة في اللغة.. إلا أن الشيرازي - رحمه الله - جعل المعقول تصرفاً واحداً هو الأكل، ولم يقم على هذه الدعوى برهاناً إلا بقياس مع الفارق، فجعل تحريم الميتة كتحريم الطعام الذي لا يعقل منه بذاته إلا تحريم الأكل.. وقد أسلفت الفارق بأن تحريم الميتة يعقل منه الأكل وغيره، وأن الطعام لا يعقل منه إلا الأكل.

وأما أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى - فادَّعى أن اقتضاء تحريم الميتة يعني تحريم أكلها في عرف الاستعمال.. والعرف كالوضع.

قال أبو عبدالرحمن: الوضع في المفردات مادة وصيغة وحرفاً.. أما الكلام المركب فلا وضع فيه إلا من ناحية الأصل في الدلالة النحوية خلال كلام مركب، وأما العرف فيجري في المفردات وفي الكلام المركب.. وها هنا لم يجر عرف اللغة بأن تحريم الميتة قاصر على تحريم أكلها؛ فيلزم الرجوع إلى الأصل، وهو قابلية الميتة لتصرفات أخرى غير الأكل؛ فلا يخصص عموم الدلالة إلا ببرهان.. ولم يُقم الغزالي - رحمه الله - برهاناً على أن العرف تحريم الأكل فقط إلا بقياس مع الفارق ناقشته فيما مضى من كلام الشيرازي.

وخامسها: أن الآية الكريمة من سورة المائدة دل سياقها وقرائنها مع دلالات الآيتين الكريمتين من سورتي البقرة والأنعام أنها على غير عمومها، وأن المحرم الأكل؛ فهل نلغي العموم اللغوي من هذه الآية - الدال على الأكل وغيره - بهذا التخصيص، أو نجعل الباقي على عمومه؟

ها هنا مذاهب:

أولها: أن الباقي على عمومه.

وثانيها: أن باقي العموم لاغٍ إلا ما اتفق عليه.. وهذا مذهب عيسى بن أبان الحنفي قاضي الموصل رحمه الله (ت: ٢٢٠هـ)(٥).

وثالثها: التفصيل: فإن كان النص مجملاً - أي لا يفهم المراد منه إلا ببيان برهان آخر - فنقف عند البيان.. وإن كان النص مفهوماً بلفظه، وأمكن استعماله على عمومه، فالباقي على العموم بعد وجود المخصص.. وإلى هذا ذهب أبو محمد ابن حزم رحمه الله.

ورابعها: الأخذ بالأخص من دون تقييد بما ذكره عيسى بن أبان.. وهذا يعني إلغاء باقي العموم بإطلاق(٦).

قال أبو عبدالرحمن: مذهب عيسى إلغاء باقي العموم إلا أن يأتي دليل على أن شيئاً من باقي ما كان عاماً باقٍ على عمومه.. ولكن عيسى حجَّر الدليل؛ فقصره على الاتفاق(٧) فقط.. والبرهان أعم من ذلك.

والمحقَّق عندي أن باقي العام المخصص على عمومه بشرط وجود الدليل على أن المراد التخصيص من العموم.. أما إذا كان الدليل - كما في آية الميتة - دالاً على أن العموم غير معتبر أصلاً (وهذا معنى قولهم: عموم يُراد به الخصوص): فالعموم لاغٍ حينئذ.

وأما مذهب الإمام أبي محمد ابن حزم - رحمه الله - في الإجمال فهو صحيح، ولكنه لا يَردُ على الآية الكريمة؛ لأنها ليست مما لا يُفهم بذاته؛ بل هي مفهومة بذاتها على سبيل العموم الممكن الأخذ به جميعاً، ولكن دل الدليل الخارجي على أنه عام يُراد به الخصوص.

وإذا استحال الأخذ بجميع العام: فلا يعني ذلك إسقاط العموم بإطلاق، بل يبقى عاماً ما أمكن الأخذ به جميعاً.

العموم غير مراد

قال أبو عبدالرحمن: هذا جواب إذا تأملته وجدته تمحيصاً للمذاهب الأربعة التي ذكرتها آنفاً.. وأضيف أنه من جعل آية الميتة من العام المخصوص منه، وأبقى الباقي على عمومه: لزمه أن النظر إلى الميتة حرام؛ لأن النظر من أفعالنا المتعلقة بالميتة المحرمة.. أما ما قررته من كون عموم الآية بذاتها غير مراد بدليل من خارج: فلا يلزم منه ترك الباقي - أي غير الأكل - على عمومه.. بل الباقي على الإباحة حتى يأتي دليل على أن الحكم غير الإباحة.

ومن الأدلة أيضاً على أن آية الميتة لا يُراد بها العموم حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - الصحيح المتفق عليه عندما مرّ على شاة لمولاة ميمونة ميتة، فقال: هلا أخذتم إهابها؛ فدبغتموه فانتفعتم به؟.. فقالوا: إنها ميتة.. فقال: إنما حرم أكلها.

فهذا نص من رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح على أن العموم غير مراد، وأن المحرم الأكل.. وقد جعل الله لبعض متعلقات الميتة غير الأكل حكماً بالنص، وما لم ينص عليه جعله مسكوتاً عنه حكمه الإباحة بعد الاجتهاد.. وهذا النص هو حديث عبدالله بن عكيم - رضي الله عنه - الذي رواه عبدالرزاق والنسائي - وهو حديث صحيح - قال: كتب إلينا رسول الله: ألا تستنفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب.. وعند عبدالرزاق: ألا تستمتعوا من الميتة بشيء.. فالاستمتاع محرم إلا ما استثني بالدباغ.. قال الإمام أبو محمد ابن حزم رحمه الله: «كل ما كان على الجلد من صوف أو شعر أو وبر فهو بعد الدباغ طاهر كله لا قبل الدباغ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أن على جلود الميتة الشعر والريش والوبر والصوف؛ فلم يأمر بإزالة ذلك»(٨).

تحريم الانتفاع بالميتة من دون أكل منها من التصرفات المعقولة في اللغة، إلا أن الشيرازي جعل المعقول تصرفاً واحداً هو الأكل من غير برهان

وسادس تلك الأمور عن ثمرة الخلاف: أنه لا بد من دقة المنهج؛ فإذا أصّل العالم أصلاً، وبتّ أنت في شك من صحته، ثم مثّل العالم لأصله بمثال صحيح عندك: فلا تأخذ الأصل مسلماً، بل انظر مدى موافقة الأصل - الذي هو دعوى حمل الأحكام المضافة إلى الأعيان على غير الإجمال أو العموم - للمثال (الذي هو ها هنا برهان لدعوى الأصل المذكور آنفاً)؛ فقد يكون المثال صحيحاً ببرهان خارج عن مقتضى الأصل المدّعى، وقد يكون غير منطبق على دعوى الأصل كما ها هنا؛ فإن تحريم الأكل فقط مثال لدعوى أن المضاف إلى الأعيان غير مجمل ولا عام.. وقد أثبتُّ بكل ما مضى من بحثي أن المحرم عام بذاته، وإنما كان العموم غير مراد بأدلة أخرى.

وسابعها: هذه المسألة الأصولية فيها عناصر متداخلة يجب التمييز بينها لمعرفة أحكامها، وهي:

أ- التمييز بين العام المخصص منه، والعام الذي يُراد به الخصوص؛ فالأول مثلاً يكون عاماً في التحريم؛ فيأتي دليل التخصيص بالإباحة لبعض أفراد أو أحوال المحكوم فيه بالحرمة، ويكون الباقي على عموم التحريم.. والثاني يكون مثلاً عاماً في التحريم؛ فيأتي الدليل بأن المحرم شيء من أحوال المحكوم فيه أو أفراده؛ فيكون الباقي على البراءة إلا بدليل آخر من الخارج؛ لأن العموم أصلاً غير مراد.

ب - من قال: إن الحرمة للأعيان ذاتها - وهي الميتات ها هنا -: فلا إجمال عنده في الحكم ولا عموم؛ لأن الميتة متعينة بذاتها.. ومن قال: الحكم للأفعال المتعلقة بالأعيان لا للأعيان: فليس من الحتمي أن يكون الحكم غير مجمل ولا عام، وإنما يكون كذلك إذا كان البرهان قائماً على فعل معين.

جـ - أن جمهور الأصوليين انصرفوا عن تحقيق المذهب الصحيح من القولين - أي هل الحكم للأعيان، أو للأفعال - بالاستدلال والاعتراض، وانصرفوا إلى قول واحد (وهو أن الحكم للأفعال)، وصرفوا التحقيق لمباحث الإجمال والعموم في الحكم في الأفعال المتعلقة بالأعيان.. وهذا نقص في التأصيل بل القسطاس: أن تحقق أي القولين أصح، ثم بعد ذلك تحقق ما يتصف به الحكم من إجمال أو عموم أو غير ذلك.

وأما الآية الكريمة عن تحريم الأمهات ضمن تحريم ذوات المحارم: فلو لم يرد إلا قوله تعالى: حرمت عليكم أمهاتكم. النساء:٢٣. لما فهم من ذلك بذاته تحريم النكاح من دون غيره، ولكن الله بيّن بالسياق أن المحرم النكاح، وما عدا النكاح فحكمه ما أسلفته من عموم يراد به الخصوص.. ودلالة السياق هي قوله تعالى: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً. النساء:٢٢. ثم قال ربنا عقب ذلك مباشرة: حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم...؛ فدل ذلك على أن الخبر عن النكاح، وذكر في ذلك الدخول وهو من متعلقات النكاح، وذكر الجمع بين الأختين وذلك من أحكام النكاح، وذكر في الآية التي بعدها الإحصان والسفاح والاستمتاع والأجور؛ فكل ذلك من أحوال النكاح، أو من معانيه، أو من أحكامه.. ثم ذكر في الآية بعدها نكاح المحصنات المؤمنات، وكرره، وذكر الأجور والإحصان والسفاح والأخدان، وعذاب الفاحشة؛ فكل ذلك عن النكاح.

ولقد سلف قول أبي حامد الغزالي رحمه الله: أن قول العربي: «حرمت عليك النساء» يعني تحريم الوقاع، وهو مما لا ريبة فيه في عرف العرب.

قال أبو عبدالرحمن: كلا ليس هذا في عرف العرب؛ بل يشمل متعلقات كثيرة كالنظر والمصافحة والخلوة والمجالسة والمؤاكلة..إلخ.. وإنما فُهم بسياق النصوص، والمعهود الشرعي، والسيرة العملية: أن تحريم غير ذوات المحارم يعني تحريم النكاح ودواعيه، وأن تحريم ذوات المحارم يعني تحريم النكاح، والنظر إلى العورة، ولا يعني تحريم المصافحة والخلوة والنظر وتقبيل الرأس والجبين واليد.

وقال أبو حامد الغزالي عن صريح الدلالة عند العرب: «والصريح تارة يكون بعرف الاستعمال، وتارة بالوضع.. وكل ذلك واحد في نفي الإجمال.

وقال قوم: هو من قبيل المحذوف كقوله تعالى: واسأل القرية. يوسف:٨٢. أي أهل القرية، وكذلك قوله تعالى: أحلت لكم بهيمة الأنعام.

المائدة:١. أي أكل البهيمة، وقوله تعالى: وأحل لكم صيد البحر. المائدة:٩٦. وهذا إن أراد به إلحاقه بالمجمل فهو خطأ، وإن أراد به حصول الفهم به مع كونه محذوفًا فهو صحيح، وإن أراد به إلحاقه بالمجاز فيلزمه تسمية الأسماء العرفية مجازًا»(٩).

قال أبو عبدالرحمن: أما قوله تعالى: واسأل القرية. فقد لخص شهاب الدين أبو العباس السمين الحلبي المذاهب في تبيان المسؤول تلخيصًا جيدًا في ثلاثة احتمالات.. قال:

«أحدها - وهو المشهور -: أنه على حذف مضاف تقديره: واسأل أهل القرية، وأهل العير.. وهو مجاز سائغ.. قال ابن عطية وغيره.

قلت: وهذا على خلاف في المسألة: هل الإضمار(١٠) من المجاز، أو غيره؟.. المشهور أنه قسم منه، وعليه أكثر الناس.. قال أبو المعالي: قال بعض المتكلمين: هذا من الحذف، وليس من المجاز؛ لفظة استعيرت ما هي له(١١).. قال: وحذف المضاف هو عين المجاز وعِظَمُهُ.. هذا مذهب سيبويه وغيره.. وحكى(١٢) أنه قول الجمهور.

وقال فخر الدين الرازي: إن المجاز والإضمار قسيمان لا قسمان؛ فهما متباينان.

الثاني أنه مجاز، ولكنه من باب إطلاق اسم المحل على الحال كالرَّواية(١٣).

الثالث: أنه حقيقة لا مجاز فيه؛ وذلك أنه يجوز أن يسأل القرية نفسها والإبل تجيبه؛ لأنه نبي يجوز أن ينطق له الجماد والبهائم»(١٤).

ولما أصَّل شيخ الإسلام ابن تيمية لنفي المجاز: كان تأصيله أن ما سُمي مجازًا - إذا ثبت استعماله في اللغة - فهو حقيقة، وإنما الاختلاف في الأحسن والأبلغ!!(١٥).. ثم قال عن هذه الآية الكريمة: «والصواب أن المراد بالقرية نفس المشتركين الساكنين في ذلك المكان؛ فلفظ القرية هنا أريد به هؤلاء كما في قوله تعالى: وكأيِّن من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم. محمد:١٣، وكذلك قوله تعالى: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة. هود:١٠٢، وقوله: وكأيِّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا. الطلاق:٨. ونظائره متعددة»(١٦).. ثم قال: «النهر كالقرية والميزاب ونحو ذلك.. يراد به الحال، ويراد به المحل؛ فإذا قيل «حفر النهر» أريد به المحل، وإذا قيل: «جرى النهر» أريد به الحال»(١٧).

قال أبو عبدالرحمن: والرأي الثالث الذي ذكره السمين ذكر الشوكاني الاستدلال له بقول سيبويه: «ومما يؤيد هذا أنه قال سيبويه: لا يجوز كلم هندًا وأنت تريد غلام هند»(١٨).

قال أبو عبدالرحمن: يلزم ها هنا ذكر كلام سيبويه بنصه.. قال: «ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جده: واسأل القرية التي كنا فيها، والعير التي أقبلنا فيها.. إنما يريد أهل القرية فاختصر.. وعملَ الفعلُ في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان هاهنا»(١٩).

وقال: «أما ما يضاف إلى الآباء والأمهات فنحو قولك: هذه بنو تميم، وهذه بنو سلول، ونحو ذلك.. فإذا قلت: «هذه تميم، وهذه أسد، وهذه سلول» فإنما تريد ذلك المعنى.. غير أنك إذا حذفت حذفتَ المضاف تخفيفًا كما قال عز وجل: واسأل القرية. ويطؤهم الطريق.. وإنما يريدون أهل القرية، وأهل الطريق. وهذا في كلام العرب كثير.. فلما حذفت المضاف وقع على المضاف إليه ما يقع على المضاف؛ لأنه صار في مكانه؛ فجرى مجراه. وصرفت تميمًا وأسدًا؛ لأنك لم تجعل واحدًا منهما اسمًا للقبيلة؛ فصارا في الانصراف على حالهما قبل أن تحذف المضاف ألا ترى أنك لو قلت: اسأل واسطًا كان في الانصراف على حاله إذا قلت: أهل واسط؛ فأنت لم تغير ذلك المعنى، وذلك التأليف إلا أنك حذفت.. وإن شئت قلت: هؤلاء تميم وأسد؛ لأنك تقول: هؤلاء بنو أسد وبنو تميم.. فكما أثبت اسم الجمع ها هنا أثبت هنالك اسم المؤنث.. يعني في «هذه تميم وأسد».

فإن قلت: «لِمَ لَمْ يقولوا: هذا تميم»؛ فيكون اللفظ كلفظه إذا لم ترد معنى الإضافة حين تقول: جاءت القرية.. تريد أهلها؟.. فلأنهم أرادوا أن يفصلوا بين الإضافة وبين إفرادهم الرجل؛ فكرهوا الالتباس»(٢٠).

إذا أصَّل العالم أصلاً، وبتَّ أنت في شك من صحته، ثم مثَّل العالم لأصله بمثال صحيح عندك: فلا تأخذ الأصل مسلمًا، بل انظر مدى موافقة الأصل للمثال

وقال أبو جعفر النحاس: «أي أهل القرية: قال سيبويه: ولا يجوز «كلِّم هندًا» وأنت تريد غلام هند؛ لأن هذا يشكل»(٢١).

وقفات

قال أبو عبدالرحمن: ها هنا وقفات:

الوقفة الأولى: أن أبا حامد الغزالي - رحمه الله تعالى - أورد آية: «واسأل القرية» في سياق أن آية: «حرمت عليكم الميتة» مثلها في حذف المضاف إليه.. وقبل التحقيق في دعوى هذه المثلية لزم تحقيق التأويل لآية «واسأل القرية» من جهة تعيين من هو المسؤول، أو ما هو؟.

الوقفة الثانية: الوجه الأول الذي ذكره السمين - وهو حذف «أهل» المضاف إلى القرية- والوجه الثاني (وهو أن المراد الأهل من باب إطلاق المحل والمراد الحالّ).. كلاهما وجه واحد لا وجهان، وهو الوجه المجاز؛ فإطلاق المحل تفسير لوجه المجاز، وتقدير «أهل» مضافًا محذوفًا إيضاح للحقيقة المرادة.

الوقفة الثالثة: ليس كل كلام قُدِّر فيه محذوف يعني بمجرد الحذف أن التعبير مجازي.. ولكن من الكلام المحذوف منه ما التعبير فيه مجازي، ويكون تعيين المحذوف مقدرًا لتعيين الحقيقة التي عُبِّر عنها بالمجاز.. وبهذه الوقفة ينحل الخلاف في كون الحذف من المجاز أو الحقيقة.

الوقفة الرابعة: قول بعضهم: «أن المراد سؤال القرية الجماد (المحل) وأن ذلك حقيقة لا مجاز؛ لأنه نبي.. إلخ»: فيه خللان:

أولهما: أن ذلك إلغاء لظاهر الكلام بلا مانع منه.. وظاهر الكلام هنا المجاز الذي هو إرادة الحال لا المحل.

وثانيهما: أن هذا الإلغاء للظاهر الراجح من ذات الكلام مقابَل بإعمال محتمل غير متعين؛ لأن جواز نطق الجماد للنبي آيةً من الله له مجرد احتمال

لإمكان ذلك إذا أراد الله، وليس مراداً متعيناً قام الدليل على تعينه؛ فيكون أولى من الظاهر.

قال أبو عبدالرحمن: ومن المعلوم أنه لا يجوز صرف الكلام عن ظاهره إلا عند تعذر الحمل على الظاهر، أو وجود برهان على أن المراد أمر معيَّن غير الظاهر وإن كان الحمل على الظاهر غير ممتنع.. وإذا تعذر حمل الكلام على ظاهره، ولم يوجد برهان على تعيين مراد من دون مراد، ولم يستطع النظر الترجيح بين ما يُحتمل ويصلح أن يكون مراداً فالحكم القطع واليقين بأن الظاهر غير مراد، وأن المراد بين أحد تلك الاحتمالات أو كلها بلا قطع.

الوقفة الخامسة: ليس من شرط المجاز أن يكون مما ثبت استعماله في اللغة؛ لأن المجاز لايزال يتجدد وإنما العبرة بصحة القرينة، وعدم المانع لغة سواء أكان ذلك المجاز من القديم الذي استعمله العرب، أم من الجديد الذي استعمله اللغويون والبلغاء وفق قوانين نمو اللغة العربية.

الوقفة السادسة: ليس كل ما ثبت استعماله في اللغة يكون حقيقة، بل أكثر المستعمل من المجاز لا الحقيقة.

ليس من شرط المجاز أن يكون مما ثبت استعماله في اللغة؛ لأن المجاز لايزال يتجدد وإنما العبرة بصحة القرينة

الوقفة السابعة: الأحسن والأبلغ لنقد الكلام وتقويمه بلاغة، وليس تعييناً للمراد - سواء أكان التعبير حقيقة أم مجازاً -.. وكم من كلام تعين المراد منه بغير الأحسن والأبلغ، وغاية ما هنالك أن مراد المعصوم كلامُه لا يتوقع إلا في الأبلغ الأحسن.

الوقفة الثامنة: لا شك أن المراد أهل القرية في الآيات التي ذكرها شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - وليس هذا محل الخلاف.. وإنما الخلاف في هذا التساؤل: مادام المراد أهل القرية فلماذا كان السؤال للقرية ذاتها في الخطاب، والخبر عن القرية ذاتها في الخطاب، وهذا الخطاب أهو مجاز، أم حقيقة؟!.

الوقفة التاسعة: إذا قيل هذا الخطاب مجاز: لزم بيان الحقيقة المرادة، ولزم إظهارها في تقدير الكلام، ولزم بيان وجه المجاز، ولزم وجه العلاقة المصححة للمجاز، ولزم بيان النكتة البلاغية المرجحة للخطاب المجازي.

الوقفة العاشرة: لا ريب أن إرادة أهل القرى في الآيات الكريمة التي ذكرها شيخ الإسلام هي ظاهر الكلام.. إلا أن ظاهر الكلام ليس هو الحقيقة لغة، بل يكون الظاهر هو المجاز في أكثر الكلام.. والخلط بين الظاهر وغير الظاهر، وبين الحقيقة وغير الحقيقة يوقع في اللبس.

الوقفة الحادية عشرة: ظاهر سياق شيخ الإسلام أن التعبير بالنهر كالتعبير بالقرية؛ فكلاهما قابل لإرادة المحل والحال؛ فإذا قيل: «حفر النهر» أريد به المحل.. وإذا قيل: «جرى النهر» أريد به الحال.

قال أبو عبدالرحمن: النهر اسم للماء إذا شق الأرض وجرى.. قال الإمام ابن فارس: «النون والهاء والراء أصل صحيح يدل على تفتح شيء أو فتحه. وأنهرت الدم فتحته وأرسلته؛ وسمي النهر لأنه ينهر الأرض.. أي يشقها»(٢٢).

وفي المصباح المنير: أن النهر حقيقة في الماء مجاز في الأخدود.

قال أبو عبدالرحمن: وهذا هو الصحيح وإن كان قول الأقلين، لأن أصل الاشتقاق المعنوي للمادة يحتمه.. وليس كل ما قاله الأكثرون يكون هو الأصوب؛ لأن الأكثرية تحصل بالاتباع والمسامحة والتكاسل عن التحقيق.

أما الأكثرية فجعلوا الأصل للأخدود لا الماء، ولا يساعدهم الاشتقاق على ذلك.. ومن العجيب أن الراغب الأصفهاني - وهو كثير المتابعة لمقاييس ابن فارس ولا يصرح بذلك - انطلى عليه مذهب الجمهور؛ فقال: «النهر مجرى الماء الفائض»(٢٣) إذن قولك: «جرى النهر» خبر عن بقية فعل الماء الذي شق الأرض؛ فالمراد الحال، وهو الحقيقة..

وقولك: «حفرت النهر» المراد المحل وهو المجاز. وسواء أأخذنا بمذهب الجمهور المرجوح، أم بمذهب الأقلية الراجح: فأحد الاستعمالين (المحل، أو الحال) حقيقة، والآخر مجاز.. وصفة الحقيقة دلالة المطابقة، والجمع لمعاني المادة.. ومحال أن يدل اللفظ الواحد على معنيين مختلفين دلالة مطابقة مع اتحاد الوضع.. هذا لا يوجد في بنية اللغة.

هذا ما يتعلق بالمجاز اللغوي والحقيقة اللغوية عن معنى المفردة.. ومحل الخلاف هنا المجاز الأدبي لا المجاز اللغوي، وهو جعل النهر والقرية محمولاً عليهما بالجريان والحفر والسؤال.. ولا مجاز في قولك «حفرت النهر» من ناحية تركيب الكلام الذي هو المجاز الأدبي سواء أكان المحل حقيقة لغوية أم مجازاً لغوياً؛ لأن الحفر - وهو المحمول - واقع حقيقة.

ولا مجاز أدبي في قولك: «جرى النهر» إذا كان النهر حقيقة في الماء.. وإن كان النهر حقيقة في المحل - وهو المرجوح - فثمة مجاز أدبي؛ إذا أسند الجريان للمكان الجامد، وهو حقيقة للماء.

الوقفة الثانية عشرة: قابلية الإسناد إلى المحل والحال - في النهر والقرية - أمر لا خلاف فيه، والتذكير به لا يدفع ثنائية الحقيقة والمجاز؛ لأن أحد الإسنادين حقيقة، والآخر مجاز مادام المحمول عليه على المعتاد؛ فإذا قلت: اسأل القرية - والقرية على المعتاد من معهودنا أنها جماد - فالتعبير مجاز أدبي إن أريد النطق بشهادة الحال، وهو مجاز أدبي إن أريد النطق بشهادة المقال؛ لأن الذي سينطق أهلها؛ فإن أنطقها الله إعجازاً فإسناد السؤال إليها حقيقة أدبية.

الوقفة الثالثة عشرة: نصوص الآيات الكريمات التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية تحتمل الحقيقة للحال والمحل معاً: إذا صح أن التدمير أصاب المكان؛ فيكون الهلاك والأخذ للقرى وأهل القرى معاً.. أما الأمر بسؤال القرية - والمراد منها النطق بالمقال لا بشهادة الحال - فالأصل في ذلك المجاز، وأن المراد أهل القرية، وأنه عبر بالمحل عن الحال لعلاقة مجازية وهي علاقة الظرف بالمظروف، ولابد مع العلاقة من نكتة بلاغية تسوغ أحسنية التعبير بالمجاز.

الوقفة الرابعة عشرة: النكت البلاغية غير محصورة، وهي تعرف بالاستنباط من السياق ومعقول الخطاب.. ومن أهم النكت أن أصل تسمية

القرية قرية آت من قرار الناس بها، وأنها مُعدَّة لذلك.. قال ابن فارس: «القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع(٢٤)... من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها»(٢٥).

وقد فلسف أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه «الخصائص» نكت المجاز، وحصرها في ثلاثة؛ فقال: «وإنما يقع المجاز، ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه.. فإن عدمت الثلاثة عدل إلى الحقيقة»(٢٦).. ثم قال عن الآية الكريمة: ومن المجاز في اللغة أبواب الحذف، والزيادات، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف.. نحو «واسأل القرية» ووجه الاتساع فيه أنه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله والتشبيه أنها شبهت بما يصح سؤاله؛ لما كان بها.. والتوكيد أنه في ظاهر اللفظ أحال بالسؤال على من ليس من عادته الإجابة؛ فكأنهم ضمنوا لأبيهم أنه إن سأل الجمادات والجمال أنبأته بصحة قولهم.. وهذا تناه في تصحيح الخبر»(٢٧).

قال أبو عبدالرحمن: ها هنا خطاب للقرية مباشر، وخطاب لأهل القرية مقدر.. وأسند السؤال إلى المكان؛ جرياً على عادة العرب في تجوزهم اللغوي؛ إذ يعبرون بالقرية عن أهل القرية؛ لكونها لا تكون قرية في تسمية اللغة إلا بأناس قارّين فيها، ولكون الخبر شاع في جميع سكان القرية؛ فكان تقدير الكلام بذكر كلمة «أهل» من دون بعض الأهل ممن عنده علم بالقصة.. وفائدة المجاز ونكتته إظهار شيوع الخبر.

أما دعوى إخوة يوسف أن الخبر لم يفت أي ساكن في القرية - إذا حملنا الكلام على إرادة جميع أهل القرية - فإسناد الخبر حقيقي، ومدى صدق الخبر أو كذبه لا علاقة له بالمجاز، لأن المتكلم قد يخبر عن صدق أو كذب بتعبير حقيقي.. ولكن الظاهر أن المراد شهرة الخبر وشيوعه لدى عدد يحصل بهم الشهرة والذيوع؛ فإسناد السؤال إلى الجميع مجاز آخر غير مجاز سؤال المحل والمراد الحال.

الوقفة الخامسة عشرة: اختلف كلام اللغويين في مفهوم العير - بكسر العين - قال الراغب: «العير القوم الذين معهم أحمال الميرة، وذلك اسم للرجال والجمال الحاملة للميرة»(٢٨).

وقال في القاموس وشرحه: «العير القافلة مؤنثة.. من عار يعير إذا سار، أو العير الإبل التي تحمل الميرة بلا واحد لها من لفظها، وقيل: العير قافلة الحمير، ثم كثرت حتى سميت بها كل قافلة؛ فكل قافلة عير؛ فكأنها جمع عير (بفتح العين)، وكان قياسها أن يكون فُعلاً بالضم كسُقُف في سَقْف إلا أنه حوفظ على الياء بالكسرة نحو عين.. أو كل ما امتير عليه - إبلاً كانت، أو حميراً، أو بغالاً؛ فهو عير»(٢٩).

وابن فارس - رحمه الله - جعل للمادة أصلين هما: التنوء والارتفاع، والمجيء والذهاب(٣٠).

قال أبو عبدالرحمن: والذي يظهر لي بالاستقراء أن الأصل واحد، وهو السير ذهاباً ومجيئاً عن قوة ونشاط، ثم اشتق من هذا المعنى بقية المعاني المجازية.

كما أن العير - بكسر العين - جمع عير بالفتح، وأن القافلة عير (بكسر العين)؛ لأنها تسير، ولأن فيها أكثر من عير (بفتح العين)، وأن التسمية مجازية؛ لأن الأصل الوصف، وأن دواب القافلة والرجال السائرين معها مشتركون في الوصف.

الوقفة السادسة عشرة: إسناد السؤال إلى العير إسناد إلى من يصلح له الخطاب من العير، وهم القوم، فهو مجاز أدبي، لأن العرف جعل العير مجموع القافلة من القوم والدواب، وهو مجاز لغوي؛ لأن الأصل الوصف لا التسمية.. ولا مجاز في إسناده إلى جميع القوم في القافلة؛ لأنهم شهود عيان.

الوقفة السابعة عشرة: الاتساع الذي ذكره ابن جني ليس هو غاية المجاز، ولكنه نتيجته وإن كانت عن غير قصد، وهو نتيجة تلقائية؛ لضرورة نمو اللغة.. وإنما غاية المجاز في كلام متكلم بعينه الغرضُ الذي قصده هو، وهو النكتة البلاغية.

> **ليس كل ما قاله الأكثرون يكون هو الأصوب؛ لأن الأكثرية تحصل بالاتباع والمسامحة والتكاسل عن التحقيق**

الوقفة الثامنة عشرة: أن التشبيه علاقة مجازية، وليس غاية؛ لأن التشبيه ممكن من دون تجوز..

والقرية المحل لم تشبه بالحال؛ لأنها لا تنطق مثله نطق مقال في معهودنا الذي هو الظاهر المعتاد.

الوقفة التاسعة عشرة: التوكيد ها هنا نكتة بلاغية، ولكن بغير ما ذكره ابن جني؛ إذ جعل إخوة يوسف عليه السلام على مثال من ضمنوا لأبيهم أن الجماد سينطق لو سأله.. وإنما النكتة توكيد شيوع الخبر حيث أسندوا السؤال لأهل القرية دون من حضر الواقعة.. وكان الأصل إسناد السؤال للقرية ذاتها؛ لما أسلفته من كون المراعى في تسمية القرية أن تكون محلولة بقوم قارّين.

الوقفة العشرون: الاختصار الذي ذكره سيبويه هو حذف «أهل»، وهو من ثمار المجاز، ولكن النكتة والمسوغ ما أسلفته من ارتباط اسم القرية بقوم حالين، ولتأكيد شيوع الخبر في أرجاء القرية.

الوقفة الحادية والعشرون: ليس قول سيبويه: «لايجوز كلم هنداً وأنت تريد غلام هند» دليلاً على أن المراد تكلم القرية الجماد بالمقال إعجازاً - كما زعم الشوكاني - رحمه الله - بل أجاز سيبويه - رحمه الله - بصريح عبارته إسناد السؤال إلى القرية المحل والمراد أهلها، ولم يحتمل نطق المكان.. وأنكر في موضع آخر - لا علاقة له بالآية - إسناد الكلام إلى هند والمراد غيرها.. وإنكاره محمول على فقدان القرينة وتخلف النكتة.. على أنه يجوز مجازاً بقرائن الأحوال إسناد الكلام إلى هند والمراد غلامها إذا صارت عظيمة التأثير عليه، وهو كثير التفويض إليها.

ولما ذكر النحاس إنكار سيبويه المثال بهند وغلامها في معرض تفسير الآية ظن الشوكاني - رحمه الله - أن سيبويه ذكر المثال في سياق كلامه عن الآية.

قال أبو عبدالرحمن: وبهذه الوقفات علمنا أن ما حكاه أبو حامد الغزالي من جعل آية سؤال القرية مثل آية تحريم الميتة من جهة حذف المضاف ليس بصحيح من جهة الحمل على حقيقة اللغة، لأن جزء الآية الكريمة عن تحريم الميتة يدل بذاته على كل فعل من المكلفين يتعلق بالميتة من دون حذف شيء من تلك الأفعال.. كما أن سياق الآية مع غيرها من سورة المائدة مع شواهد آيتي البقرة والأنعام دل على أن المراد الأكل وحده، وأن بقية عموم الأفعال غير مرادة.. وبعد البيان بأن العموم غير مراد أصبح المراد المتعيِّن غير منصوص عليه في الجزء من الآية، وأنه محذوف؛ فكان الإسناد إلى الميتة دون تعيين الأكل - وهو متعيِّن - من المجاز الأدبي من أجل الإيجاز اكتفاء بمعهود الشرع في سياق النصوص.. ونكتة الحذف الوهم تحريم عموم الأفعال: أن الحاجة إلى أكل الحيوان هي المقصودة في الغالب من وراء ذبحه، والأكل مباح في المذبوح ذبحاً شرعياً، فعلم أنه المحرم في الميتة؛ فكما أن الانتفاع تابع للأكل في المذكى تذكية شرعية، فكذلك هو في الميتة.. ولا يتوهم متوهم: أن الأكل هو الظاهر المتبادر في تحريم الميتة، بل الظاهر شمول كل فعل للمكلف يتعلق بها.. وإنما قلت: الأكل هو الغاية الأولى لذبح الحيوان.. فهو غاية الغايات في الانتفاع بالميتة؛ فكان ذلك نكتة بلاغية مسوغة لحذف الأكل المتعيِّن، ولم يكن مسوغاً لإسقاط الدلالة عليه؛ لأنه ليس هو الظاهر في اللغة؛ ولهذا نصب عليه الدلالة من خارج.. إذن ثمة فرق بين الغاية من ذبح الحيوان، وبين المتبادر من التحريم بإطلاق.. وهذه الغاية من مسوغات حذف الأكل المحرم.. لا لأن تحريم الأكل هو المتبادر، بل لأن غير الأكل غير مراد أصلاً بدليل من خارج؛ فالغاية مسوغة للحذف وليست دليلاً عليه، وإلى لقاء إن شاء الله.

المراجع والهوامش:

١ـ اللمع في أصول الفقه ص١١٤، تحقيق محيي الدين ديب، ويوسف علي/دار الكلم الطيب، ودار ابن كثير بدمشق وبيروت/الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ.

٢ـ قال أبو عبدالرحمن: المراد بعض المعتزلة كما سيأتي؛ لأن المعتزلة من القدرية الذين يجعلون للإنسان حرية الإرادة والقدرة على أفعاله، وبعكسهم الجبرية.

٣ـ قال أبو حامد في المستصفى من علم الأصول١٤٦/١ ط م مصطفى محمد بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦هـ: «الأسماء اللغوية وضعية وعرفية.. والعرفية باعتبارين:

أـ تخصيص العام بعرف الاستعمال من أهل اللغة كاختصاص الدابة بذوات الأربع مع أن الوضع لكل ما يدب.

ب ـ أن يشيع الاسم في غير ما وضع له كالغائط للعذرة، والوضع للمطمئن من الأرض، وذلك مجاز» أهـ بتصرف واختصار غير مخل.. ثم ختم بكلام غير مفهوم؛ فقال: «أما ما انفرد المحترفون وأرباب الصناعات بوضعه لأدواتهم فلا يجوز أن يسمى عرفياً؛ لأن مبادئ اللغات والوضع الأصلي كلها كانت كذلك (يعني فيما يظهر أنها وضعية)؛ فيلزم أن يكون جميع الأسامي اللغوية عرفية».

قال أبو عبدالرحمن: الكلام إما وضعي أصلي أولي حقيقي جامع يدل دلالة مطابقة، وإما مجازي غير جامع لمعاني المادة بدلالة مطابقة، ويدل بتضمن أو لزوم أو شبهية أو تخصيص، أو عموم يتجاوز ما وضع له.. ولابد لصحته لغة من علاقة، ولابد لمرجوحيته من دليل على إرادته، ولابد لتعليل إرادته من نكتة بلاغية.. فإن شاع الاستعمال - وذلك هو العرف العام - كان عرفاً عاماً قد يكون هو الحقيقة، وقد يكون هو المجاز.. وأعني بالشيوع غلبة الاستعمال.

وهناك عرف خاص - وهو المصطلحات العلمية - وهي مجاز بالتخصيص.. إذن إذا كانت جهة القسمة تاريخ الاستعمال فالكلام حقيقة ومجاز، ولا يكون المجاز قبل الحقيقة ألبتة.. وإذا كانت جهة القسمة المواضعة الحادثة بعد الحقيقة فالكلام: حقيقة، وعرف عام - قد يكون حقيقة، وقد يكون مجازاً - وعرف خاص (وهو اصطلاح العلماء وأهل الحرف والصناعات واكتشاف الموجودات التي لم يعرفها العرب)، وذلك هو الاصطلاح، ولا يكون إلا مجازاً.

٤ـ المستصفى ١٥٠/١.. قال أبو عبدالرحمن: الصريح في المفردة اللغوية: اصطلاح المتكلم، ثم غلبة الاستعمال وإن كانت الغلبة للمجاز، ثم الحقيقة، ثم المجاز غير غالب الاستعمال.. والصريح في كلام متكلم بعينه ظاهر مراده - سواء أكان بخطاب وضعي المفردات، أم بخطاب مجازي المفردة (وذلك هو المجاز اللغوي)، أو تركيباً - وذلك هو المجاز الأدبي -.

٥ـ هو تلميذ محمد بن الحسن.. من مؤلفاته: إثبات القياس، وخبر الواحد، واجتهاد الرأي، والعلل والشهادات، والعلل في الفقه.. انظر معجم المؤلفين لكحالة ١٨/٨ طبع دار إحياء التراث العربي.. قال أبو عبدالرحمن: ولا أعلم أن له مؤلفاً موجوداً الآن.

٦ـ انظر الإحكام في أصول الأحكام اج٣/٤٠١ - ٤١١ دار الكتب العلمية ببيروت.. قال أبو عبدالرحمن: ومهمة هذه الدار السطو على الكتب المنشورة، وتجريدها من التعليقات كلها أو بعضها من أجل التمويه.. وشاع ذلك في بعض المكتبات بالسعودية.

٧ـ الاتفاق في اصطلاحهم غير الإجماع، ويعني ما اتفق عليه الأئمة الأربعة.

٨ـ المحلى بالآثار ٣٢/١ ضمن المسألة رقم ١٢٩/ تحقيق الدكتور عبدالغفار سليمان البنداري، دار الفكر.

٩ـ المستصفى ١٥٠/١.. قال أبو عبدالرحمن: أغلب الأسماء العرفية من المجاز كما سلف بيانه في التعليق رقم ٣، فإلزام أبي محمد غير محرج؛ لأنه إلزام بلازم صحيح.

١٠ـ قال أبو عبدالرحمن: الإضمار أعم من الضمائر المصطلح عليها نحواً، وقد فرق الكفوي بين الإضمار والحذف؛ فقال: «الحذف إسقاط الشيء لفظاً ومعنى، والإضمار إسقاط الشيء لفظاً لا معنى.. والحذف ما ترك ذكره في اللفظ والنية كقولك: أعطيت زيداً، والإضمار ما ترك ذكره من اللفظ وهو مراد بالنية والتقدير كقوله تعالى: «واسأل القرية».. الكليات ص٣٨٤، وانظر ص١٣٥ - ١٣٦/مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ تحقيق الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري.

١١ـ الجملة غير واضحة، ولعل في الكلام نقصاً.

١٢ـ أي أبي المعالي.

١٣ـ قال أبو عبدالرحمن: هكذا في الأصل المطبوع بهذا الضبط القلمي، ولا ريب أنه تطبيع، وأن الصواب الراوية.. قال في القاموس وشرحه تاج العروس ٤٨٠/١٩ تحقيق علي شيري / دارالفكر سنة ١٤١٤هـ: «والراوية المزادة فيها الماء، ويسمى البعير والبغل والحمار الذي يُستقى عليه راوية على تسمية الشيء باسم غيره؛ لقربه.. هذا نص ابن سيده إلا أنه اقتصر على البعير.. وفي التهذيب الراوية البعير الذي يُستقى عليه، ووعاء الماء الذي هو المزادة إنما سمي راوية لمكان البعير الذي يحملها.. وقال الجوهري: الراوية البعير أو البغل أو الحمار الذي يُستقى عليه، والعامة تسمي المزادة راوية، وذلك جائز على الاستعارة، والأصل ما ذكرنا».. ونقل عن المصباح المنير: روى البعير الماء يرويه إذا حمله، فهو راوية، والهاء فيه للمبالغة.. ثم أطلقت الراوية على كل دابة يستقى عليها الماء.

ونقل عن شيخه الفاسي صاحب إضاءة الراموس: أن ظاهر كلام الفيروز آبادي إطلاق الراوية على الكل حقيقة.. وقيل: هي حقيقة في الجمل مجاز في المزادة.. وقيل بالعكس، وجمع الراوية الروايا.

وقال الإمام ابن فارس في مقاييس اللغة ص ٤٢٨ دار الفكر تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ: «الراء والواو والياء أصل واحد، ثم يشتق منه؛ فالأصل ما كان خلاف العطش».

قال أبو عبدالرحمن: الأصل شرب ما يكفي لإزالة الظمأ.. وعلى هذا يكون روى وراوية مجازاً في البعير وفي المزادة الحاملة للماء معاً، حصل التجوز بمعنى الحمل والتخصيص بالتسمية.

١٤ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٠٨/٤ تحقيق الشيخ علي محمد معوض وزملائه، دار الكتب العلمية، توزيع دار عباس الباز/الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ.

١٥ـ قال أبو عبدالرحمن: الأحسن والأبلغ قد يكونان صفة للحقيقة، وقد يكونان صفة للمجاز.

١٦ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٦٢/٢٠ - ٤٦٣.

١٧ـ مجموع الفتاوى ٤٦٤/٢٠.

١٨ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٥٦/٣ تحقيق أحمد عبدالسلام/دار الكتب العلمية/توزيع مكتبة عباس الباز.

١٩ـ الكتاب ٢١٢/١ تحقيق عبدالسلام هارون/ دار الكتب العلمية، تصويراً عام ١٤٠٨هـ ط م المدني أصلاً نشر مكتبة الخانجي.

٢٠ـ الكتاب ٢٤٧/٣.

٢١ـ إعراب القرآن ٢ /٣٤١، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد /عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية / الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٩هـ.

٢٢ـ مقاييس اللغة ص١٠٠٠.

٢٣ـ مفردات ألفاظ القرآن ص٨٢٥ / دار القلم، والدار الشامية الطبعة الثانية ص ١٤١٨هـ تحقيق صفوان عدنان داوودي.

٢٤ـ قال أبو عبدالرحمن: الاجتماع قد يكون مؤقتاً كالاجتماع في البر أياماً، ولا يسمى المكان قرية.

٢٥ـ مقاييس اللغة ص٨٨٣ - ٨٨٤.

٢٦ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٣٥٦/١ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه / دار الجيل ببيروت، ودار الفكر.

٢٧ـ المزهر ٣٥٧/١، وانظر تاج العروس ٧٠/٢٠.

٢٨ـ المفردات ص ٥٩٦.

٢٩ـ تاج العروس ٢٨١/٧.

٣٠ـ مقاييس اللغة ص٧٢٢.

استطلاع

عُمان

بصمات الماضي تزين الحاضر

هاشم الشريف



منظر لساحل مدينة صور

يظل الإنسان أسير المكان الذي يشده بعنف إلى دهاليز الأزمنة المتعاقبة التي تجسد حياة أقوام سطروا حكاياتهم التاريخية ومآثرهم، ثم رحلوا مخلفين وراءهم رائحة الزمن الذي ولج في مسام الأشياء. وبقدر عظم الحضارة وتمكنها تبقى منها بصمات مقاومة لتوالي الأزمان وتعاقب الدهور.

وحضارات عمان بعض من تلك الحضارات التي لا تزال شواهدها تنم على أسرارها وخباياها.

وزائر سلطنة عمان، يلحظ وبصورة واضحة مدى تأثير الموقع الجغرافي البحري في أهل عمان حيث تنفرد بموقعها المتميز الواقع على ثلاثة بحار هي الخليج العربي وخليج عمان وبحر العرب المؤدي إلى المحيط الهندي.

وكان البحر هو الطريق الأمثل لأهل عمان من أجل الاتصال بالعالم الخارجي. فلم يكن من السهل على العمانيين الاتصال ببقية أجزاء الجزيرة العربية ولا سيما الداخلية منها بسبب العائق الطبيعي المتمثل في مفازة الصيهد (الربع الخالي).

فكان البحر هو الطريق الأسهل الذي سلكه العمانيون بسفنهم التجارية محملة بالبضائع بين موانئ الهند والصين شرقًا، وموانئ الخليج العربي شمالاً، وموانئ البحر الأحمر وشرق القارة الإفريقية وجنوبها غربًا.

تاريخ عمان شهد كثيرًا من الحضارات المتعاقبة التي لكل منها شواهدها وبصماتها الدالة عليها



قاعة العرض في قلعة الجلالي



باب أحد المتاحف



منظر داخلي لقلعة نخل وهو مجمع حاكم قلعة نخل

وتاريخ الملاحة العمانية حافل بالأسماء اللامعة التي كان لها الفضل في بعض الكشوفات البحرية المهمة، وعلى رأسهم البحار - أحمد بن ماجد - الذي يعود إليه الفضل في اكتشاف رأس الرجاء الصالح والذي نسب إلى القبطان البرتغالي - فاسكو دي غاما.

وكأن الله - سبحانه وتعالى - استجاب دعوة رسوله - صلى الله عليه وسلم - لأهل عمان؛ وذلك كما ورد في حديث الصحابي مازن بن غضوبة حيث قال: «قلت يارسول الله صلى الله عليك وسلم ادع الله تعالى لأهل عمان: فقال: اللهم اهدهم وأثبهم، فقلت: زدني يا رسول الله، فقال: اللهم ارزقهم العفاف والكفاف، والرضا بما قدّرت لهم. قلت يا رسول الله: البحر ينضح بجانبنا، ادع الله في ميرتنا وخُفّنا وظلْفنا، قال: اللهم وسّع عليهم في ميرتهم، وأكثر خيرهم من بحرهم، قلت زدني، قال: اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم، قل يا مازن: آمين».

وأدّى موقع عمان إلى دفع بعض القوى الأوربية إلى التفكير في السيطرة عليها ومحاولة مدّ نفوذها على البلاد، وكان أول

تلك القوى هي القوة البرتغالية التي سيطرت على ساحل عمان في عام ١٥٠٧م. ولكن العمانيين بقيادة اليعاربة قاوموا الاستعمار البرتغالي إلى أن أجلوه عن بلادهم في عام ١٦٥٠م تاركًا المجال لقوى استعمارية أخرى آخذة في التوسع. وكان لموقع عمان المتميز إغراؤه الخاص للأطماع الاستعمارية.

ولكن اليعاربة نجحوا في بناء أسطول قوي أخذت ترهبه القوى الاستعمارية، وتتحاشى الاشتباك معه. وأخذ هذا الأسطول بمطاردة البرتغاليين في مستعمراتهم في الهند وجنوب آسيا، وأجلوهم عن كثير منها.

كما كان للتجار والأساطيل العمانية دور بارز في نشر الإسلام واللغة العربية في الشرق الإفريقي والجنوب الآسيوي.

ولكن الانشقاقات الداخلية التي بدأت تضعف من سلطة اليعاربة، وانصرافهم إلى الصراعات العائلية قد أدت إلى إغراء بعض القوى الخارجية بمد نفوذها على البلاد فكان الاستعمار الفارسي نتيجة لتلك الصراعات.

ولكن الله عز وجل قد قيض الإمام أحمد بن سعيد (جد آل بوسعيد) لمحاربة الفرس، فالتف حوله أهل البلاد، وأخذ يطارد الفرس من مكان إلى آخر حتى أجلاهم عن جميع البلاد. بعدها قام أهل العقد والحل بانتخابه إمامًا لعمان ليبدأ عهد آل بوسعيد.

وفي عهد السلطان سعيد بن
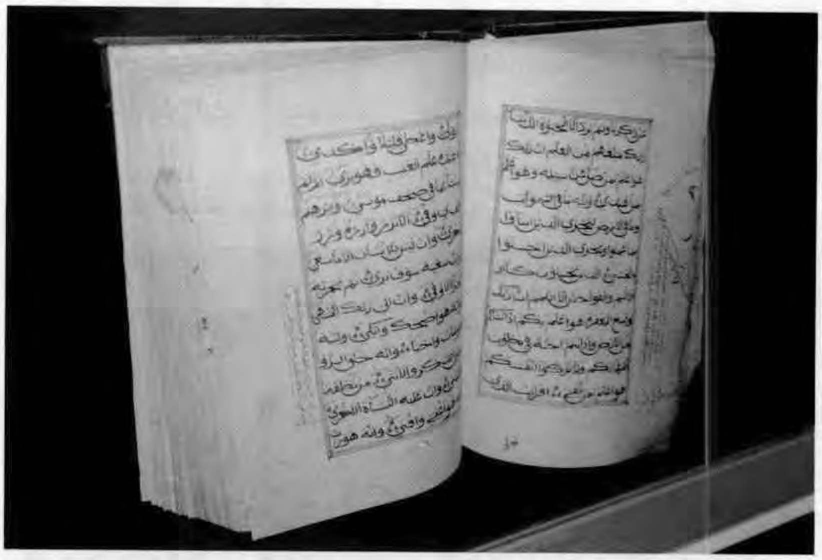
أدّى موقع عمان إلى دفع بعض القوى الأوربية إلى التفكير في السيطرة عليها ومحاولة مدّ نفوذها على البلاد



سوق شعبي ويظهر السقف المشغول بسعف النخيل

سلطان آل بوسعيد شهدت عمان تطوراً وتوسعاً لم تشهدهما من قبل.

ولكن مالبث الخلاف أن دب بين ابني السلطان سعيد بعد وفاته فاستقل ماجد بحكم زنجبار وممباسا ومدغشقر. بينما استقل ثويني بحكم عمان.





مخطوطتان من متحف التراث القومي

وقد استمر الحكم العربي في زنجبار وما يتبعها حتى عام ١٩٦٤م إلى أن انتهى بالانقلاب الذي قاده (كرومي) ضد حكم آل بوسعيد. وقد قتل في ذلك الانقلاب آلاف العرب، وهاجر مثلهم، وعاد بعضهم إلى عمان. ونتج من ذلك الانقلاب قيام جمهورية تنزانيا.

لم يخطئ ابن بطوطة

على ضوء هذه الخلفية التاريخية العريقة بدأت زيارتنا إلى عُمان لاستكشاف خبايا وبقايا هذا التاريخ العريق الذي ما انفك يطبع تاريخ عُمان المعاصر.

من مدينة الرياض بدأت الرحلة إلى عُمان وقد استغرقت عن طريق الجو ساعة وخمسًا وأربعين دقيقة، حطت بعدها الطائرة في مطار السيب في مسقط.

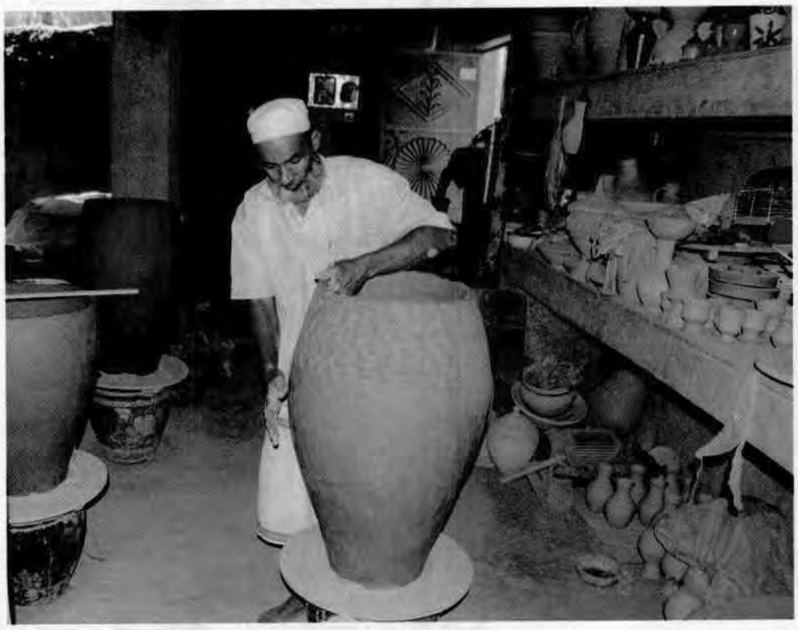
لقد كنا متأهبين تمامًا لمباشرة مهمتنا الاستطلاعية في ربوع عمان مزودين بالمعلومات الضرورية التي تحدد تلك الأماكن والمواقع المقرر زيارتها حسب الأهمية التاريخية والحضارية.

ولإدراكنا التام أن عمان (ذلك البلد التاريخي) يزخر بما يفوق الحصر من المعالم التي لا تزال تحتفظ بسماتها، وأشكالها الطبيعية، فلم نفكر بأبعد من المسح الجغرافي للمواقع التاريخية المراد زيارتها. وعندما حطت الطائرة على أرض المطار كان كل شيء يبدو عاديًا، ما عدا ذلك المنظر الخارجي الجميل الذي بدا يتراءى لنا كلما اقتربنا من مسقط.

وبصفتنا باحثين عن المتميز مما يمكن نشره وتقديمه إلى القارئ الكريم، فأول ما يلفت النظر يمكن في ذلك الترحيب الزائد والحفاوة الكبيرة اللذين استقبلنا بهما من قبل العاملين في المطار، مما ينمّ على أخلاق متأصلة في العمانيين تستحق الإشارة إليها والإشادة بها على الرغم من الافتراض الأول المتمثل في سلوكيات المهنة وما تتطلبه مقابلة الجمهور، لولا أننا لسنا ذلك السلوك لدى كل من



مدينة مسقط ويظهر مسجد السلطان قابوس



أحد مصانع الفخار التقليدية بمدينة بهلا

قابلناه من العمانيين حتى في الشارع مما كشف لنا عن حسن الطوية وسلامة المخبر. والتعامل مع الآخر في حدود الآداب والسلوكيات العربية الأصيلة الحافلة بالمروءة والكرم والشهامة. فكل من قابلنا كان ينزع إلى ذلك بلا تكلف أو حسابات تخرج عن ذلك الطابع المتأصل. وهذا بالضبط ما يذكرنا بقول الرحالة العربي ابن بطوطة عندما وصف أهل عمان «بالتواضع وحسن الخلق وفضيلة محبة الغرباء».

وكانت لهذه البوادر الطيبة أبلغ الأثر في نفوسنا مما جعلنا نشعر أننا كنا بين أهلنا وإخواننا مما أزال كل الحواجز، وأبعد الحرج في التعامل مع مضيفينا، وكانت الجسر الأول الذي بدأت عليه أولى خطوات الرحلة إلى (إبليتا) كما سمّاها الكلدانيون الذين استوطنوها بعد السومريين منذ ما يربو على ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وللتاريخ هنا باع طويل. واللافت فيه هو أن للعمانيين الفضل الأول في استخراج النحاس إبان استيطان السومريين لعمان. وتاريخ عمان شهد كثيراً من الحضارات المتعاقبة والتي لكل منها شواهدها وبصماتها الدالة عليها التي ذكرها المؤرخون مما لا يسعنا ذكره تفصيلاً. بيد أن التاريخ العميق لعمان لا يزال يحتفظ بسماته وكثير من تفاصيله الدقيقة في أكثر الشواهد والمعالم الأثرية. وهو دليل صادق على حب العمانيين لبلادهم وتاريخهم. ومحافظتهم على تلك الثروة الأثرية الطائلة.

فهم لا يفتؤون يقدمون المعلومات بما تحويه من تفاصيل دقيقة للسائح بلا ملل أو تهرب من مسؤولية.

وإلى جانب قيامهم بواجبهم الوطني على الوجه الأكمل فإن أثر التعليم واضح في أساليب حياة أهل عمان اليومية حيث الالتزام التام بالأنظمة، واحترام القوانين، والاهتمام بالوقت، والانضباط في كل شيء مما يوجد لدى الضيف شعور الاطمئنان مصحوباً بالاحترام الشديد لهم.

عصور تتلاحق وتتلاحم

كنا نظن أننا سنذهب إلى مدن تاريخية متناثرة، وربما متباعدة، ولكن الإثارة الطاغية هو ما شاهدناه من حضارة وتطور في كل المجالات.

فعلى صعيد المواصلات ترى الطرق الفسيحة ذات المسارات المتعددة والتي تربط أجزاء البلاد بعضها ببعض قد شقت على الرغم من طبيعة البلاد الجبلية الوعرة في بعض أنحائها. وبطريقة توائم بين القديم والحديث حيث تشاهد، وأنت في الطريق، بعض الأبراج والقصور الأثرية، والمعالم الأخرى المختلفة. حيث إنك لا تحتاج إلى الذهاب بعيداً بحثاً عن معالم التراث العماني وموجوداته. فكثير منه في المتناول ويسهل الوصول إليه لوقوعه في قلب المدن.


عين الكسفة بمدينة الرستاق


جانب من مجرى فلج دارس بمدينة نزوى

وأيًا كان فإن من يسعفه الحظ في التجوال في أنحاء عمان لا يمكن إلا أن تقع عينه على أثر هنا أو شاهد هناك يحكي تاريخ الأمم التي عاشت هناك منذ العصر الحجري حتى العصر الحديث.

ومن تلك الآثار والشواهد ما هو موجود في مكانه على الطبيعة كالذي عثر عليه في منطقة القرم، حيث عثر على بعض المقابر وبقايا أمتعة شخصية في إحدى ضواحي مدينة مسقط يعود تاريخها إلى الألف السادس قبل الميلاد. كما عثر في موقع بات قرب (عبري) على فخار مماثل لذلك الذي عثر عليه في جبل (حفِّيت) قرب مدينة العين وفي جزيرة (أم النار) قريبًا من أبو ظبي. وفي


بركة الموز


بوابة لا تزال قائمة على سور مدينة بهلا القديمة

منطقة (الوطية) بمدينة مسقط عثر على ما يعتقد بأنها أقدم مستوطنة تعود إلى العصر الحجري في شرق شبه الجزيرة العربية، ويعود تاريخها إلى عشرة آلاف سنة. ومن بين المعثور عليه في هذا الموقع بعض الأدوات الحجرية، وعظام الحيوانات، وقطع الفخار، ومواقد النار، إضافة إلى بعض النقوش والرسومات التي تصف عمليات الصيد والقنص.

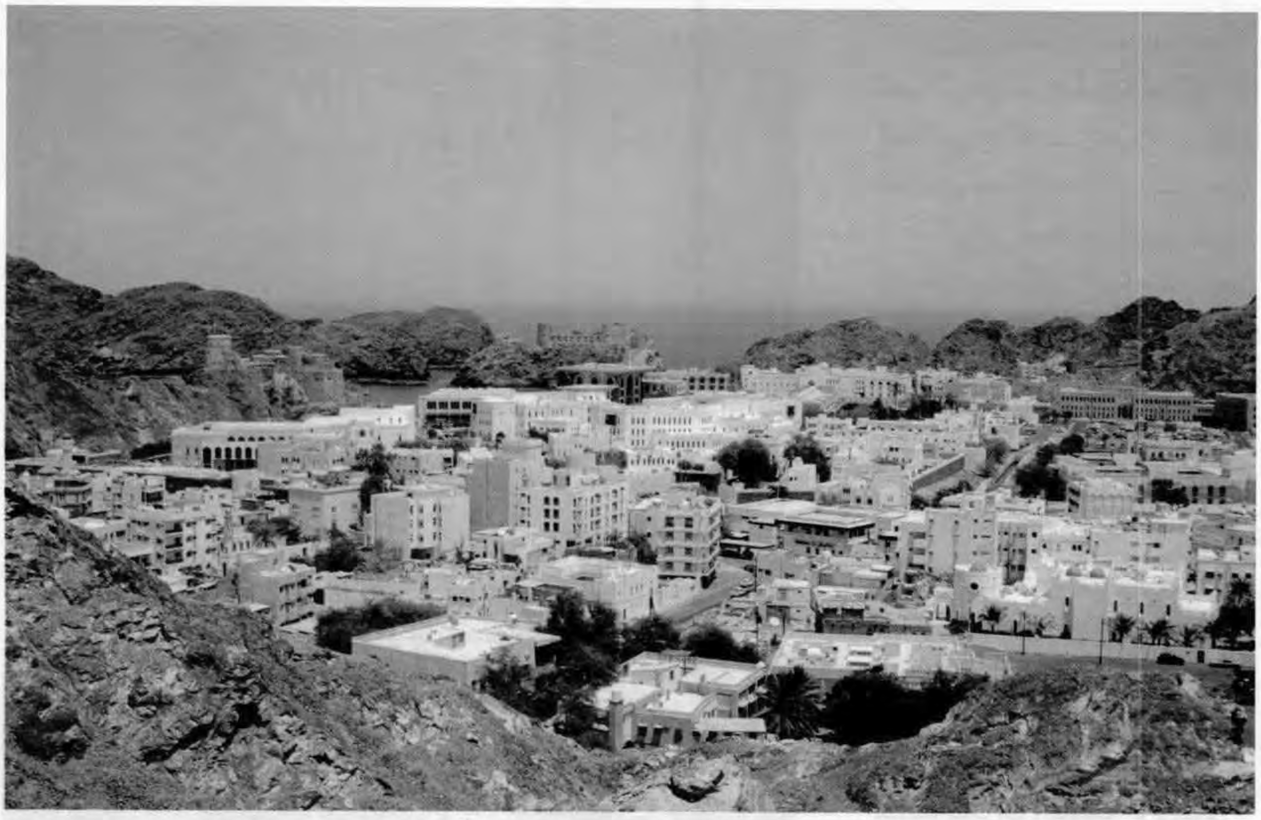
وكم هي متعة ساحرة تلك التي سيجدها السائح متنقلاً بين الحصون والقلاع والأفلاج المنتشرة في جميع أنحاء البلاد طولاً وعرضاً، أدرجت أكثرها ضمن قائمة التراث العالمي مثل حصن بهلا، وموقع بات، وغيرها كثير.

ومن بين القلاع العمانية قلعة الجلالي في مسقط وتسمى كوت الجلالي أو الكوت الشرقي، وقد شيدت هذه القلعة في نحو عام ١٥٨٧م إثر استرداد البرتغاليين لمسقط. ويقال: إنها سميت بالجلالي نسبة إلى القائد الفارسي الذي احتلها في عام ١٧٣٧م.

وتحظى القلعة باهتمام بالغ من قبل السلطات العمانية حيث خصصت قاعة داخلية بها تحتوي على وسائل عرض تحكي قصة مراحل التاريخ العماني بكل خصائصه عبر العصور المتعاقبة. ويجد الزائر المتعة والفائدة في هذه القاعة حيث يشاهد ويسمع من خلال وسائل عرض الصوت والصورة استعراض مراحل التاريخ العماني، وهو جالس في مكانه.

ومما يلفت النظر في هذه القاعة وسيلة التكييف التقليدية، حيث علق في سقفها صف من قطع الخيش الملوّن، وبطريقة التنقيط تبلل هذه القطع بالماء، ويتم تحريكها بواسطة قضيب من المعدن متصل بذراع ينتهي بعجلة يديرها رجلان، ولعل الصورة المرفقة تعطي توضيحاً كافياً لها.

ومن قلاع مسقط الشهيرة قلعة (الميراني) وتسمى الكوت الغربي. وهي كقلعة الجلالي حيث أخذت اسمها من اسم احد القادة الفرس إبان احتلالهم لمسقط عام ١٧٣٧م.



منظر عام لمدينة مسقط



بيت تقليدي في إحدى قرى الجبل الأخضر

ويقال: إن الذي أمر ببناء هذه القلعة هو الملك الإسباني الذي احتل البرتغال عام ١٥٧٨م. وقد تم بناؤها في عام ١٥٨٧م. وهي مشغولة الآن من قبل بعض المكاتب الحكومية.

ومن القلاع في مسقط قلعة مطرح الواقعة قرب سوق مطرح. ومطرح منطقة قديمة لا تزال تحافظ على طابعها القديم. فسوقها قديم ضيق الأزقة، متشعب الممرات، مسقوف بسعف النخيل المشغول والمزركش، وتكثر فيه الدكاكين الشعبية بما تعرضه من سلع مثل العطارة، والصناعات الشعبية كالصيغة والأزياء الشعبية، والأسلحة البيضاء...إلخ

ومن معالم مسقط (بيت الفلج) الذي حول بأمر السلطان قابوس إلى متحف القوات السلطانية الذي تحكي كل قاعة من قاعاته وكل ناحية في ساحاته عن مرحلة من مراحل التاريخ العسكري للبلاد.

فكأن الزائر يمر عبر مراحل التاريخ في أثناء جولته في هذا المتحف ليرى ويسمع أهم الأحداث في كل مرحلة وأسلحتها.



إحدى قرى الجبل الأخضر



سوق لبيع المواشي والبضائع الشعبية بمدينة نزوى

إلى ولاية نخل

في الطريق من مسقط إلى مدينة نخل لاتشعر أنك قد خرجت من مدينة إلى أخرى فالقرى والمزارع والعمران على طول الطريق تقريباً، ومما يلطف من حرارة الشمس اللاهبة اتساع المساحة الخضراء على مد البصر.

وكان وصولنا إلى مدينة نخل في ساعة الظهيرة وقت انصراف التلاميذ الصغار من مدارسهم، فتراهم في الطرقات والحافلات بأزيائهم المدرسية ووجوههم الطفولية البريئة.

ومن ميزات مدينة نخل كثرة المزارع المتشابكة، وأغلبها مزارع النخيل. وكان حصن نخل موضوعًا على جدول الزيارات السياحية فلم تتوقف سيارتنا حتى وصلنا إلى مشارف حصن نخل. وهو حصن كبير يقع فوق ربوة صخرية تطل على مدينة نخل المترامية حولها. وللحصن سور يحيط به، وتقوم عليه أبراج دفاعية بها مدافع مأخوذة من خام الحديد، كما هو موجود في الطبيعة، ونحت على شكل مدفع، أما ذخيرته فهي عبارة عن قذائف كروية من خامة

تتميز مدينة نخل بمزارعها المتشابكة وحصنها العتيق الذي يعود إنشاؤه إلى العصر الجاهلي



منظر جانبي لأحد شواطئ مدينة مسقط وتظهر إحدى القلاع



منظر لمدينة مسقط قريباً من شاطئ الغوصي



منظر من القلعة لمدينة نخل

المدفع نفسها. وفي الحصن أجنحة وأدوار متعددة، فهناك الجناح الخاص بممارسة الحكم وما يتبعه من مكاتب، وهناك جناح خاص بسكن الحاكم وعائلته، وجناح القاضي، وغرفة القاضي. وهناك جناح استقبال الضيوف والزوار، وغرفة المكتبة، وغرف الدرس.

كما يوجد به ملاحق للمدافعين عن الحصن، وملاحق الخدم، وسجن لمعاقبة الخارجين على القانون.

أما بناء الحصن فيعود أصله إلى العصر الجاهلي، ولكن أدخلت عليه بعض الزيادات والإضافات على مر الأيام. وقد شهد الحصن منذ سنوات عملية ترميم شاملة أعادت له رونقه وجماله.

وبعد انتهاء جولتنا في الحصن انطلقنا إلى عين الثوارة الواقعة في سفح الجبل غير بعيد عن الحصن. وهذه العين جدول يفيض في مواسم الأمطار، ويسقي المزارع والدور الواقعة حولها.

الرستاق وقلعتها

ومن ولاية نخل انطلقنا إلى ولاية الرستاق، حيث توجد قلعة الرستاق، وهي قلعة قديمة جداً لا يعرف على وجه الدقة تاريخ إنشائها، ويعتقد أنها - كقلعة نخل - جاهلية المنشأ، مر بها مامر بسابقتها من زيادات وتحسينات،

ويمر بهذه القلعة فلج خاص بها يكفيها ومن بداخلها حاجتهم من الماء. وهذه القلعة تطل على مدينة الرستاق من جميع جهاتها، وهي حصينة ومتعددة الأبراج الدفاعية، حيث يصعب على أي جيش اقتحامها لما بها من استحكامات دفاعية متينة.

وعلى مرمى منها تقع عين الكسفة ذات الماء الحار، وهي من أشهر أفلاج عمان. وتروى حول هذه العين قصة طريفة رواها لنا أحد أهالي المدينة. وفحوى هذه القصة أن أحد الغزاة قد هم بغزو المدينة، فحاصرها فترة طويلة من دون أن يتمكن من اقتحامها. فأشارت عليه ذات يوم إحدى النساء التي كانت ترعى ماشيتها بأن يعمد إلى أصواف الماشية وجلودها ليسد بها عين الفلج الذي يمد البلد بالماء (عين الكسفة) فما كان منه إلا أن عمد إلى الاستيلاء على ماشيتها فذبحها على بكرة أبيها تصديقًا لقوله تعالى: *«ولايَحيقُ المكرُ السيِّئُ إلاّ بأهله»* **فاطر**:٤٣ وفعل بأصوافها وجِلودها ما أشارت عليه به تلك المرأة. ولكن مالبثت العين أن تفجرت من كان آخر.

وعلى مجرى هذه العين توجد حمامات رجال وأخرى للنساء يأتي إليها طالبو العلاج والاستحمام بالماء الحار. وبعد انتهاء الجولة في مدينة الرستاق ذهبنا إلى فندق سياحي جميل



مدينة مسقط



أحد شواطئ مدينة مسقط

قريبًا من شاطئ البحر، لنستريح، ونتناول طعامنا. وقبل ذلك ذهبنا إلى الشاطئ، وركبنا زورقًا أخذنا في جولة على الجزر الصخرية ذات التكوينات الطبيعية الخلابة.

بهلا ونزوى والجبل الأخضر

ومع حلول المساء كنا قد عدنا إلى مسقط لنستعد إلى الجولة الثانية التي ستأخذنا إلى ولاية بهلا، وولاية نزوى والجبل الأخضر.

كنا قد غادرنا مسقط بعد ظهر اليوم التالي متجهين إلى مدينة نزوي مارين بعدد من المدن والقرى والأودية القريبة من سلسلة الجبل الأخضر المكون من صفائح صخرية هائلة الحجم بعضها فوق بعض حتى ارتفاعات شاهقة. وقبل وصولنا إلى مدينة نزوى دخلنا بركة

الموز، وهي بلد زراعي تكثر فيه أشجار الموز، إضافة إلى المزروعات الأخرى، وأهم أفلاج هذه المدينة فلج البركة والذي يتميز بدقة نظام الري وتوزيع الحصص المائية فيه. وينقسم مجراه الرئيس في نقطة التوزيع الأولى إلى ثلاثة مجار يتوزع فيها الماء بالتساوي. وبعد جولة قصيرة في بركة الموز شاهدنا خلالها قلعة البركة واصلنا مسيرنا إلى نزوى القريبة، وكان المساء قد حلّ، فذهبنا إلى الفندق الواقع على مدخل المدينة، وأمضينا ليلتنا فيه. وفي الصباح انطلقنا من الفندق إلى مدينة بهلا مخترقين مدينة نزوى التي سنعود إليها ثانية، وعندما وصلنا مدينة بهلا ذهبنا إلى مكتب الوالي الذي كان في انتظارنا، وبعد أن رحب بنا واطمأن على أحوالنا وقدم لنا الحلوى والقهوة أرسل معنا أحد شيوخ المدينة العارفين بتاريخها، فأخذنا إلى سور المدينة وهو سور يبلغ طوله ١٣كم وله (٧) بوابات كبيرة و(١٦) باباً.

وقد بني هذا السور في عهد بني نبهان الذين استمر حكمهم نحو خمسة قرون انتهت بالقرن العاشر الهجري.

وكانت تكلفة ترميم السور وصيانته وتقويته تقع مناصفة على أهالي المدينة وعلى إدارة أفلاج المدينة من مداخيل بيع الماء. وقد تهدمت أجزاء كبيرة



قلعة الجلالي في مسقط



مدافع قديمة في قلعة نخل

من هذا السور، ولم تبق منه إلا بعض البوابات والأطلال. ولكن يوجد مشروع لإعادة بناء الأجزاء المهدمة منه وترميم الأجزاء القائمة. أما المدينة فتقسم قسمين هما العلاية والسفالة ومن حاراتها توجد حارة بني بيمان وحارة الصلت وهو الصلت بن خميس) أحد كبار علماء القرن الثالث، وحارة الغاف، وحارة خليفة، وهو من العلماء أيضًا، وأخو الصلت.

ويسقي العلاية ومزارعها فلج الحدث. أما السفالة فيسقيها فلج الميثاء. بعدها أخذنا مرافقنا إلى أحد مصانع الفخار التقليدية حيث شاهدنا مراحل تصنيع الفخار، واستمعنا إلى وصف موجز لكل مرحلة.

حصن جبرين

ومن بهلا انطلقنا إلى حصن جبرين القريب من مدينة بهلا، وفي الطريق مررنا بقرى بني هنا، وقرى بني غافر (العطاطبة)، وجبل الكور.

أما حصن جبرين فهو من أكبر الحصون العمانية وأضخمها بناءً. وقد بناه الإمام بلعرب بن سلطان ثالث أئمة اليعاربة في عام ١٠٨٩هـ. وهو حصن كثير

السلالم والممرات والأجنحة ومخازن الغذاء، وبه أبراج حصينة، ومساكن متكاملة، وبه مدافن بعض الأئمة. ولا يستغني زائر هذا الحصن عن دليل يشرح له محتويات الحصن، وأغراض أجنحته المتعددة. كما توجد به آبار مياه إضافة إلى الفلج المار به. ويحيط بهذا الحصن سور كبير تتوزع على أركانه أبراج مراقبة ودفاع.

وبانتهاء جولتنا في حصن جبرين قفلنا عائدين إلى مدينة نزوى. وفي طريقنا مررنا بقلعة بهلا الشهيرة الواقعة على مرتفع يبلغ ١٥٠ متراً. وتقول الروايات: إن هذه القلعة بناء فارسي جاهلي سبقت الإسلام بـ (١٥٠٠) سنة. وهي قلعة كبيرة مرتفعة، لم نتمكن من الدخول إليها لوجود أعمال الترميم وإغلاقها أمام الزوار إلى حين انتهاء العمل بها. وبقربها تقع مدينة بهلا القديمة ببيوتها الطينية ومزارعها القديمة، وبها مسجد جامع يعود بناؤه إلى القرن الهجري الأول مبني من الطين. وهو مهجور الآن، وينتظر دوره في الترميم.

ثم واصلنا مسيرنا إلى مدينة نزوى وإلى مكتب الوالي الذي استقبلنا بحرارة، ورحب بنا في نزوى، وعرض علينا كل ما نحتاج إليه من تسهيلات، وبعد أن ودعناه عدنا إلى الفندق للراحة والغداء. وفي العصر توجهنا إلى سوق نزوى الشعبي القريب من قلعة نزوى آملين دخول قلعة نزوى، بيد أننا لم نتمكن من ذلك بسبب توقيت وصولنا الذي لم يتوافق مع الأوقات التي تفتح بها القلعة للزوار. فتجولنا بالسوق بين محلات بيع التحف المحلية من نحاسيات وفضيات، وأسلحة تقليدية، وغيرها. ثم منه ذهبنا إلى فلج دارس، وهذا الفلج أحد أشهر أفلاج عمان وأغزرها ماءً، ويأتي من أسفل سفوح الجبل الأخضر المطل على مدينة نزوى.

بني سور بهلا في عهد بني نبهان الذين استمر حكمهم نحو خمسة قرون انتهت بالقرن العاشر الهجري



قرى تقام في سفوح الجبل الأخضر

وقد أخبرنا بعض الشباب الذين كانو يستحمون في الفلج أنهم قد دخلوا إلى مجرى الفلج الواقع تحت سطح الأرض، وساروا فيه مسافة طويلة بين ارتفاع وانخفاض وصعود وهبوط وتعرج دون أن يصلوا إلى نهايته فلما وصلوا إلى منطقة وعرة وأخذ منسوب المياه يرتفع قفلوا عائدين لعدم تمكنهم من المواصلة. ولعدم وجود الأدوات والآلات اللازمة لذلك.

وبعد نزول الليل عدنا إلى الفندق، وأمضينا ليلتنا فيه. وفي الصباح عدنا إلى سوق نزوى

حيث يقام في نهاية كل أسبوع سوق شعبي تباع فيه الأبقار والمواشي على طريقة الحراج. وتجد حوله الباعة الجوالين الذين يبيعون ثمار جوز الهند ذات الماء اللذيذ. وبعد جولة قصيرة في هذا السوق ركبنا سيارتنا متجهين إلى الجبل الأخضر.

الجبل الأخضر وقراه

وفي الطريق إلى الجبل الأخضر صعد معنا أحد سكان الجبل، حيث كان قد نزل قبل

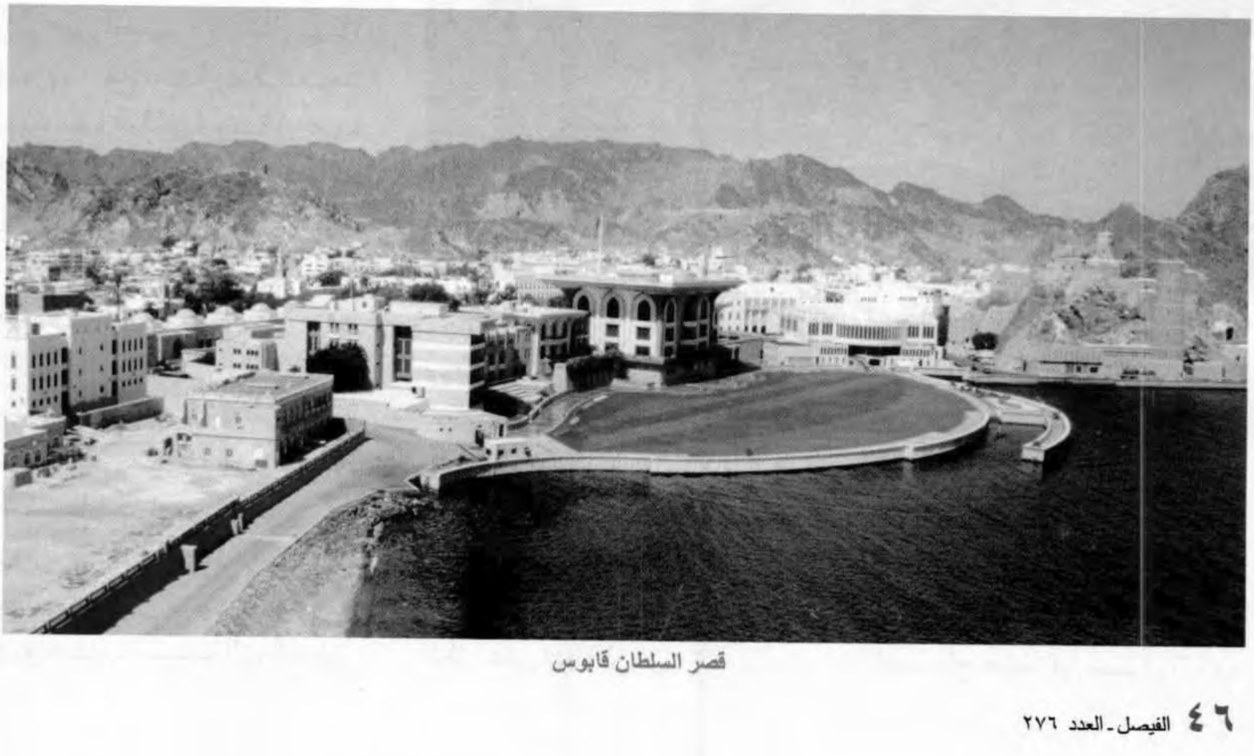
يتبع سلطنة عمان عدد من الجزر أهمها: جزيرة مصيرة وجزر الحلانيات وهي: الحلانية، والحاسكية، والسودة، والقبلية، وجزيرة سلامة وبناتها وهي تتحكم بمضيق هرمز



حصن جبرين

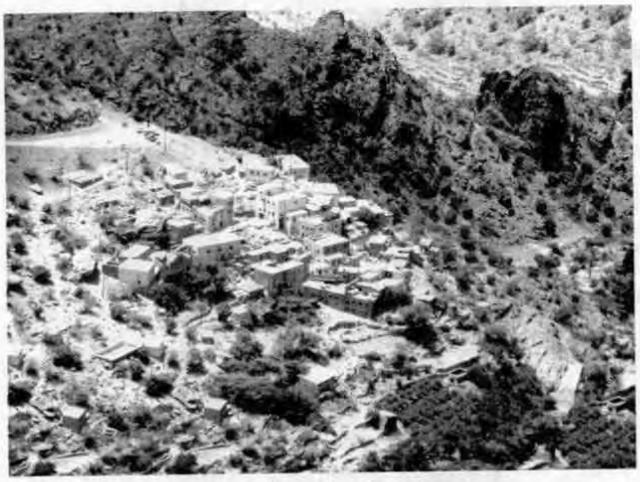


قلعة نخل



قصر السلطان قابوس


منظر لأحد شواطئ مدينة مسقط


إحدى قرى الجبل الأخضر


صورة عن قرب لإحدى القرى في الجبل الأخضر


الجبل الأخضر

يومين لقضاء بعض حاجاته في بركة الموز. وكان قد أفادنا ذلك الرفيق كثيراً لكونه من سكان إحدى قرى الجبل فأخذ يخبرنا عن قرى الجبل وعن محاصيله الزراعية وعن أجوائه ومصادر اقتصاد سكانه. ومن أهم قرى الجبل هناك قرى المناخر، وحيل اليمن، وسيح قطنه، والعقر، وسلّوت، والعين، وسيق، وهي عاصمة الجبل، وغيرها كثير.

أما طريق الجبل فهي ممهدة ووعرة في بعض أجزائها، وتغلق في أثناء هطول الأمطار ليعاد تمهيدها وإصلاح ما تضرر منها قبل إعادة فتحها. ومن أهم المحاصيل الزراعية في الجبل: الجوز والعنب والخوخ والرمان والورد واللوز والفستق والتفاح والكمثرى...إلخ

وفي الجبل توجد معامل تقليدية لتقطير ماء الورد، وقد قمنا بزيارة أحد هذه المعامل، فاستقبلنا صاحبه الشيخ عيسى بن صالح الريامي، وأرانا مراحل عملية تقطير الورد بدءاً من قطافه وتجميعه مروراً بوضعه في أفران خاصة وانتهاءً بتجميع مائه وتخزينه استعداداً لتسويقه.

وفي الجبل نشاهد كثيراً من الكهوف التي كان سكان الجبل يلجؤون إليها.

وفي أثناء مرورنا في إحدى قرى الجبل مررنا بقرب مركز القرية، وهو دار يتجمع فيه أهل القرية يناقشون شؤونهم ويتحدثون، ويحتسون القهوة، ويحيون في هذه الدار مناسباتهم. فما إن رآنا أولئك الشيوخ القرويون حتى عزموا علينا بإصرار لنشاركهم التمر

والقـهـوة. ثم واصـلنا جـولـتنا في بعض القرى حتى انتصف النهار فـعـــدنا إلى الفندق فـي نزوى، وأخـذنا أمـتـعـتنا، وتـوجـهنا نحـو مدينة صور.

صور وصناعة السفن

وصلنا مدينة صور بعد المغرب من النهـار نفـسـه، وفي طـريقنا مـررنا بعدد من القرى والبلدات، منهـا: بلدة الكامل، وبلدة الوافي. كمـا شـاهـدنا الأودية الخـضـراء الكثيـفـة الشـجـر، والإبل ترعـى بهـا، وعن بعد تراءى لنـا رمـال النـفـود وهي المتـصـلة بالـربع الخالي.

وكان وصولنا إلـى مدينة صـور في المساء فـتـوجـهنا بعـد جـولة سـريعـة في المدينة إلى الفندق لنسـتـريح من عناء يـوم حـافل وطويل، وفي الصـبــاح بدأت جـولتنا بأن ذهبنا إلى أحـواض صناعة السـفن. وهي صناعة لا تزال قائمة ومستمرة بوتيرة جيدة وذلك بدعـم من الدولة. وفـي هذه الأحـواض تتم صناعـة السـفن العـمانيـة الشـهـيرة التي كان لهـا الدور المؤثر فـيـمـا وصلت إليـه الأسـاطيل الـعـمـانيـة من مـجـد بحري على امتداد التاريخ.

ويتم اسـتـيـراد الأخـشـاب المستخدمة في هذه الصناعة من الهند. وهي أخشاب متينة وقوية يتم قطعها وتشكيلها حسب حجم السفينة المراد صناعتها والغرض منها.

ومن أهم الـسـفن العـمــانيــة المصنوعـة في هـذه الأحـواض سـفـينة (فـتح الخـيـر) نظراً لـتاريخـهـا المجيد في البـحـرية العمانية، وهذه السـفينة تعدّ رمزاً وطنياً. وقد سبق بيع هذه السفينة إلى أحد التجـار من اليمن، ولكن بعض أهالـي صـــور عـــادوا واشـتـروهـا وعـرضـوهـا قـرب الشـاطئ لتصبح من أهم المعالم السياحية بمدينة صور.

وأمضينا بقية النهار وجزءاً من الليل نـتـجـول في بعض أنحـاء صـور، فركـبنا أحـد القـوارب الحكومية التي تنقل المواطنين من منطقـة العيجـة إلى مدينة صـور عبـر أحـد الخلجـان الصـغـيرة اختـصـاراً للـمسافـة الأرضـيـة البعيدة. وفي منطقة العيجة توجد بعض المصانع الأخرى للسفن.

بعـدها عـدنـا إلى الفندق لـننام ونقـوم في الصـبـاح لنعـود إلى مسقط.

كـان وصـولنا إلى مـسـقط بعد ظهيرة اليوم التالي، وكـان أمامنا يومان آخران استثمرناهما بزيارة بعض المعـــالـم التـي لم نـزرها، فزرنا قلعـة الجلالي، والمتـحف الوطـنـي العــمــانـي، والمتــحف العماني، وشـاطئ نادي الغوص، وبعض الأحياء الراقية، والمراكز التجارية الحديثة.

وفي الخـتـام بمدينـة مـسـقط كـانت لـنـا لقــاءات بـبــعض المسـؤولين، حيـث قـابلنا مـعـالي رئيس جـامعـة السلطـان قابوس، ومـعـالي وزيـر التربيـة والتعليم، وسـعـادة وكـيل وزارة الإعـلام، الذين جسدوا بحسن استقبالهم وتسهيل مهمتنا الاستطلاعية ما يتـميـز بـه أهل عمـان من سجـايا كـريمـة لا يسـتطـيع الوصف أن يفيها حقها.

مدينة صور تشتهر بصناعة السفن التي كان لها دور مؤثر في المجد البحري للأساطيل العمانية



سفينة الخير على شاطئ مدينة مسقط

نظرات في التقاويم عبر العصور

نصرة سليمان أبو زايد



قال تعالى: إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم. التوبة:٣٦. التقويم نظام زمني وضعه الإنسان لتنظيم حياته فيما يتعلق بالزمن، فلا بد للإنسان من أن يأخذ فترة راحة بعد عمله، ولا بد له من يوم استراحة أسبوعي أو شهري، كذلك لابد له من فترة للتسوق بيعًا أو شراءً..

كل هذه الأمور كانت الشغل الشاغل للناس لتحديد أوقاتها في بعض العصور السالفة، فقد ظهر في روما في عصور ما قبل الميلاد منادٍ خاص ينادي الناس يوم السوق، وينادي بداية الشهر ومنتصفه ونهايته، وكذلك أيام العبادة والراحة الأسبوعية.. ونتيجة لتلك الحاجة الملحة للإنسان في تلك العصور قام الكهنة والفلكيون بدراسة هذه المشكلة وشرعوا في حلها، فمنهم من فكر في اتخاذ دورة القمر أساسًا لعد الأيام والسنوات، ومنهم من قام بدراسة الشمس ووَضَعَ تقويماً يعتمد عليها، وقد كان اعتماد الشمس والقمر من دون غيرهما لكثرة تعامل الإنسان معهما بسهولة ويسر، ولم تكن كل التقاويم تعتمد دورة الشمس أو القمر، بل كانت هناك كواكب أو نجوم أخرى، فهناك تقاويم اعتمدت ظهور نجم الشعرى اليمانية أو نجم الدبران أساساً لبداية السنة، وهناك شعوب مزجت بين هذه الأمور، فمنهم من اتخذ السنة الشمسية واعتمد الأشهر القمرية، ومنهم من اعتمد السنة القمرية واعتمد نظام أشهر يتناسب مع حركة الفصول الأربعة المبنية أساسًا على الدورة الشمسية.

وحين يستعرض المرء التقاويم من شتى بقاع العالم، يجد أن القاسم المشترك الأعظم بينها هو عدم دقة كل منها بلا استثناء، لسبب واحد وهو استحالة قسمة طول السنة الزمني (سواء السنة الشمسية أو القمرية) إلى أجزاء حسابية متساوية، وهذا ما يؤدي باستمرار إلى وجود فارق زمني بين

السنوات الحسابية والسنوات الفلكية، مما دفع بعض واضعي التقاويم إلى اللجوء إلى ما يسمى بعمليات الكبس أو النسيء.

تقاويم بلاد الصين

كان للصينيين نظام معقد للتقويم، وتشير بعض المراجع إلى أنه يرجع للقرن الحادي عشر قبل الميلاد، ويتميز هذا النظام بأنه مكون من نظام الدورات، وكل دورة تتكون من اثني عشر عامًا، وهي تستند أساسًا على فترة عبور كوكب المشتري JUPITOR من خلال البروج الاثني عشر، علمًا بأن طول هذه الفترة فعليًا يبلغ ١١ر٨٦ سنة، ولهذا كان يعدل هذا التقويم بين فترة وأخرى ليتمشى مع الموقع الفعلي لكوكب المشتري، وكان ذلك يتم باستخدام نظام الكبس أي حساب أيام إضافية لكل عام، وأهم سمات هذا التقويم أن كل دورة مقسمة إلى فترات، وكل فترة مقسمة إلى ستين يومًا، ولكل يوم اسم خاص به.

وكان للصينيين السبق حين عدوا أن السنة الشمسية تتكون من ٣٦٥.٢٥ يومًا، واستخدموا السنة الكبيسة قبل ٣٦٠ سنة من تبني الرومان لتقويم يوليوس قيصر في سنة ٤٦ ق.م، وقد قام العلماء الفلكيون الصينيون بقياس طول السنة الشمسية بدقة فائقة حيث توصلوا إلى أن طولها كان يبلغ ٣٦٥.٢٤٢٥ يومًا وكان ذلك في عهد أسرة سونغ (٩٦٠ - ١٢٧٩م)، كما قام الفلكي الصيني «سينغ يون لو» بتحديد طول السنة بـ (٣٦٥.٢٤٢١٩٠) يومًا أي بدقة تصل إلى ٠ر٠٠٠٠١!!، هذا وقد انتهى العمل بالتقويم الصيني في نهاية عام ١٨٧٢م، وبدئ باستخدام التقويم الجريجوري في الصين من مطلع شهر يناير عام ١٨٧٣م.

تقاويم بلاد النيل

من أقدم التقاويم التي عرفها الإنسان في حوض وادي النيل التقويم الفرعوني القديم، وهو يسمى تقويم توت نسبة إلى الطبيب توت، وكان ذلك في نحو عام ٤٢٤١ ق.م، وقد كانت بداية السنة المصرية في هذا التقويم من طلوع نجم الشعرى اليمانية SIRIUS وهو موعد فيضان نهر النيل، ويكون ذلك عند فجر يوم ١٩ تموز. وقد كان طول السنة المصرية تلك ٣٦٠ يومًا، قسمت إلى اثني عشر شهرًا كل منها ٣٠ يومًا، كما قسمت السنة الموسمية عندهم إلى فصول ثلاثة: فصل الفيضان (آخت)، فصل البذار (الإكثار) يسم برت والفصل الثالث هو فصل الحصاد (الصيف) ويسمى شمو، وقد لاحظ المصريون بعد فترة من استخدام هذا التقويم أن سنتهم الحسابية (٣٦٠) يومًا بها اختلاف عن السنة الموسمية، فنتج من هذا الاختلاف عدم تطابق ثبات الفصول مع شهور السنة الثابتة!!.. مما حدا بالكهنة والفلكيين إلى دراسة الموضوع وإقرار إضافة خمسة أيام سميت بالأيام اللواحق، وقد أضيفت هذه الأيام إلى شهر مسرى، وقد كان لهذه الأيام أسماء حسب الآلهة ولم تكن لها أرقام، وقد سميت هذه الأسماء: أوزيريس، وسيت، وإيزيس، ونفتيس، وحوريس.

وعلى الرغم من هذا التعديل على السنة إلا إن هناك ربع يوم فعلي من طول السنة سنويًا أدى إلى اختلاف في السنة الشمسية الحسابية عن السنة الموسمية مع مرور الأيام، وبقيت هذه المشكلة حتى جاء الإمبراطور بطليموس الثالث سنة ٢٣٧ ق.م وأصدر مرسومًا عرف بمرسوم كافوب، حدد فيه أن



عمر الخيام

طول السنة الشمسية هو ٣٦٥ يومًا وربع اليوم!!.. وبناء على ذلك تعدلت السنة المصرية بإضافة يوم كل أربع سنوات لتصبح أيام العطلةالخمسة ستة أيام!!.. وبذلك المرسوم كانت الفكرة الأولى في التاريخ للسنة الكبيسة.

استخدم في تقسيم الشهور والأيام النظام العشري، إذ قسم المصريون القدامى الشهر إلى ثلاث مجموعات كل منها عشرة أيام، وقسموا اليوم إلى عشر ساعات، وقسموا الساعة إلى ١٠٠ دقيقة وقسموا الدقيقة إلى ١٠٠ ثانية!! أما أسماء الشهور المصرية القديمة فهي: توت، وبابة، وهتور، وكيهك، وطوبة، وأمشير، وبرمهات، وبرمودة، وبشنس، وبؤونة، وأبيب، وشهر مسرى، وقد كان فيضان النيل في شهر توت، ويبلغ الشتاء أوجه في شهر طوبة.

فعندما دخلت المسيحية مصر في القرن الأول الميلادي كان للرهبان الأقباط دورٌ بارزٌ في الكنيسة، وقد أدى اتخاذ الإمبراطور الروماني دقلديانوس عام ٢٨٤م قراره بتوحيد الإمبراطورية الرومانية حول دين وثني واحد إلى اضطهاد الأقباط في مصر، ومقتل عدد كبير منهم في عهد سماه الأقباط عصر الشهداء.. لذلك حين قرر الأقباط اتخاذ تقويم خاص بهم، رأوا أن تكون بداية التقويم من بداية حكم هذا الإمبراطور وذلك من صباح يوم الجمعة الموافق ٢٩/٨/٢٨٤م، وسمي هذا التقويم بالتقويم القبطي، وهو التقويم المصري القديم نفسه وأسماء شهوره تحمل أسماء الشهور الفرعونية نفسها، وهي التي لم يعرف أحد على وجه الدقة معانيها حتى الآن، وقد قيل إن أسماءها مشتقة من أسماء الآلهة والأعياد التي كانت تقام في ذلك العهد، وبقي أن نذكر أن بداية السنة القبطية تسمى بالنيروز.

تقاويم بلاد ما بين النهرين

ظهرت عدة تقاويم في بلاد ما بين النهرين، وذلك تبعًا لاختلاف الحضارات التي قامت هناك، ووفقًا للاختلاط بالأمم الأخرى، فاستخدم البابليون تقويمًا خاصًا بهم، قائمًا على اتباع دورة القمر ٣٥٤ يومًا، ولكنهم لاحظوا وجود فارق بين السنة القمرية والفصول الأربعة نتيجة زيادة طول السنة الشمسية ٣٦٥ يومًا عن القمرية بنحو عشرة أيام، ولذلك قام أحد كهنة بابل (في نحو القرن الخامس قبل الميلاد) باستخدام ما يسمى بدورة ميتون METON CYCLEDE نسبة إلى الفلكي الاثني ميتون، ومؤدى هذه الدورة أن كل ١٩سنة شمسية تعادل ١٩سنة قمرية وسبعة أشهر، وقد أدى استخدام هذه الدورة إلى إيجاد توافق بين التقويم القمري والتقويم الشمسي، وذلك عن طريق إضافة سبعة أشهر إلى التقويم القمري كل ١٩سنة (دورة ميتون)، حتى يصبح مطابقًا للتقويم الشمسي، فتتطابق السنة القمرية مع الفصول الأربعة.

وأما الكلدانيون فقد أخذوا تقويمهم عن تقويم توت المشهور في مصر، تبدأ السنة الكلدانية من ساعة ظهور نجم الدبران ALDEBARAN (نير الثور)، وطول السنة ٣٦٠ يومًا مقسمة إلى اثني عشر شهرًا بطول ٣٠ يومًا لكل منها، وهناك خمسة أيام إضافية أعطي لها أسماء ولم يعط لها أرقام، وهي تضم مجتمعة قبل الاعتدال الخريفي كل عام، وقد قسم الكلدانيون اليوم إلى ٢٤ ساعة، والساعة إلى ٦٠ دقيقة والدقيقة إلى ٦٠ ثانية.

أما الآشوريون فقد استخدموا نظامًا يعتمد على مطلع الشمس ومغيبها، وكانت السنة لديهم مكونة

من ٣٦٠ يوماً، وهي مقسمة إلى اثني عشر شهراً متساوية، يضاف إليها ١٥ يوماً كبيسة كل ثلاثة أعوام.

تقاويم بلاد فارس

كانت أقدم تقاويم بلاد فارس ما وضعه آخر ملوك آل ساسان، وقد اعتمد فيه السنة الشمسية بطول ٣٦٥.٢٥ يوماً، وقسمت السنة إلى اثني عشر شهراً كل منها ٣٠ يوماً، وتضاف الأيام الخمسة الباقية في نهاية الشهر الثامن، وأما ربع اليوم السنوي فيكون شهراً كل مئة وعشرين عاماً، وهذا يسمى اليوم الأول للسنة الفارسية بيوم النيروز، وقد أصبح عيداً قومياً في إيران!!.. وقد بدأ هذا التقويم من تاريخ ١٦ حزيران عام ٦٣٢م، أما أسماء الأشهر الفارسية فهي: فروردين، وأردي هشت، وخردماه، ونيرماه، ونورما، وهنبرماه، ومهرماه، وأبان، وادارماه، ودي ماه، وبهمن ماه، واسفندرماه، كما يسمى الشهر المتراكم كل ١٢٠ سنة بشهر زاد.

أما التقويم الآخر الذي اتبع في بلاد فارس فهو التقويم الجلالي الإسلامي، فقد جمع السلطان السلجوقي جلال الدين شاه سلطان خراسان العلماء الفلكيين، وطلب منهم وضع تقويم يكون مبنياً أساساً على السنة الشمسية، وتكون بدايته من اليوم الذي تكون فيه الشمس في برج الحمل وهو ٢١ آذار/ مارس، وقد كان من أشهر الأسماء التي اشتركت في إعداد ذلك التقويم الشاعر المعروف عمر الخيام، وكانت السنة في هذا التقويم الجلالي تتكون من ٣٦٥.٢٤٢١٢٤ يوماً أي أنها تساوي ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٣٩.٥ ثانية، فتزيد على السنة الحسابية في التقويم الجريجوري بمقدار ٢٦ ثانية، أي إن التقويم الجلالي أدق بكثير من التقويم الجريجوري، هذا وتتكون السنة الجلالية من اثني عشر شهراً كل منها ٣٠ يوماً، وتضاف خمسة أيام للسنة العادية وستة أيام إلى السنة الكبيسة، وقد كانت بداية هذا التقويم في التاسع من شهر رمضان سنة ٤٧١هـ الموافق للخامس عشر من مارس/آذار ١٠٧٩م.

التقويم السرياني

يسمى هذا التقويم باسم آخر هو تقويم الإسكندر، والواقع أن اليونان استخدموا تقويمين عرفا بهذا الاسم: أولهما كان يبدأ من تاريخ وفاة الإسكندر المقدومي (٣٢٣ ق.م)، والآخر يبدأ سنة ٣١٢ ق.م وذلك حين انتصر سلوقس (خليفة الإسكندر مؤسس الدولة السلوقية) على بابل، وهذا التقويم يستخدم الطريقة اليونانية في حساب أطوال الأشهر، باستثناء شهري تشرين الأول، فيعد ٣١ يوماً بدلاً من ٣٠ يوماً، وشهر كانون الثاني الذي يعد ٣٠ يوماً بدلاً من ٣١ يوماً، وأما شهور هذا التقويم فهي: كانون الأول، وكانون الثاني، وشباط، وآذار، ونيسان، وأيار، وحزيران، وتموز، وآب، وأيلول، وتشرين أول، وتشرين ثاني، وقد كانت بداية هذا التقويم من يوم الإثنين ١١ تشرين أول (أكتوبر) سنة ٣١٢ ق.م. وهو سابق للتاريخ الميلادي بـ ٣١١ سنة و ٩٢ يوماً.

التقويم العبري

كان من أقدم التقاويم التي استعملها اليهود ذلك التقويم الذي خطه لهم نبي الله موسى عليه السلام، وهو تقويم معدل عن تقويم توت الفرعوني، وقد أخذ من تقويم توت موعد بدء السنة نفسه في الخريف، تحديداً في اليوم الذي يتساوى فيه الليل والنهار، وكان الأساس المتبع في هذا التقويم نظام الأسبوع، حيث عدّ موسى عليه السلام اليوم السابع من أيام



نابليون بونابرت

الأسبوع هو يوم السبت، وهو عيد ذو صبغة دينية، كما قسمت السنة إلى فصول أربعة: الخريف والشتاء والربيع والصيف، وكان كل فصل مكوناً من عدد متساو من الأسابيع، ويبدأ كل فصل من أول يوم من أيام الأسبوع وينتهي في آخر يوم فيه، والشهر مكون من ٤ أسابيع (٢٨ يوماً) والسنة مكونة من ١٣ شهراً، والفصول الأربعة يتكون كل منها من ٩١ يوماً باستثناء الصيف فكان يتضمن الأيام الإضافية وهي اليوم وربع اليوم المعروفة، فكان الصيف يمتد إلى ٩٢ يوماً وربع اليوم، ويلاحظ في هذا التقويم بساطته وسهولته على الناس، وتطابق السنة الموسمية مع السنة الحسابية.

كما تبنى اليهود تقويماً آخر اقتبسوه من البابليين خلال فترة السبي البابلي، مع تعديل في التقويم البابلي، فقد استخدموا دورة ميتون التي تُبرز وجود اختلاف بين السنة القمرية والشمسية بمقدار سبعة أشهر كل ١٩ سنة وذلك بإضافة شهر إلى السنوات السبع ذات الترتيب التالي: ٣، ٦، ٨، ١١، ١٤، ١٧، ١٩ وأصبحت هذه السنوات سنوات كبيسة تتكون من ١٣ شهراً، ويضاف الشهر الثالث عشر بعد شهر آذار ويسمى آذار الثاني (أذار بيت)، أما طول السنة العبرية العادية فيراوح بين ٣٥٣ و ٣٥٥ يوماً، في حين تبلغ السنة العبرية الكبيسة ما بين ٣٨٣ و ٣٨٥ يوماً، وأطوال الشهور العبرية: نيسان ٣٠ يوماً، وأيار ٢٩ يوماً، وتموز ٢٩ يوماً، وآب ٣٠ يوماً، وأيلول ٢٩ يوماً، وتشرين ٣٠ يوماً، ومرهشفان ٢٩ يوماً، وكسلو ٣٠ يوماً، وطيبث ٢٩ يوماً، وشباط ٣٠ يوماً، وآذار ٣٠ يوماً، وأما شهر آذار الثاني (أداربيت) فهو بطول ٣٠ يوماً خلال ٦سنوات كبيسة، وبطول ٢٩ يوماً في السنة الكبيسة السابعة في كل دورة من ١٩عاماً، لأن كل ١٩ سنة ميلادية تعادل ١٩ سنة عبرية قصيرة، وسبعة أشهر تعداد أيامها ٢٠٩ أيام (بدلاً من ٢١٠ أيام)، ويبدأ التاريخ العبري من يوم ١٧ تشرين الأول عام ٣٧٦١ قبل الميلاد.

تقاويم جزيرة العرب قبل الإسلام

لم يكن هناك تقويم محدد للعرب في الجاهلية، ويعتقد أنه كانت لكل قبيلة سنوات خاصة بها تسميها بأهم أحداثها؛ فهناك قبائل عاصرت انهيار سد مأرب في اليمن (نحو ١٢٠ ق.م) فكانت تؤرخ بذلك العام. وهناك قبائل أرخت بعام الفيل (٥٧٠م) وهو العام المشهور الذي غزا فيه أبرهة الحبشي الكعبة، ومن أشهر القبائل التي أرخت بهذا الحدث قريش التي وقع في أرضها الحدث.. إلا أن الشيء الملاحظ عند قبائل العرب أنها اتخذت الأشهر القمرية في تعاملها، وقد وضعت لها أسماء تحمل دلالة معينة كدلالة على المناخ السائد وقت التسمية، ودلالة أخرى على أشهر العبادة، وهناك دلالة على أشهر خاصة بالحرب والسلم، أما أسماء الأشهر الحالية لدينا فقد جاءت من العرب المستعربة، وقيل إن الذي سماها هو كلاب بن مرة، وقد جاءت هذه الأسماء على هذا النحو:

- الشهر المحرم: سمي بذلك لتحريم العرب القتال فيه.
- شهر صفر: سمي بذلك لأن العرب كانوا يغيرون على بلاد يقال لها الصفرية.
- شهر ربيع الأول: سمي بذلك لمجيء وقت الربيع في ذلك الشهر.
- شهر ربيع الآخر: وهو من الربيع.
- شهر جمادى الأولى: سمي بذلك لتجمد الماء في ذلك الشهر عند وضع الأسماء.

ـ شهر جمادى الآخرة: قيل لتجمد الماء في ذلك الشهر.

ـ شهر رجب: وهو يعني التعظيم وكان يكف الناس فيه عن القتال، وكانت قبيلة مُضر من أكثر الناس تعظيماً لذلك الشهر، فقيل رجب مُضر.

ـ شهر شعبان: سمي نتيجة تشعب (تفرق) القبائل فيه للغزو أو العودة من الغزو.

ـ شهر رمضان: وهو من الرمضاء أي شدة الحر لوقوعه في شهر حار جداً.

ـ شهر شوال: وهو الشهر الذي تشول فيه الإبل طلباً للإخصاب.

ـ شهر ذي القعدة: وهو شهر القعود عن القتال لأنه من الأشهر الحرم.

ـ شهر ذي الحجة: وهو الشهر الذي كانت تقصد العرب فيه الكعبة للحج.

أما العرب العاربة فقد كانت تسمي هذه الأشهر بأسماء أخرى هي: المؤتمر (يقابل المحرم)، وناجر، وخوان، وبصان، وختم، وزياد، والأصم، وعادل، وناتق، وغل، وهواغ، وبرك.

كذلك استخدمت بعض القبائل العربية التقويم الشمسي بشهور قمرية، محاولة بذلك المحافظة على ثبات الشهور حسب الأحوال الموسمية للطقس، فقد كانوا يرغبون في تثبيت وقت الحج والتجارة ليأتي في وقت يلائمهم وبشكل ثابت كل عام، ولما لم يكن ذلك ممكناً نتيجة اختلاف طول السنة الشمسية عن القمرية، لجأ العرب إلى ما يسمى بالنسيء، وهو تأخير الشهور إلى أوقات غير أوقاتها وذلك جلباً لمصالحهم وأهوائهم، ولما جاء الإسلام لاحقاً حرم هذه العادة.

كما وضع العرب أسماء لأيام الأسبوع، والأسماء الموجودة بين أيدينا اليوم هي من وضع العرب المستعربة، في حين كانت العرب العاربة تسمي أيام الأسبوع كما يلي: الأحد(أول يوم)، وأهون، وجبارد، ودبار، ومؤنس، وعروبة، وشيار بدلاً من يوم السبت.

التقويم الهجري

جاء الإسلام فيما جاء به من الخير للبشرية بتحريم النسيء، الذي كانت تمارسها الجاهلية، قال تعالى: إنما النسيء زيادة في الكفر، يُضَلّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرّم الله. التوبة:٣٧. فبذلك التحريم وُضع حدّ لثبات السنين على نسق واحد، وقد استعمل المسلمون على زمن الرسول صلىّ الله عليه وسلم الأشهر القمرية، أما السنوات فكانت حسب أهم أحداثها، لذلك كانت أسماء السنوات العشر الأولى من قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم هي:

ـ عام الإذن: وهو العام الذي صدر فيه الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة.

ـ عام الأمر: وهو العام الذي جاء فيه الأمر الإلهي للمسلمين بالقتال.

ـ عام التمحيص: وهو العام الذي محص الله فيه المؤمنين بعد غزوة أحد.

ـ عام الترفئة: وهو العام الذي حدث فيه إجلاء اليهود من المدينة المنورة.

ـ عام الزلزال: وهو العام الذي حصلت فيه غزوة الأحزاب وزلزل أهل الشرك.

ـ عام الاستئناس: وهو العام الذي وقعت فيه بيعة الرضوان قبل فتح مكة.

القاسم المشترك بين التقاويم جميعها هو عدم الدقة، لاستحالة قسمة طول السنة الزمني سواء السنة الشمسية أو القمرية إلى أجزاء حسابية متساوية

ـ عام الاستغلاب: وهو العام الذي وقعت فيه غزوة خيبر.

ـ عام الاستواء: وهو العام الذي فتح الله فيه على المسلمين مكة.

ـ عام البراءة: وهو العام الذي نزلت فيه سورة براءة.

ـ عام الوداع: وهو العام الذي حج فيه الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع المشهورة.

وبقي المسلمون على تلك الحالة في تسمية السنوات حتى وقعت حادثة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نحو عام ١٧هـ، إذ بعث والي البصرة أبو موسى الأشعري رضي الله عنه رسالة إلى عمر جاء فيها: «إنه يأتينا من أمير المؤمنين كُتب، فلا ندري على أي نعمل، وقد قرأنا كتاباً محله شعبان فلا ندري أهو الذي نحن فيه أم الماضي».. فعند تلك الحادثة جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابة، وشاورهم في الأمر، لوضع بداية لتقويم خاص بالمسلمين، فكان رأي بعض الصحابة أن يؤرخ من ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهم من رأى أن تكون البداية من سنة البعثة، ورأى آخرون أن تكون البداية من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبقيت الاقتراحات حتى جاء اقتراح علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبدأ التقويم من عام الهجرة، وهو الاقتراح الذي استحسنه الخليفة وأصحابه، وقد عقد ذلك الاجتماع بتاريخ ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٧هـ، واتفق أن يكون غرة محرم سنة ١هجرية الموافق ليوم الجمعة ١٦ تموز/يوليو ٦٢٢م بداية للتاريخ الهجري، في حين كانت الهجرة يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول الموافق ٢٤ أيلول/سبتمبر ٦٢٢م، وقد وضع العلماء المسلمون قواعد لهذا التقويم، الذي كتب له الانتشار في العالم الإسلامي حتى عصرنا الحاضر، فقد وجد العلماء أن السنة القمرية تبلغ ٣٦٦٦٦، ٣٥٦ يوماً، وهي مكونة من اثني عشر شهراً، يبلغ طول كل شهر ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و ٢،٨، أي إن الشهر نحو ٢٩،٥ يوماً، وللتخلص من قيمة الكسور في الشهر فقد أُصطلح أن تكون الأشهر الفردية (الأول، الثالث..إلخ) أشهراً كاملة طولها ٣٠ يوماً، أما الأشهر الزوجية فهي أشهر ناقصة بطول ٢٩ يوماً، أما مشكلة الكسور الباقية التي لا يمكن إهمالها فهي تبلغ خلال عام واحد ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٣٣،٦ ثانية أي ما يعادل ١١ يوماً خلال ٣٠ سنة!! ولعلاج ذلك الفرق قسم العلماء دورة التقويم الهجري إلى ٣٠ سنة، يتم إضافة ١١ يوماً إلى ١١ سنة من الدورة الكاملة (٣٠ سنة) وتسمى هذه السنوات بالسنوات الكبيسة إذ يضاف إلى شهر ذي الحجة يوم إضافي فيصبح ٣٠ يوماً، أما باقي السنوات الـ ١٩ في الدورة الكاملة (٣٠ سنة) فتبقى سنوات عادية من دون أي إضافة.

واصطلح لمعرفة السنة الكبيسة من السنة البسيطة في دورة التقويم الهجري الكاملة (٣٠) سنة على أن تكون السنوات التي تحمل الأرقام التالية: ٢، ٥، ٧، ١٠، ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٩ سنوات كبيسة!! وهناك طريقة جدُ يسيرة لمعرفة السنة الكبيسة، وهي أن يتم قسمة السنة المطلوب معرفتها على الرقم ٣٠، ثم ينظر للباقي خارج القسمة، فإن قابل ذلك الرقم أحد الأرقام المذكورة آنفاً كان ذلك العام سنة كبيسة وإلا فهي سنة بسيطة!!

ويلاحظ في التقويم الهجري أنه ذو خصوصية مرتبطة بالدين الإسلامي، فهو يؤرخ للحدث الأهم في الدعوة الإسلامية (حادثة الهجرة)، كما أنه جاء مرتبطاً بأمور العبادة كالصيام والحج والزكاة، وجاء

هذا التقويم مرتبطاً بأمور اجتماعية كمواقيت العدة للنساء؛ وهي الفترة التي تنتظر فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها. من الأمور الجديرة بالذكر أيضاً بخصوص التقويم الهجري، أن بداية الشهور تكون مرتبطة برؤية القمر، وليست مرتبطة بسلطان، وهي من السهولة بحيث يمكن أن يعرفها الإنسان من دون جهد أو عناء، وجاء هذا التقويم أيضاً بأمر فريد، إذ إنه يعد بداية اليوم من غروب الشمس، وليس من شروقها كما هو الحال في التقويم الشمسي.

التقويم الروماني

اقتبس الرومان أول تقاويمهم من جيرانهم الألبان، وذلك باتخاذ سنة مؤلفة من ٣٠٤ أيام، مقسمة إلى عشرة شهور، أما بداية تطبيق هذا التقويم فكانت بعد بناء روما بأربعة أعوام، أي في عام ٧٥٤ق.م، ونتيجة للخلل الواضح في هذا التقويم ، فقد جرت عليه عدة تعديلات، حيث قرر الإمبراطور الروماني نوما بومبيليس NUMA POMPILUS (٧١٥ ـ ٦٧٢ ق.م) إجراء تعديل على هذا التقويم، فقام بإضافة شهري يناير وفبراير لهذا التقويم، وقد اتبع الرومان في تقويمهم السنة القمرية المكونة من ٣٥٥ يوماً، وعلى الرغم من تعديل الشهور إلى ١٢ شهراً إلا أنه وجد اختلاف في الفصول الأربعة، وعدم ثبات مقابل الشهور الاثني عشر، فلذلك قرر الإمبراطور نوما بومبيليس إجراء تعديل آخر على التقويم الروماني، فقام بإضافة شهر طوله عشرون يوماً كل سنتين، وبذلك أصبحت السنة الرومانية ٣٦٥ يوماً، ولكنها مازالت قائمة على السنة القمرية، وعلى الرغم من تلك الإجراءات بقي فرق طفيف بين السنة الرومانية والسنة الشمسية الفلكية يبلغ ربع يوم سنوياً، مما اضطر الكهنة الرومان لعمل دورة رباعية للسنوات، بحيث تكون السنة الأولى بطول ٣٥٥ يوماً والثانية بطول ٣٧٧ يوماً، والثالثة بطول ٣٥٥ يوماً، والرابعة بطول ٣٧٨ يوماً، وبذلك تم الحصول على سنة بطول متوسط ٣٦٥.٢٥ يوماً، أما أسماء شهور هذا التقويم فكانت كما يلي: يناير، وفبراير، ومارس، وأبريل، ومايو، ويونيو، وكونتيلس (الخامس)، وسكستيلس (السادس)، وسبتمبر (السابع)، وأكتوبر (الثامن)، ونوفمبر (التاسع)، وديسمبر (العاشر).

ومن الأمور اللافتة للنظر في هذا التقويم أن السنة الرومانية كانت تبدأ من شهر مارس (آذار)، وهذا يبين سبب تسمية شهر سبتمبر (السابع)، وأكتوبر (الثامن)، ونوفمبر (التاسع)، وديسمبر (العاشر)، ويلاحظ أن التقاويم التي أخذت تسميات التقويم الروماني أخطأت في إبقاء أسماء هذه الشهور على حالها، وذلك حين اعتمادها بداية السنة من شهر يناير!

وبقي التقويم الروماني متبعاً بعيوبه حتى جاء يوليوس قيصر عام ٤٥ ق.م بتقويم خطأ هذا التقويم، وقد عرف التقويم الجديد بالتقويم اليولياني LE CALENDERIER GULIEN.

التقويم اليولياني (الميلادي)

لاحظ يوليوس قيصر (٤٤ق.م) الأخطاء في التقويم الروماني، وتلاعب الكهنة فيه، فقام باستدعاء الفلكي المصري سوسيجينو SOSIGENES، لدراسة التقويم الروماني وتعديل ما اعتراه من خلل، وقد قدم الفلكي المصري ليوليوس قيصر تعديلاً جذرياً للتقويم الروماني، فقام بإلغاء أساس التقويم الروماني من السنة القمرية إلى استخدام السنة الشمسية، كما اقترح اعتماد السنة الكبيسة ـ وهي التي تكون مرة واحدة كل ٤ سنوات ـ المكونة من ٣٦٦ يوماً والسنة العادية من ٣٦٥ يوماً، كما عالج سوسيجينو فروق الأيام المتراكمة قبل عام ٤٦ ق.م إذ أضاف ٦٧ يوماً مرة واحدة للعام، وبذلك أصبح طول العام ـ لأول وآخر مرة في التاريخ ـ ٤٤٥ يوماً. كما جعل بداية السنة من شهر يناير، والشهر الثاني فبراير بدلاً من عد بداية السنة من شهر مارس كما هو الحال في التقويم الروماني، وقرر هذا الفلكي أن الأشهر الزوجية تكون بطول ٣٠ يوماً، والأشهر الفردية بطول ٣١ يوماً، واستثني من ذلك شهر فبراير وعده بطول ٣٠ يوماً في السنوات الكبيسة وبطول ٢٩ يوماً في السنوات العادية.

ظهرت عدة تقاويم في بلاد ما بين النهرين، تبعاً لاختلاف الحضارات التي قامت فيها، ووفقاً للاختلاط بالأمم الأخرى

هذا وقد أبقي على الأسماء الرومانية للأشهر من دون تغيير، فيما عدل اسم الشهر السابع فصار اسمه شهر يوليو تكريماً ليوليوس قيصر وذلك عام ٤٤ ق.م، وعدل اسم الشهر الثامن فأطلق عليه اسم أغسطس تكريماً لأوغسطس أوكتافيوس سنة ٣١ ق.م، كما عدل عدد أيام شهر سبتمبر ونوفمبر (وهي أشهر فردية) بحيث أصبحت ٣٠ يوماً بعدما كانت ٣١ يوماً، وبقيت أخطاء هذا التقويم حتى اليوم من دون تعديل، والخطأ الموجود هو عد السنة ٣٦٥ يوماً وربع اليوم. وذلك خطأ يبلغ ١١ دقيقة و ١٤ ثانية زيادة عن الوقت الصحيح للسنة وهو أمر مشكل فيما لو تراكم مئات السنين. وقد حمل هذا التقويم اسم يوليوس قيصر تكريماً له، ويسمى أيضاً بالتقويم اليولياني الشرقي أو الوثني.

التقويم الجريجوري

جاء التقويم الجريجوري مقوماً للخطأ المتراكم في التقويم اليولياني (الميلادي) آنف الذكر، وعلى الرغم من وجود هذا الفرق الضئيل في التقويم اليولياني، إلا أن الفلكيين لاحظوا عام ١٥٨٢م أن وقت حدوث الاعتدال الربيعي في اليوم الحادي عشر من شهر مارس/آذار حسب التقويم اليولياني أي بفارق يبلغ عشرة أيام عن آخر سنة جاء فيها الاعتدال الربيعي في الحادي والعشرين من مارس وهي سنة ٣٢٥م، وبعبارة أخرى وجد هذا الفرق يبلغ يوماً واحداً كل ١٢٨ عاماً من التقويم اليولياني، وقد تولت الكنيسة هذه القضية، فأوعز البابا جريجوري الثالث عشر إلى الفلكي كلافيوس (١٥٨٢م) في تقويم هذا التقويم، فقام الفلكي المذكور بوضع طريقتين لتعديل التقويم اليولياني، إذ أمر بتقديم الزمن عشرة أيام للأمام (وهو مقدار الخلل المتراكم في التقويم الميلادي حتى ذلك الوقت)، وقد تم في ذلك الشهر القفز زمنياً من يوم الخميس الرابع من أكتوبر ١٥٨٢م إلى يوم الجمعة الخامس عشر من الشهر نفسه مرة واحدة.

أما الخلل في السنوات المقبلة المستقبلية فقد حسب كلافيوس أن الفرق بين الطول الصحيح للسنة الفلكية والسنة الحسابية للتقويم اليولياني يبلغ ٠٠٠٧٨ر٠ جزءاً من اليوم، أي نحو ثلاثة أيام كل أربعمئة سنة، وعلى ذلك الحساب أقر كلافيوس عد السنوات رؤوس القرون كبيسة، إذا كانت خانات المئات والألوف تقبل القسمة على الرقم ٤ من دون باقٍ، ولذلك لا تعد السنوات ١٧٠٠، ١٨٠٠، ١٩٠٠ سنوات كبيسة كما هو الحال في التقويم اليولياني، بل تعد السنوات ١٦٠٠، ٢٠٠٠ سنوات كبيسة فقط.

وعلى الرغم من الإصلاح الجريجوري للتقويم اليولياني، إلا أنه ما زال هناك خلل طفيف في هذا التقويم، فالسنة الفلكية تبلغ ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات وثماني وأربعين دقيقة وستاً وأربعين ثانية وستة أعشار الثانية، ويبلغ هذا الفرق بين السنة الجريجورية والفلكية نحو ٣.١٢ أيام كل ٤٠٠ عام، وليس ثلاثة أيام فقط كما يُقر الإصلاح الجريجوري، فمن هنا نرى أن الإصلاح الجريجوري أصلح مشكلة الثلاثة الأيام ولم يحل مشكلة فرق كسور الأيام (١٢ر٠)، وسيتراكم هذا الفرق ليصبح ثلاثة أيام كل عشرة آلاف سنة من بدء التقويم ولا يعرف كيفية

معالجة ذلك الوضع، ومن العيوب الأخرى التي لم يعالجها الإصلاح الجريجوري هي اختلاف عدد أيام الأشهر بين ٣٠ و ٣١ يوماً واختلاف شهر شباط بين ٢٩ و ٢٨ يوماً، كما لم يعالج هذا الإصلاح مشكلة اختلاف تواريخ أيام الأسبوع من سنة إلى أخرى ومن شهر إلى آخر، كما لا يتطابق رأس السنة مع بداية الأسبوع الأول للسنة.

التقويم اليولياني المسيحي (الشرقي)

جاء العمل بهذا التقويم في وقت متأخر، وذلك في القرن الخامس عشر الميلادي، وقد وضع أسس هذا التقويم الراهب إكسيجوس D. EXIGUS المتوفى سنة ٥٥٠م، إذ توصل هذا الراهب إلى أن ميلاد السيد

من أقدم التقاويم التي عرفها الإنسان في حوض وادي النيل التقويم الفرعوني القديم، وهو يسمى تقويم توت نسبة إلى الطبيب توت

المسيح عليه السلام كان في الخامس والعشرين من ديسمبر سنة ٧٥٤ رومانية، وقد اعتمد في ذلك على رواية نسبت إلى كليمنت الإسكندري، وقد جعل الراهب إكسيجوس بداية السنة الميلادية من يوم البشارة الواقع في ٢٥ آذار/ مارس، وجرى على تلك البداية سنين طويلة حتى وقع الاختيار على الأسبوع الذي يلي تاريخ الميلاد ليكون بداية للسنة الجديدة وهو ما استقر عليه الأمر إلى اليوم، وقد وقع واضع هذا التقويم في خطأين، إذ إنه عد مولد السيد المسيح عليه السلام عام ٧٥١ رومانية وليس ٧٥٤ رومانية، كما أبقى هذا التقويم على أسماء الأشهر الفردية من دون انتباه لترتيبها، وقد أقرت الكنيسة هذا التقويم سنة ١٤٣١م، وهو ما يعرف اليوم بالتقويم الشرقي الذي انتشر في بلاد المشرق العربي وشرق أوروبا.

تقويم الثورة الفرنسية والثورة الروسية

تبنت الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) تقويماً خاصاً بها مقتبساً من التقويم المصري القديم (توت)، وعدت السنة في هذا التقويم مكونة من ٣٦٠ يوماً، ومؤلفة من اثني عشر شهراً بطول ٣٠ يوماً لكل منها، يضاف إليها خمسة أيام إضافية (متممة) للسنة العادية وستة أيام للسنة الكبيسة، وهي الأيام الإضافية التي عدت أعياداً جمهورية، وكانت تحمل أسماء فرنسية هي: يوم الفضائل، ويوم العبقري، ويوم العمل، ويوم الرأي، ويوم المكافآت، أما موقع هذه الأيام فهو في نهاية السنة قبل الاعتدال الخريفي، كما ألغت الثورة الفرنسية أسماء الأشهر الميلادية واستبدل بها أسماء مشتقة من أسماء الظواهر الطبيعية: فهناك شهر فانديمير (شهر الريح)، وشهر بيلفيوز (شهر المطر)، وشهر فلوريال (شهر الزهور).. إلخ، كما نَقل هذا التقويم عن التقويم المصري تقسيم الشهر إلى ٣ عشريات، وعد اليوم العاشر يوم عطلة.

وقد أحدث هذا النظام صعوبات كثيرة للناس لطول الفترة اللازمة للحصول على الاستراحة الأسبوعية (بعد عشرة أيام)، كما أن الأسبوع الفرنسي يختلف عن أسابيع جيران فرنسا مما أحدث إرباكًا لمواعيد أيام السوق والراحة، وقد بدأ استخدام هذا التقويم بتاريخ ٢٢ أيلول/ سبتمبر عام ١٧٩٢م وكانت كل سنة تحمل رقماً خاصاً بها، فالسنة الأولى كانت من ٢٢ أيلول ١٧٩٢م، والسنة الثانية التي تليها وهكذا دواليك، وبقيت فرنسا تستخدم هذا التقويم مدة ١٢ سنة، حتى جاء الإمبراطور نابليون بونابرت فألغاه، وعاد إلى التقويم الجريجوري بتاريخ ٣١ كانون الأول / ديسمبر ١٨٠٥م.

وأما الثورة الروسية (١٩١٧م) فقد قامت بمحاولة وضع تقويم خاص بها، مستوحى من تقويم الثورة الفرنسية والتقويم المصري، وذلك في عام ١٩٢٩م، وقد قسمت السنة في هذا التقويم إلى اثني عشر شهراً بطول ٣٠ يوماً للشهر، وتضاف الأيام الخمسة أو الستة الإضافية بشكل متفرق خلال العام، لتتوافق مع مناسبات العطل الرسمية، والشيء الجديد في هذا التقويم هو استحداث أشهر ذات خماسيات ست (بدلاً من الأسابيع)، أي أن كل خماسية مكونة من ستة أيام!! ولم يكتب لهذا التقويم النجاح فسرعان ما ألغاه ستالين بعد عدة سنوات من استخدامه.

التقاويم العالمية وتقويم عام ٢٠٠٠

وضعت هيئة التقويم العالمي WORLD CALENDER ASSOCIATION - وهي هيئة عالمية في الأمم المتحدة من دول غرب أوروبا والأمريكتين صيغة لتقويم عالمي جديد عام ١٩٣٠م، وتقضي هذه الصيغة بأن يضاف يوم إلى التقويم الحالي وذلك للسنة البسيطة، ويضاف يومان للسنة الكبيسة على ألا تكون هذه الأيام ضمن أي أسبوع أو شهر في السنة، ويكون أحد اليومين في نهاية العام واليوم الثاني يلي اليوم الأخير بعد منتصف العام، وتتطلب هذه الصيغة أن يكون الشهر الأول في كل فصل مكوناً من ٣١ يوماً، ويتبعه شهران في كل منهما ٣٠ يوماً.. وقد قدم هذا التقويم إلى الأمم المتحدة لإقراره تقويماً عالمياً إلا أن اللجنة المشكلة التي قامت بدراسته لم توافق عليه، ولم يقدم المشروع أمام الجمعية العمومية لمناقشته وإقراره.

وهناك اقتراح آخر في هذا الخصوص يقضي بإلغاء التقويم الميلادي الحالي (الجريجوري) عند نهاية القرن العشرين، ووضع تقويم يسمى تقويم عام ٢٠٠١، ويقترح هذا التقويم أن تكون الشهور ١٣ شهراً كل منها ٢٨ يوماً عدا الشهر الثالث عشر فيكون ٢٩ يوماً في السنوات العادية، و٣٠ يوماً في السنوات الكبيسة، ومن ميزات هذا التقويم أنه يوحد بدايات الشهور مع بداية الأسابيع طيلة العام، فإذا كانت بداية شهر يناير هي يوم السبت فتكون جميع الشهور بدايتها السبت، وبهذه الطريقة يتخلص الإنسان من قضية اختلاف بدايات الشهور على مدار العام.

المراجع:

١ـ أسماء الأشهر والعدد والأيام وتفسير معانيها، د. أنيس فريحة، ط١، ١٩٨٨م، جروس برس/ طرابلس / لبنان.

٢ـ السنة الهجرية، محمد زهدي يكن، ١٤٠٠هـ، دار يكن للنشر/ بيروت.

٣ ـ فكرة الزمان عبر التاريخ، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، شعبان / رمضان ١٤١٢هـ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب /الكويت.

٤ـ دليل المسلم الفلكي، عماد عبدالعزيز مجاهد، ط١، ١٤١٥هـ، دار حنين / عمان / الأردن.

٥ ـ ٣٦٥ يوماً قصة التقويم، كيث ج. أيروين، ترجمة سعد الدين صبور، فبراير ١٩٦٥م، دار النهضة العربية / القاهرة.

٦ـ الموسوعة الفلكية، أ. فايجرت، ترجمة: أ.د. عبدالقوي عياد، الهيئة العربية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٧ـ من تقاويم الشعوب، د. إحسان هنيدي، مجلة الفيصل، جمادى الأولى ١٤١٥هـ، العدد ٢١٥، الرياض.

٨ـ تقويم التقاويم والبحث عن الزمن الضائع، د. إحسان هنيدي، جمادى الآخرة، ١٤٠٨هـ، مجلة الكويت، العدد ٦٦، الكويت.

٩ـ التقاويم عبر التاريخ، زهير كامل قمر، مجلة القافلة، رجب ١٤١٥هـ، الظهران / السعودية.

١٠ـ كتاب التقويم، دراسة للتقويم والتوقيت والتأريخ، مع جداول مفصلة لمقابلة التاريخ الهجري بالميلادي حتى عام ٢٠٠٠، أكرم حسن العلبي، دار المصادر، ط١، ١٤١١هـ، بيروت / لبنان.

دائرة المعارف العثمانية

ظروف النشأة ومراحل التطور

حمد بن عبدالله الحماد العنقري

تعدّ دائرة المعارف العثمانية قلعة من كبرى قلاع نشر التراث العربي، واسمًا مجلجلاً في عالم نشر الكتب التراثية، حيث قامت بجهد كبير وعظيم في نشر كثير من المخطوطات العربية التي كانت حبيسة الأدراج والمكتبات، فكيف نشأت هذه المطبعة؟ وما مراحل تاريخها؟ وما أبرز إصداراتها؟

البدايات

في عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م)(١) أسست دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن في الهند، بتوجيه من العلامة السيد حسين البلكرامي (النواب عماد الملك)، والملا عبدالقيوم، والسيد أنوار الله خان فضيلة جنك أستاذ سمو «النظام»(٢). وهي تحت إشراف نظام حيدر آباد، ولنشأتها سبب طريف يتلخص في أن الملا عبدالقيوم زاره بعض إخوانه في بيته، فأرسل ابنه ليشتري بعض الحلوى، فجاء الابن بالحلوى في لفافة من الورق المخطوط، لفتت نظر الملا عبدالقيوم فتفحصها وتبين أنها مخطوطة مهمة، فهاله أمر المهانة التي انتهت إليها بعض المخطوطات الإسلامية، وأدرك مدى خطورة ما يتعرض له التراث الإسلامي من إهمال وضياع، وانبعثت في نفسه فكرة العمل على إيجاد المؤسسة التي توكل إليها عملية الاحتفاظ بهذه المخطوطات وتحقيقها وإخراجها على شكل مطبوع، حتى لا تكون ضحية لمثل هذا الواقع المؤلم.

لذلك سارع إلى المسؤولين في الإمارة الآصفية، وعلى رأسهم النواب عماد الملك السيد حسين البلكرامي عميد المعارف في الدولة الآصفية، وتكونت لجنة برئاسة الشيخ أنوار الله خان - مؤسس المدرسة النظامية بحيدر آباد - وبتمويل ومساعدة من «مظفر الممالك فتح جنك نظام الدولة نظام الملك آصفجاه مير محبوب علي خان» النظام السادس - أي الحاكم السادس من أسرة آصفجاه الذي حكم من عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م إلى عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م - الذي وافق على تبني إعانة الدائرة حتى تواصل مسيرتها، وذلك بمرسوم صادر عنه في اليوم الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٠٨هـ. وفي البداية سميت باسم دائرة المعارف النظامية، ثم في عهد النظام مير عثمان علي خان بهادر آصفجاه السابع - الذي حكم من عام ١٣٢٩هـ /١٩١١م إلى عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م - تغير اسمها إلى دائرة المعارف العثمانية نسبة إليه(٣)، ولقد كان هذا النظام يدعمها سنويًا بعشرات الألوف من الجنيهات يتبرع بها من ماله الخاص خدمة للدين الحنيف، ومساعدة للدائرة في طبع الكتب.

شعار الدائرة

وفي البداية كانت الدائرة مستقلة بإدارة خاصة بها، ثم ضمت إلى الجامعة العثمانية التي أنشئت في عام ١٩١٧م، وأصبحت قسمًا من أقسامها، ثم بعد مراجعة سياسة الدائرة أصبحت من عام ١٩٤٦م تشرف عليها لجنة إدارية، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت تشرف على النشاطات الأكاديمية لجنة المطبوعات. وبعد احتلال الهند حيدر آباد في سبتمبر/أيلول من عام ١٩٤٨م توقفت أعمال الدائرة مؤقتًا، ثم عاودت أنشطتها بعد عام ١٩٥١م عندما خطط لإصدار سلسلة جديدة، بعد أن حصلت على موافقة خاصة من وزارة التربية في الحكومة الهندية، فتم

إصدار عدد من الأعمال في مجال العلوم والموضوعات الشرعية والعلوم الأخرى، كما عاودت الدائرة طباعة بعض مطبوعاتها المهمة التي نفدت طباعتها منذ أمد بعيد من خلال هذا البرنامج.

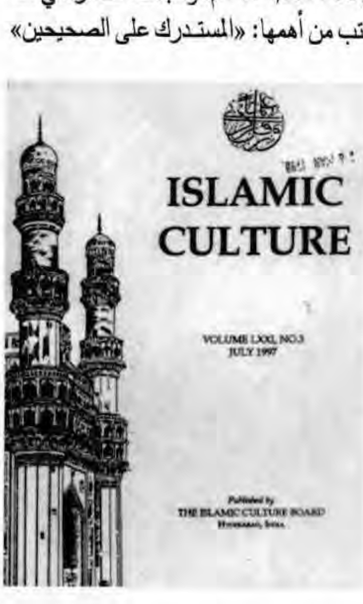
مراحل مرت بها الدائرة

مرت الدائرة بمراحل على ما يذكره صاحب كتاب «الثمرات العلمية والنشريات العربية لدائرة المعارف العثمانية» هي(٤):

الدور الأول: تأسيسي، ويمتد من عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م إلى عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م وفي هذا الدور طبعت الدائرة ثلاثين كتاباً من أهمها: «مسند أبي داود الطيالسي»، و«كنز العمال» للمتقي الهندي، و«الفائق في غريب الحديث» للزمخشري، و«المعتصر من المختصر من مشكل الآثار» للقاضي أبي المحاسن الحنفي، و«الصارم المسلول على شاتم الرسول» لابن تيمية.

الدور الثاني: تشييدي، ومدته عشرون عامًا تقريبًا من عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م إلى عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، وطبعت الدائرة في هذا الدور مجموعة كبيرة من الكتب من أهمها: «المستدرك على الصحيحين» للحاكم، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي، و«تهذيب التهذيب»، و«لسان الميزان» لابن حجر، و«مشكل الآثار» للطحاوي، و«شرح السير الكبير» للسرخسي، و«رسائل الفارابي».

حلوى في لفافة من الورق المخطوط كانت سببًا في إنشاء دائرة المعارف العثمانية







الدور الثالث: تنظيمي، ومدته عشرون عاماً تقريبًا، وتقع بين عامي ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م و١٣٦٤هـ/١٩٤٦م، وفي هذا الدور توقفت الدائرة لانتخاب أمّات الكتب في الفنون المختلفة للمشكلات المذكورة سابقًا، حيث أصدر مديرها هاشم الندوي كتاب «تذكرة النوادر من المخطوطات العربية»، وفيه أسماء مجموعة من المخطوطات التي كانت الدائرة تنوي طباعتها. ومن أبرز الكتب الصادرة في هذا الدور «السنن الكبرى» للبيهقي، ومعه «الجوهر النقي» لابن التركماني، و«مسند الإمام أبي عوانة الإسفراييني»، و«التاريخ الكبير» للبخاري، و«الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حجر العسقلاني، و«الجمهرة» لابن دريد.

الدور الرابع: دور الاستحكام، ومدته عشرون عاماً تقريباً من عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٧م إلى عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، وفي هذا الدور استطاعت الدائرة تجاوز العقبات والأزمات العالمية الناتجة من الحرب العالمية الثانية، ومن مطبوعات الدائرة في هذا الدور مجموعة من أمّات الكتب مثل: «المعاني» لابن قتيبة، و«رسائل ابن رشد الحفيد»، و«أمالي اليزيدي»، و«رسائل ابن عربي»، وهي في التصوف، و«رسائل البيروني»، و«تاريخ جرجان» لحمزة بن يوسف السهمي، و«الحاوي في الطب» للرازي.

الدور الخامس: دور الأفول والغروب ويبدأ من عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م إلى عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م(٥)، وفي هذا الدور استمرت الدائرة في طباعة الكتب حسب ما هو مرسوم لها على الرغم من المصاعب التي كانت تواجهها، وقد طبعت الدائرة مجموعة من الكتب من أهمها: إكمال طباعة «الحاوي في الطب» للرازي، وطباعة «الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية» للنويري، و«نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي، و«مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لطاش كبري زاده، وقد توقفت الدائرة نهائياً عن مزاولة أنشطتها، وذلك بسبب العجز المالي في الميزانية. ويسعى الشيخ أبوالحسن الندوي الآن لجمع التبرعات للدائرة حتى تعاود نشاطها من جديد(٦)، فهل يتحقق النجاح؟

أقسام الدائرة

تتكون دائرة المعارف العثمانية من عدة أقسام هي:

قسم الطباعة، وقسم الإدارة، وقسم التجليد، وقسم المخطوطات والتصحيح.

أما عن طريقة إدارة عمل مجلس دائرة المعارف العثمانية فهناك لجنتان هما:

ـ اللجنة التنفيذية:

وتتكون من سبعة أعضاء على رأسهم رئيس وزراء ولاية آندهرا براديش، وينوب عنه مدير الجامعة العثمانية، وأما بقية الأعضاء فيمثلون حكومة الولاية والحكومة المركزية، والعضو السابع هو مدير الدائرة. وعملها الإشراف على مهام النسخ والمقابلة والتصحيح والتحقيق والطباعة والنشر. وشكلت هذه اللجنة في عام ١٩٥٣م، بناءً على قانون جديد نظم لعمل الدائرة صدر في تلك السنة نفسها.

ـ اللجنة العلمية:

وتتكون من سبعة أعضاء، يتولى رئاستها رئيس اللجنة التنفيذية

بالنيابة، وهو مدير الجامعة العثمانية. وأما بقية الأعضاء فإنهم نخبة من العلماء والمفكرين والمهتمين بالتراث الإسلامي، ويكون منهم رئيس القسم العربي بالجامعة العثمانية، وأما أمين السر للجنة فهو مدير الدائرة بحكم منصبه، وهذه اللجنة تدير الجانب الفكري من عمل الدائرة.

وإلى جانب هاتين اللجنتين، هناك لجنة استشارية دائمة للدائرة، ومهمتها إسداء الرأي والمشورة، والتعاون في المشكلات التي تواجه الدائرة، وما تتطلبه من احتياجات، وهي تتألف من النوابغ من رجال العلم، ومن المستشرقين المعروفين.

وقد تولى إدارة شؤون الدائرة مجموعة من العلماء والباحثين والمختصين نذكر بعض من استطعنا الحصول على أسمائهم وهم:

الملا عبدالقيوم، والسيد حسين البلكرامي، وعبدالوهاب البخاري، وهاشم الندوي، وعلي ياور جنك بهادر، ومحامد علي العباسي، ومحمد نظام الدين، ومحمد عبدالمعيد خان، والقاضي شرف الدين أحمد، والحاج السيد ظهور الحق، والدكتور مير ولي الدين، وغيرهم.

أما عدد المخطوطات العربية الموجودة في دائرة المعارف العثمانية الأصلية والمصورة فعددها قرابة ٣٧٦ مخطوطاً.

وفيما يتعلق بالموارد المالية للدائرة، فإن للدائرة أوقافاً تسد شطراً من نفقاتها، بالإضافة إلى أن حكومة ولاية آندهرا براديش تمنحها مساعدة مالية قدرها ١٦٠٠٠ روبية سنوياً، كما تمنحها الجامعة العثمانية مبلغ ١٠٠٠٠ روبية سنوياً، بالإضافة إلى ذلك تتلقى الدائرة مساعدة مالية كل ثلاث سنوات من وزارة المعارف للحكومة الهندية المركزية تقدر بين ٤٠٠٠٠ إلى ٥٠٠٠٠ روبية سنوياً، وهذه المبالغ هي ما استطعنا معرفته من ميزانية عام ١٩٦٦م، وعام ١٩٦٧م، كذلك تستقبل الدائرة التبرعات والإعانات، فكانت تتلقى الإعانة السنوية من النظام عثمان علي خان حاكم إمارة حيدر آباد الذي كان يجود عليها بالكثير من المال لتواصل طباعة الكتب، كما تلقت الدائرة التبرع السخي الذي قدمه الملك سعود بن عبدالعزيز عند زيارته الهند في عام ١٩٥٥م، بالإضافة إلى مبيعات الكتب التي كانت تطبعها الدائرة حيث تسهم في سد جزء من نفقاتها.

غايتها وضوابطها

أما الغاية من إنشائها - بمقتضى نظامها - فهي «إشاعة الكتب العربية القديمة، والتنقيب عن المخطوطات العربية النادرة وجمعها وتحقيقها والحفاظ عليها، وإعادة تحريرها ونشرها، سواء تناولت هذه المخطوطات الأدب العربي أو التاريخ أو الفلسفة أو الموضوعات الدينية أو العلمية أو الفنون أو غير ذلك من الموضوعات التي بدأت في الانقراض والزوال، وأصبحت عرضة للتلف والضياع، بسبب حوادث الزمان وتقلباته».

وفي خطبة افتتاح الدائرة أشار النواب السير وقار الأمراء وزير معارف الدولة الآصفية إلى مقاصدها بقوله: «...وقررت من غرضها السديد أن تطبع الكتب القديمة من العلوم العربية، التي هي من نوادر الزمان، وعجائب الأيام، على الاستطاعة الموفقة من الله العزيز. وإنما هذه خدمة جليلة للعلم والأدب تكون تذكاراً لنا في الآخرين، وإنما المسابقة إلى مثل هذه الأعمال العظيمة تكون شرفاً رفيعاً، وعزاً منيعاً، لما فيها من إحياء العلوم القديمة».

غاية الدائرة إشاعة الكتب العربية القديمة والتنقيب عن المخطوطات العربية النادرة ونشرها


إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا

كتاب الحماسة

جمع الشريف ... الإمام ... ضياء الدين
أبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد
ابن حمزة العلوي الحسني ... المعروف
بابن الشجري ... الكرخ
سنة (٥٤٢) من
الهجرة النبوية ٥٥٩١٥

طبع في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ...
بحيدر آباد الدكن حرسها الله عن
الشرور والفتن في شهر
محرم الحرام سنة ١٣٤٥
هجرية


الرسائل المتفرقة في الهيئة
للمتقدمين ومعاصري البيروني

وهي احدى عشرة رسالة

الطبعة الاولى ٥٥٩٢٢ 52283
بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية
بحيدر آباد الدكن (الهند)


الكهف والرقيم
في شرح
بسم الله الرحمن الرحيم
للعلامة الصوفي العارف الكامل الولي إمام المحققين الشيخ
عبد الكريم ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني الجيلي
(المتوفى سنة ٨٣٢ هـ — ١٤٢٨ م)

طبع بمراقبة ٩٢٠٣٧
الدكتورة سيدة مهر النساء مديرة دائرة المعارف العثمانية وسكرتيرتها
و بروفيسور القسم العربي الجامعة العثمانية حيدرآباد
الطبعة الرابعة 7 ...807
بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند
١٤٠٦ هـ — ١٩٨٥ م

وجاء في النظام أن عملية اختيار الكتب للنشر تتم وفق الضوابط التالية:

- أن يكون الكتاب لم يسبق طبعه من قبل.
- أن يكون له أهمية في نفسه وبالنظر إلى فنه، وحاجة أهل العلم إليه، ورجاء حسن أثره في النهضة العلمية.
- أن يكون من مؤلفات القرون الثمانية الأولى من الهجرة (وقد استثنت الدائرة بعض أمات الكتب الجامعة التي لا يستغنى عنها من مؤلفات كبار الأئمة في القرن التاسع). ولكن الدائرة لم تلتزم هذا الشرط، حيث طبعت كتباً لمؤلفين من قرون متأخرة، لأهمية مؤلفاتهم مثل كتاب «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» لعبد الحي اللكهنوي الحسني المتوفى سنة ١٣٤١هـ، و«معجم المصنفين» لمحمود حسن التونكي المتوفى سنة ١٣٦٦هـ.
- أن تكون نسخه قد قلت في مكاتب العالم بحيث يخشى أن تفقد إذا لم تتدارك بالطبع.

وإذا انطبقت الشروط والضوابط السابقة على الكتاب بعد عرضه على اللجنة العلمية، ثم على اللجنة التنفيذية بعد ذلك، وبعد الموافقة عليه من

اللجنتين تبدأ مرحلة العمل على الحصول على الأصول الخطية للكتاب، أو على صور له من المكتبات، ودور حفظ الكتب في أنحاء العالم المتفرقة، مثل دار الكتب المصرية، والخزانة الملكية المغربية، والمكتبة الظاهرية بدمشق، ومكتبات إستانبول، والمتحف البريطاني بلندن، والمكتبة القومية بباريس، والمكتب الهندي، ومكتبة البودليان، ومكتبة الأسكوريال في إسبانيا. حيث تبحث الدائرة عن نسخة المصنف، أو نسخة قريبة منها، وتحرص على ما يكون منصوصاً على أنه قويل على النسخ المعتمدة، وأن تكون النسخة مقروءة على بعض العلماء المشهورين، ولا تطبع الدائرة كتاباً حتى تحصل على نسختين جيدتين منه على الأقل، إلا أن يوجد كتاب نادر لا توجد منه إلا نسخة واحدة في العالم، ككتاب «المحبر»، و«المنمق» وكلاهما لمحمد بن حبيب، كذلك تحرص الدائرة على أن تحصل على النسخ الخطية الأصول، فإن لم يتيسر فصور مأخوذة عنها إلا في النادر، فإنها ربما تكتفي بنقل معتمد عليه، كبعض الكتب التي نقلها الدكتور كرنكو بخطه، واعتنى بتصحيحها، ككتاب «المجتبى» لابن دريد الأزدي، المطبوع سنة ١٣٤٢هـ، بتحقيق السيد هاشم الندوي، وقد اعتمد في نشر هذا الكتاب على نسختين نسخهما كرنكو.

وبعد جمع الأصول الخطية أو المصورات تبدأ عملية نسخ المخطوطة، ثم تصحيحها عن طريق مقابلتها بالمراجع، ثم تحقيقها بتخريج الأحاديث، ومقابلة النسخ، وشرح بعض الغوامض، حيث إن الدائرة تعنى عناية خاصة بقضية التصحيح، فلديها جماعة من العلماء لهذا المقصد يصححون الكتب بمقابلة أصولها، ومراجعة المظان، وتطبيق القواعد وطرائق التحقيق. ثم يقدمون للكتاب، ويضعون فهارس لأعلامه وأمكنته.

بعد ذلك تتم المرحلة الأخيرة، وهي عملية الطباعة، حيث إن المطبعة قسم من أقسام الدائرة، وموجودة في المبنى نفسه، وهذا يسهل عمل الدائرة، ويوفر الجهد والوقت خاصة عند إجراء المراجعة والتصحيح. وبذلك تتم عملية الطباعة ليخرج الكتاب محققًا ومطبوعًا ومجلدًا في صورته النهائية.

أما مطبعة الدائرة فهي مطبعة متواضعة في إمكاناتها، حيث تعمل بطريقة صف الحروف، ويعمل فيها عدد من الفنيين يقدر عددهم بخمسة عشر فنيًا عام١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، والغريب أن هؤلاء العاملين الذين يصفون الحروف - يدويًا - يتمتعون بقدرة خاصة على قراءة المخطوطات وهم في الحقيقة لا يعرفون العربية، وقد اكتسبوا هذه المهارة من قراءتهم للقرآن الكريم، وبهذا يتعرّفون الحرف العربي!!

والمطبعة في الدائرة تنقسم قسمين: القسم العربي، والقسم الإنجليزي. فالقسم الإنجليزي يتولى طباعة مجلة Islamic Culture أي مجلة الثقافة الإسلامية، التي تصدرها الدائرة باللغة الإنجليزية كل ثلاثة أشهر - وما زالت هذه المجلة تصدر إلى اليوم - وتتضمن مقالات غزيرة حول الموضوعات العلمية والأدبية والدينية. وأما القسم العربي فيتولى طباعة الكتب والمخطوطات العربية، وإنجاز برامج الطباعة المفوضة إليه من الحكومة الهندية، بالإضافة إلى طباعة بعض المؤلفات الجيدة لكبار الكتاب والمؤلفين. كذلك يوجد به قسم لا بأس به لتجليد الكتب.

ولم تكتف الدائرة في الطباعة بمطبعتها فقط، بل طبعت بعض مطبوعاتها خارج الهند، حيث طبعت كتاب «معرفة علوم الحديث» للحاكم النيسابوري - مثلا - بدار الكتب المصرية، وكذا «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» لابن خالويه الذي طبع في دار الكتب المصرية أيضاً، كما طبعت الدائرة كتاب «معجم المصنفين» لمحمود حسن خان التونكي ببيروت.

إسهامات دائرة المعارف العثمانية في حركة النشر

أسهمت دائرة المعارف العثمانية بدور رائد في حركة نشر التراث العربي، فلقد نشرت خلال سبعين سنة من إنشائها ١٧٠ كتاباً في ٤٦٠ مجلداً غير ما أعادت طباعته مرة أخرى، ولا تتوافر الإحصاءات عن مجموع ما طبعت الدائرة حتى توقفها.

فمن أوائل الكتب التي قامت الدائرة بنشرها كتاب «تأويل سورة الفاتحة» المعروف بـ«إعجاز البيان في تفسير أم القرآن» للقونوي، و«الاقتراح في علم أصول النحو» للسيوطي، المطبوعين في عام ١٣١٠هـ. أما آخر كتاب طبع في الدائرة فهو كتاب «الغريبين» لأبي عبيد الهروي، الذي طبع في عام ١٤١٣هـ.

ولقد أتت مطبوعات الدائرة على كل فنون التراث، وامتازت بالإتقان، وحسن الإخراج، وإن كان يؤخذ عليها عدم العناية بجودة الطباعة، كما امتازت الدائرة بالانتقاء الجيد والعالي والرفيع لمطبوعاتها من كتب التراث، وبالقيمة العلمية والتراثية والأدبية، مما يدل على حرص القائمين على شؤون الدائرة، كما تميزت مطبوعاتها بالتحقيق ودقة التصحيح والضبط والسلامة من الأخطاء الإملائية والمطبعية، كذلك تميزت مطبوعاتها بذكر النسخ المعتمدة في التحقيق والتصحيح، وكذا وضع خاتمة في نهاية الكتاب يذكر فيها التاريخ بالشهر والسنة مع ذكر مصحح الكتاب.

ومما تميزت به الدائرة تعاونها مع مجموعة من

نشرت الدائرة خلال سبعين عاماً ١٧٠ كتاباً في ٤٦٠ مجلداً من أمات الكتب





هل ينجح الشيخ الندوي في إعادة الدائرة إلى سابق عهدها؟


السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية

المصباح المضي

في

الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري

(الجزء الأول)

طبع

بإعانة وزارة المعارف و الشؤون الثقافية للحكومة العالية الهندية

تحت مراقبة

54756 ٥٥٩١٤

الطبعة الأولى


كتاب

السمط المجيد

في

54674 ٥٥٩٢٠

الطبعة الأولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند

سنة (١٣٢٧) هجرية

الباحثين والمستشرقين مثل ف.كرنكو (محمد سالم الكرنكوي)، وإدوارد سخاو، والشيخ عبدالرحمن المعلمي، والدكتور عزيز سوريال عطية، وشارل بيلا، وهـ.ريتر، كما كان للدائرة اتصالات وثيقة بعلماء المخطوطات والتراث في كل مكان.

وتميزت الدائرة كذلك بطبع نشرة خاصة بها كل سنة فيها بيان بأسماء مطبوعاتها في تلك السنة.

ومن مميزات الدائرة قيامها بنشر الموسوعات الضخمة مثل كتاب «الحاوي في الطب» للرازي (٢٣ جزءاً)، و«كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» للمتقي الهندي (٢٢ جزءاً)، و«نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (٢٠ جزءاً)، و«الأنساب» للسمعاني (١٣جزءاً).

كذلك نشرت الدائرة كتباً من النصوص الأولى في التأليف العربي مثل كتاب «التيجان في ملوك حمير» لوهب بن منبه، و«الفقه الأكبر»للإمام أبي حنيفة، و«الخيل» لأبي عبيدة معمر بن المثنى، و«المحبر» لابن حبيب، و«الأصل» لمحمد بن الحسن الشيباني، وغيرها.

كذلك برزت الدائرة في طباعة كتب الحديث، وعلم الرجال وتراجمهم، ويعد هذا من أوسع ما نشرته الدائرة وأعظمه، وهو ما لم تقم به هيئة أخرى في العالم العربي أو خارجه.

ثناء العلماء والباحثين على دائرة المعارف العثمانية

لقد أثنى العلماء والباحثون وغيرهم على نشاط دائرة المعارف العثمانية، فمن هؤلاء من ازدهرت الدائرة في عهده ألا وهو النظام مير عثمان علي خان بهادر آصفجاه السابع الذي أثنى على نشاط الدائرة، ففي أحد مراسيمه المؤرخ في غرة جمادى الآخرة من عام ١٣٣٨هـ أشار إلى غايتها الجليلة: «سيما إلى نشر الكتب التي هي عزيزة الوجود، نادرة الزمان، عظيمة الشان، لتكون تذكرة للأولين، وتهدية للآخرين، وتبصرة للمعاصرين». وفي خطاب له وجهه إلى وفد من علماء الأزهر زاروا الدائرة قال: «علماء الأزهر يشاهدون دائرة المعارف إحدى المؤسسات العلمية القديمة في مملكتنا، ذاع صيتها العلمي والأدبي في مشارق الأرض ومغاربها، وشيدت مطبوعاتها النافعة، وتحقيقاتها الجديدة بناءً علمياً لمملكتنا شاهقاً. فنقدر هذه الخدمات العلمية حق قدرها، ونبجل خزائن الكتب والعلماء والمستشرقين الذين أفادوا دائرة المعارف بنفائس مكنوناتهم، وندعو الله أن تفسح جمعية دائرة المعارف مجال أعمالها العلمية في المستقبل، رامية إلى مقاصد عالية، وغايات سامية..».

ومن الذين أثنوا عليها من الباحثين، الشيخ محمد رشيد رضا، فقال عن إنجازات الدائرة: «..العالم الإسلامي يحمد للهند فضلها في طباعة الأعمال الأساسية في الموضوعات الإسلامية خاصة في السيرة والحديث».

وقال العلامة السيد سليمان الندوي: «نحن - أهل الهند - نفتخر، مع إفلاسنا العلمي في هذه الأيام، بهذه الدرر الثمينة النادرة التي أخرجها مجمع المعارف في (حيدر آباد) إلى طبقات العلماء، ونرجو أن يعود إلينا مجدنا العلمي تحت ظل الدولة الآصفية». ويقول في معرض تقديمه لكتاب معجم الأمكنة: «...كم لدائرة المعارف من أيادي بيضاء في نشر العلم، وإحياء الكتب، ولعمري قيامها بطبع هذا الكتاب ونشره أتى بخدمة علمية وطنية يرن صداها في أنحاء القطر العربي، وأرجاء العالم الإسلامي».

أما الأستاذ إبراهيم الجبالي أحد مدرسي الأزهر، فقال: «ومن المآثر التي امتازت بها حيدر آباد منشأة دائرة المعارف التي تقوم بإحياء أمهات الكتب النافعة الجليلة في الحديث والرجال وعلوم الأدب واللغة وغيرها، تنقب في مختلف دور الكتب، ومتى ظفرت بكتاب قيم أحضرت منه نسخة، وعرضته على أعضائها يفحصونه، ويدرسونه، حتى إذا استقر الرأي على عظم نفعه وجدارته بالنشر، جدوا في البحث والاستقصاء في مكاتب الأقطار المختلفة حتى يعثروا على نسخة منه أو عدة نسخ، ليحكموا أمرهم في التصحيح والتحري، ويخرجوه على أصح ما يتسع له الإمكان، ثم طبعوه ووزعوه على الديار الإسلامية بأثمان لا تزيد كثيراً على تكاليف طبعه، يبتغون بذلك توسعة أفق العلم الديني والعربي، وسمو النظام من ورائهم يشد أزرهم، ويعينهم بما يحتاجون إليه. فهي من هذه الناحية تشبه دار الكتب المصرية في انتقائها الكتب الأدبية والدينية النافعة وطبعها، تعميماً للثقافة وتوسعة لدائرة العلم. ولقد شهدنا من عنايتها بكتب الحديث والرجال ما يستحق كل إعجاب. ولرجال دائرة المعارف مكانة محترمة في نظر سمو النظام وبين الدوائر العلمية في الهند، وفي العالم الإسلامي. ولهم ولع شديد بتنمية أواصر المودة بينهم وبين الهيئات العلمية في معظم البلاد الإسلامية».

وقال العلامة السيد عبدالحي الحسني عنها: «إنها نشرت كتباً قيمة في الحديث، وأسماء الرجال، والتاريخ، واللغة، وعلوم الحكمة، والعلوم الرياضية للمتقدمين، كان يتسامع بها الفضلاء، ويحن إليها العلماء، ولم تر ضوء الشمس، فكانت مأثرة علمية تذكر وتشكر».

أما ابنه أبوالحسن علي الحسني الندوي فيقول عن الدائرة: «...وقد نشرت أكثر من مئة وخمسين كتاباً قيماً من كتب الحديث حُرمها العالم الإسلامي، والأوساط العلمية من عهد بعيد، وتسامع بها العلماء والمدرسون، فكانت خدمة جليلة للعلم والدين، وقد اعترف بجهود هذه المؤسسة العظيمة، وجلالة عملها، وقيمة ما تنشره من التراث العلمي كبار العلماء، ورجال الثقافة في الشرق وأوربا».

وقال الأستاذ محمد كرد علي في معرض حديثه عن كتاب «المجتبى» المطبوع في الدائرة: «وكنا نود لو بذلت العناية أكثر مما بذلت حتى الآن بمطبوعات مطبعة حيدر آباد الدكن، من وضع الفواصل، وتقطيع الجمل، وتحلية النصوص بالشكل، عند مواطن الإشكال، وشرح الغامض من الألفاظ، تسهيلاً على جميع المطالعين، وعسى الذين عنوا بطبع كتب العرب في الدكن، وبمباي، ولاهور، وكلكتا، ودهلي، ولكنو، وكمبور، وغيرها من بلاد الهند أن يجروا بعد الآن على الطريقة التي اتبعها علماء المشرقيات، وطرس على آثارهم بعض الطابعين في مصر، والشام، وتونس، والعراق، وعندها تزيد فوائد مطبوعاتهم فوق ما فيها اليوم من النفع العميم».

وقال العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي: «ومما يجدر ذكره هنا أنه في هذا الدور الجديد لحيدر آباد الدكن، وفي هذه الخمس السنوات الأخيرة، انتشر صيت دائرة المعارف، وطابت سمعتها، وحصل لها القبول العام في الأوساط العالمية شرقية وغربية، بما قامت به من الأعمال العلمية الخالصة في نشر الكتب الجليلة النادرة، وبذلك ازدادت الروابط الحسنة الأدبية والثقافية بين الشرق والغرب، وبين الهند والمعاهد العلمية في أوربا. ونحن ممنونون جداً من جميع العلماء والأكابر الذين شجعونا باستحسان أعمالنا وتقديرها، ونرجو من العلماء والمستشرقين في أقطار العالم والمراكز العربية أن يتعاهدونا بملاحظاتهم وآرائهم السديدة، فيما يساعد على توسيع أعمال الدائرة والزيادة في إتقانها».

وقال السيد هاشم الندوي عنها: «بعد إقامة هذه الجمعية بذل أعيانها سعيهم لاستيفاء مقاصدها العالية، ففازوا بعون الله الملك الوهاب في غاياتها الجليلة، كما ترى في مطبوعاتها القديمة بعض الكتب الثمينة، التي كانت من اللآلئ المكنونة في غلف الصدف، والدرر المنثورة في ذخائر السلف، فجمعت ثم زينت بالطبع، ثم نشرت بنفقات خطيرة ومحن كثيرة، حتى نشأت العلوم بها نشأة جديدة، وأفاضت بها حياة عزيزة».

وقال السيد محمد حبيب الله الرشيد القادري: «تلك الدائرة التي ملأت الشرق بإنتاجها، ووزعت على العالم العربي نعمها وهباتها، وكم لها من الحسنات في كل فرع من فروع العلوم والآداب والفنون».

وقال محمد المأمون الأرزنجاني الدمشقي: «إن دائرة المعارف قد أسدت إلى العلم وأهله أيادي بيضاء، ولقد أخرجت من دفائن آبائنا كنوزاً ثمينة جديرة بأن تكون من أزهى عقود جواهر المعرفة في جيد الدهر. تلك العقود والجواهر الخالدة التي كانت العقول النيرة تائقة لسبر غورها، والاستطلاع عليها من كل الأمم، نعم إن دائرة المعارف العثمانية قد أحيت تلك الآثار القديمة وحفظتها من الضياع والاندثار؛ لأنها تحتوي على نتاج عقول الأقدمين ومعلوماتهم ومشاهداتهم وتجاربهم التي تنضى لها مطايا البحث، وتشد لأجل معرفتها الرحال، وهي لا تزال تتحفنا من آن لآخر بمؤلفات قيمة تمتاز بجودة الطبع، وحسن الترتيب. ولقد برهنت بأعمالها المستمرة منذ نصف قرن على أن مقصدها الأصلي خدمة الثقافة العامة، وإحياء ما اندرس من معالم العلوم، ولم تقصد في عملها التجارة ولا جلب المغانم لنفسها، وإني أتتبع سيرها ورقيها منذ عشر سنوات وأرى أنها تتدرج في مدارج الرقي والتكامل يوماً فيوماً من الحسن إلى الأحسن، ومن الجيد إلى الأجود، فلذلك أتيقن أنها ستكون منهلاً عذباً لرواد المعارف في كل أنحاء العالم».

الهوامش:

١- يذكر الأستاذ عبدالله محمد شريف في كتابه «الأيام القضية في المملكة الآصفية العثمانية» في ص ٨٤ أنها أسست في عام ١٨٨٦م، وهو تاريخ ولادة عثمان علي خان (النظام السابع)؛ لذلك نسبت إليه، وهذا خلاف المشهور، والصحيح أنها أسست في عام ١٨٨٨م.
٢- النظام لقب يطلق على حكام إمارة حيدر آباد تمييزاً لهم من غيرهم من حكام الإمارات الهندية المختلفة الذين يطلق على أحدهم النواب إن كان مسلماً، أو راجا إن كان هندوكياً، وذلك لمكانة هذه الإمارة وأهميتها.
٣- كل من ذكر تاريخ إنشاء الدائرة يذكر أنها أنشئت في عهد عثمان علي خان (النظام السابع)، وهذا مخالف للواقع، حيث إنها أنشئت في عهد والده مير محبوب علي خان (النظام السادس)، ومنشأ هذا الخطأ تسميتها بالعثمانية حيث إن إضافة كلمة العثمانية تمت في عهد عثمان علي خان.
٤- هذه التقسيمات ليست بالضرورة أن تكون محددة بوقت معين، ولكن من أجل التقريب، وذكر المراحل التي مرت بها الدائرة.
٥- التاريخ تقريبي حيث إنها أغلقت في بداية التسعينيات.
٦- حدثني الشيخ محمد بن عبدالله العبيد آل الرشيد أن الشيخ أبا الحسن الندوي حدثه بذلك.

المراجع:
١- الثمرات العلمية والنشريات العربية لدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن/لمحمد نظام الدين.
٢- الأيام القضية في المملكة الآصفية العثمانية/ لعبدالله محمد شريف.
٣- تذكرة النوادر من المخطوطات العربية/ لهاشم الندوي.
٤- الهند في العهد الإسلامي/ لعبدالحي الحسني.
٥- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي/د. محمود محمد الطناحي.
٦- الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين/ لأبي الحسن الندوي.
٧- المخطوطات العربية في الهند/ لعبدالرحمن بن عبدالله الجبرين.
٨- مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند/ لعبدالحليم الندوي.
٩- ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم/ لأمين محمد سعيد.
١٠- ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر/ مركز جمعة الماجد.
١١- المخطوطات العربية في الهند/ لعصام محمد الشنطي.
١٢- رسالة علمية تاريخية نشرت تذكاراً لورود البعثة الأزهرية إلى عاصمة الدولة الآصفية حيدر آباد الدكن/ للسيد هاشم الندوي.
١٣- لمعات دائرة المعارف العثمانية في بيان النشريات العلمية العربية، لمحمد نظام الدين.
١٤- مقالة تاريخية تحتوي على أخبار جمعية دائرة المعارف العثمانية/ رتبت بأمر جمعية دائرة المعارف.
١٥- في جنوب الهند/ لمحمد بن ناصر العبودي.
١٦- المباحث العلمية من المقالات السنية/ رتبت بأمر جمعية دائرة المعارف.
17 - Centers of Islamic learning in India/Ziyuad-Dina. desai,M.A., D.Litt.
١٨- مجلة البصائر - باريس/ العدد التاسع، ص٧٣.
١٩- مجلة الرسالة - مصر/ العدد ٢٧٣، ص ١٥٩٥.
٢٠- مجلة الأزهر - مصر/ الجزء العاشر، المجلد الثامن، ص ٧٢٦.
٢١- مجلة البعث الإسلامي - الهند/ العدد العاشر، المجلد الخامس والثلاثون، ص ٨٨.
٢٢- مجلة الأمة - قطر/ العدد الثاني والثلاثون، السنة الثالثة، ص ٣٦ - ٤٤.
٢٣- مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق/ الجزء الثامن، المجلد السادس، ص٣٨٣.
24 - The Da'irat-ul Ma'arif/ Islamic Culture (Oct- 1930) P. 625 -6650
٢٥- مقدمات وخاتمات بعض مطبوعات دائرة المعارف العثمانية.

أغاني العَمَل في التراث اليمني الشعبي

علوي عبدالله طاهر

تعود أغاني العمل إلى البدايات المبكرة للعمل الإنساني المنظم، ذلك أن العمل الجماعي كان مقترنًا بالغناء والإيقاع، لإيجاد التناسق في العمل، وبعث النشاط في العمال، وتحقيق الاتساق الزماني في أدائهم للعمل الذي يؤدونه.

في أثناء العمل يستوحي العمال أصواتًا منغَّمة تنبعث من حركة العمل نفسه، كضربات المجداف المنتظمة الإيقاع، ووقع المطرقة ونحوها، فيردد العمال تلك النغمة بصورة جماعية أو فردية، أو يكررون - بصورة عفوية - أصواتًا منغمة، طوال وقت العمل، في وحدة حركية معينة، لتوقيع حركة أجسامهم على النحو الذي يتسق مع عملهم، لتخفيف مشقة العمل ورتابته.

ولما كان المجتمع اليمني مجتمعًا زراعيًا، فإن أغلب الناس فيه يشتغلون في الزراعة، وقليل منهم يشتغلون في الرعي وصيد السمك والحرف اليدوية والبناء والتجارة ونحوها، ومعظم هذه الحرف تقتضي بذل مجهودات بدنية شاقة من قبل المشتغلين بها، مما يجعل الوحدة الحركية متصلة ومستمرة طوال وقت العمل الذي يتم في اتساق تصاحبه الأغنية، وذلك لوجود ارتباط بين العمل والأغنية، بسبب الموسيقى المنبعثة من كليهما.

ويميل العمال اليمنيون بفطرتهم إلى الغناء في أثناء العمل، لاعتيادهم تنسيق حركاتهم. وللتخفيف من الرتابة والملل والإرهاق، ولذلك هم يغنون عند اشتغالهم بأي عمل شاق، فالمرأة تغني وهي ترفع الماء من البئر، أو تطحن الحبوب في الرحى، والفلاح يغني أيضًا حين يعمل في الحقل، ويؤدي في كل مرحلة يمر بها المحصول أغنية خاصة، ابتداءً من مرحلة البذار، وانتهاء بكيل الحبوب، وعمال البناء يغنون كذلك سواء عند رفع الأحجار، أم عند تشييد المباني، وصيادو السمك يغنون أيضًا سواء عند دفعهم القارب في البحر، أم عند سحب شباك الصيد. وهكذا فإن كل العمال يغنون بصرف النظر عن طبيعة المهنة ونوعية العمل، ذلك أن لكل عمل أغانيه الخاصة به، مما يجعل أغاني العمل في التراث اليمني الشعبي كثيرة ومتنوعة، ويتميز كل نوع منها بأسلوب معين في الأداء والإيقاع، والأغراض، وطريقة التأليف.

وهناك أعمال شاقة تتطلب بذل مجهودات عضلية كبيرة، لذلك هي تؤدى جماعية، على النحو الذي نصادفه عند تهيئة الأرض للزراعة، وعند جني المحصول وجمعه، أو عند البناء وصيد السمك.

ويصاحب هذه الأعمال - عادة - أداء الأغاني الجماعية. إذ يُسندُ العمال إلى مغنٍّ فرد مهامَّ قيادة المَجموعة، وهو الذي يحدد النغم، ويغيّره بمقتضى طبيعة العمل ووقت أدائه، وتكون المجموعة (كجوقة) تردد خلفه صوتًا معينًا تلتزمه ولا تخرج عنه، بينما يتولى المغني الفرد تأليف الكلمات وتقديم الجانب الأكبر من الغناء، ويكون ذلك - عادة - عندما يكون العمل شاقًا كالعمل في البناء والتشييد، أو صيد السمك.. ونحوهما.

ولما كان التراث اليمني الشعبي يزخر بألوان مختلفة من أغاني العمل التي تناقلتها الأجيال عبر العصور، فإن البحث فيها من الأمور العسيرة، لقلة النصوص، أو شحّها، لعدم تسجيلها أو توثيقها على أهميتها، ولذلك فإننا في هذه المقالة المتواضعة سنحاول - في حدود النصوص والأصوات التي سمعناها أو عثرنا عليها - أن نقدم عرضًا موجزًا لبعض تلك الأغاني، لتعريفها، وإبراز بعض سماتها وخصائصها، من خلال نماذج محددة من أغاني العمل في المجتمع

اليمني، التي تسمى في اليمن (هجلات) أو (مهاجل) ومفردها: (هَجْلَة) و(مِهْجل).

أغاني الحراثة

الحراثة هي أولى خطوات الزراعة، وفيها يقوم الفلاح بنبش الأرض بالمحراث، لتسميدها وتسويتها، وتسمى هذه العملية (البِتْلَة) ويسمى العامل الذي يقوم بها (البتّول)، وفي أثناء عملية الحراثة أو (البِتلة) يتغنى الفلاح، بما يسمى (بالهَجْلَة أو المهجل)، وتختلف (مهاجل) الصباح عن (مهاجل) الظهيرة والمساء.

ففي الصباح الباكر يغني أغنية: «يا جالب الخير»، وهي من الأغاني الجماعية، ووقتها قبل الساعة العاشرة صباحاً، في شهري أيار وحزيران/ مايو ويونيو، وهو بدء موسم الزراعة، الذي يسميه الفلاحون (مَبْكَر)، وتؤدى على النحو الآتي:

الفلاح: يا جالب الخير، يا جالبه.
الجوقة: يا جالبه.
الفلاح: ريح السيل يَضْرِبْ، يا جالبه
الجوقة: يا جالبه.
الفلاح: يا قاضي الحاجاتْ، يا جالْبه
الجوقة: يا جالبه.
الفلاح: فتاحْ، يا رزّاق، يا جالْبَه
الجوقة: يا جالبه
الفلاح: الرَّعوي تعبان، يا جالْبه.
الجوقة: يا جالبه.
الفلاح: عوِّضهْ بالحَبْ، يا جالبه..

ويغلب على هذا النوع من الأغاني طابع الدعاء، والابتهال إلى الله بأن يجعل الموسم الزراعي موسم خير وبركة.

وتتصف أغاني الصباح الباكر بإيقاعها الرتيب، وإطالة الصوت في الأداء، أما أغاني الظهيرة فإنها سريعة وخفيفة الأداء، ووقتها بعد الساعة العاشرة حتى يحين وقت صلاة الظهر، ربما لأن الفلاح صار يستعجل

يميل العمال اليمنيون إلى الغناء، لاعتيادهم تنسيق حركاتهم، وللتخفيف من الرتابة والملل والإرهاق، ولكل مهنة أغانٍ خاصة بها

الوقت، ويشعر بالملل والضيق، ولذلك فإنه يتحول إلى الغناء الفردي لتسلية نفسه، فيغني:

يا فارجْ الهمْ
ربٍّ جلّ الهم
الصِّغار تبكي
والكبار تشكي

أما بعد العصر فإن الأغنية تتصف بالقافية المتكررة والأداء السريع المتسق مع سرعة الحركة، لأن الفلاح يكون قد أراح الثور من جر المحراث في هذا الوقت، واستعاض منه (بالحجْنَة) لتسوية الأرض أو لوضع البذورَ في الأماكن التي لا يصل إليها المحراث، أو الواقعة في المرتفعات والهضاب كالمدرجات ونحوها، حيث يلجأ الفلاح في هذا الوقت إلى الأغنيات ذات الأوزان الخفيفة، والجمل القصيرة، وقد يضمنها عبارات مكررة، وهي لا تخلو من الدعابة، مثل:

ألا واليلَ بَهْ
ألا واليلَ به
يا بنات، يا بنات
ألا واليلَ به
عرَّضينْ عندنا
ألا واليل به
ليتني عندكُنْ
ألا واليل به

أغاني الحشيش

عندما يكون الزرع قد اكتمل نموُّه، فإن الفلاح أو الفلاحة يعمد أحدهما أو كلاهما إلى تنقية الحقل من الحشائش الضارة، وإزالة ما علق بالزرع من أعلاف جافة، لتعطى للحيوانات، وفي أثناء هذه العملية التي تكون - عادة - في شهري كانون الأول والثاني/ ديسمبر ويناير، يتغنى الفلاحون بأغنيات صباحية وأخرى مسائية. ومن الأغاني الصباحية أغنية «وابالله بدا وامالي»، ومن كلماتها:

وا بالله بدا وا مالي
قمْ واسر بنا يا ساري
بكِّرْ وانزَقْ الأثوار
ربِّ سَقِّ لي أحوالي

الفعل (نَزَق) في العامية اليمنية تعني (ساق أو قاد) وهي هنا بصيغة الأمر (انزَق). أما (الأحوال) فمعناها الحقول الزراعية، ومفردها (حَوْل)، وقد سميت بذلك لأن محاصيلها حولية.

ومن أغانيهم في الظهيرة عند اشتداد الحر أغنية «ألا واشويرق» ووقتها قبل صلاة الظهر، ومن كلماتها:

ألا واشويرق
ألا واشرَّقهْ
الحَمَى يُحرق
ألا واشرَّقهْ

أما أغاني بعد العصر فيغلب عليها طابع الحمد والثناء على الله تعالى، وبخاصّة عندما يستعد الفلاح لاستقبال المطر، فيسرع لجمع الأعلاف الجافة والحشائش الضارة، فيغني وقتها أغنية «الحمد لله دائم»، ومن كلماتها:

الحمدْ للّهْ دائمْ
ما شنَّت الغمائمْ
الحمد لله ربي
يحرُسْ كل نائمْ
الحمدْ لله سقَّى
أرضي والبهائمْ
الحمد لكْ يا اللّه
ما غنَّتْ الحمائمْ



عمال البناء الأكثر ترديدًا للأغاني الجماعية

أغاني الصّراب

الصّـــراب هو قطف سنابل الذرة وهي لا تزال قائمة على أعوادها، بعد نضج الحبوب، أو عندما تكون نائمة بعد الحصاد، ويصاحب عملية الصراب بعض (المهاجل) الشعبية التي يتغنى بها الفلاحون ابتهاجًا بانتهاء الموسم الزراعي، وبدء موسم الحصاد.

ومن أغاني الصّراب، أغنية «اليوم يالله» ومن كلماتها:

اليومْ ياللّهْ
واليومْ دائمْ
قاصرَ بُوْا الدُّخْنْ
والذُّرَة قائمْ
والسَّبولْ في الحَولْ
مثلْ العمائم
يا شُقَاة اشقوا
قيّمُوا النّسائم

ومن أغاني الصّراب أيضًا أغنية (وابيوم اللّه) وهي وسابقتها من الأغاني الجماعية، إذ يغني أحدهم الصدر، والآخرون العجز:

وابيوم اللّه
وابيوم الخيرْ
أسألكْ واربْ
الرضى والخير
قاصرَ بنا الحَبْ
ما بقى للطير
يا هلا بالدُّخْنْ
يا هلا بالخير

أغاني الطحين

وهي الأغاني التي ترددها المرأة في أثناء قيامها بطحن الحبوب، وتمتاز هذه الأغاني بمقاطعها الطويلة، وإيقاعاتها الرتيبة، ومعانيها الحزينة، التي تعكس واقع حالها البائس، كالأغنية الآتية، وهي من الأغاني التي تؤديها امرأة واحدة فقط:

أخي الصغير باعَدْ لك على ابي
قلْ له يزوّجني مَوْعا يشابي
كعوب صدري مزّقوا ثيابي
قلْ له لِمَوْ يرضى في عذابي؟

ومن أغاني الطحين أيضًا الأغنية الآتية، ولا تخلو هي الأخرى من نبرة الحزن والأسى والرتابة واليأس:

اصبرْ تصَبّرْ على بختكْ والاّ مُوْتْ
لمَّا يبيضينْ حماماتْ الهواءْ ياقوتْ
والشمسْ تطلع عشي، والبحرْ يزرعْ توتْ
والآيجيْ من (خُزيمة) عمّنا مبخوتْ.

والمقصود بـ (خزيمة) هنا: مقبرة أمانة العاصمة.

أغاني الرّعي

وهي تلك الأغاني التي يغنيها الرعاة في الجبال والشعاب والهضاب والأودية، حينما يراقبون أغنامهم في مراعيها، وهم يسلون أنفسهم بها، وتتسم أغاني الرعي بالمقاطع الطويلة، والنغمات الموسيقية التي تحاكي أصوات الرياح في حركتها بين الجبال، كالأغنية الآتية:

جَبل صَبرْ خضَرْ وما مَطرْ شِي
مثل الذي يعشقْ وما معَهْ شِي
وادي الضَّبابْ ماءَك غزيرْ سكّابْ
نُصهْ مَطر، نصهْ دُمُوعْ الأحبابْ

ومثلها الأغنية الآتية:

يا ليتنيْ صخرة بدربْ السَّيلْ
لاحد يقلْ ليْ لا شرَقْ ولا ليَلْ

أغاني البئر

وهي الأغاني التي تغنيها المرأة عند سحب الدلو من البئر، إذ يغلب على القرى اليمنية اعتمادها على مياه الآبار، فتتجمع بعض النساء عند البئر لجلب الماء، باستخدام الرِّشاء والدلو لاستخراج الماء من الآبار العميقة، وفي أثناء ذلك يترنمن ببعض الأغاني لغرض بعث النشاط وإزالة الملل، كالأغنية الآتية:

يا رشا يا بارديَّة
شربة البارد هنيّة
وارد الماء ورديَّة
يا حلايا واردية

سمات أغاني العمل في التراث اليمني وخصائصها

السمة البارزة في معظم أغاني العمل في التراث اليمني الشعبي، التكرار، وهو نوعان: تكرار في القافية، وتكرار بإعادة العبارة، وظاهرة التكرار مألوفة في الآداب الشعبية عامة، وفي أغاني العمل خاصة، ربما لإيجاد الاتساق بين الحركة الجسمية المتكررة، والنغمات المصاحبة لها.

ومن خصائص هذه الأغاني اعتمادُها على العامية في الصياغة، وعدمُ التزامها قواعد النحو والعروض، والإكثار من الكلمات المحلية غير المفهومة، واللجوءُ إلى الترجيع أحيانًا لمحاكاة الأصوات الناشئة عن حركة العمل، واحتفاؤها بالمعتقدات الدينية، وتأكيدُها الخير، والصبر، وتحمل مشاق العمل والإكثار من الدعاء، والحمد والثناء على الله تعالى.

وأغلب أغاني العمل في التراث اليمني موسمية، وبخاصة أغاني الفلاحين، فهي تتنوع بتنوع مواسم الزراعة، وأوقات العمل، فلا توجد أغنية تُغَنَّى في جميع المواسم والأوقات، والشيء نفسه بالنسبة إلى أغاني العمل في المهن الأخرى.

ويغلب على أسلوب صياغة عبارات أغاني العمل، الإكثار من الكلمات العامية، المستوحاة من البيئة المحلية، وتغيير الكلمات الفصيحة، وتسكينها، فإذا أراد القارئ قراءة نصوص النماذج المعروضة، ينبغي أن يسكِّن كل كلمة من كلماتها، حتى يستقيم الوزن والإيقاع، وفي الوقت نفسه ينبغي تقييد القافية وتجنب إطلاق حركة الرويّ.

وفي العامية اليمنية لا تنطق بعض المناطق كلمة (قد) كاملة، بل تكتفي بنطق القاف فقط، كقولهم في أغنية الصراب: «ق صربوا الدخن والذرة قائم» وتقتضي الموسيقى مد القاف قليلاً بالألف.

كما تغيِّر بعض الكلمات تسهيلاً للنطق بها، مثل (لماذا؟) فعند تحويرها تصير (لِمَوْ) مثل قولهم في أغنية الطحين (قلْ لهُ لِمَوْ يرضى في عذابي)؟

ويختلف الأداء الصوتي من أغنية إلى أخرى، ففي أغاني الزراعة يكون الأداء - غالبًا - سريعًا، أما في أغاني الطحين فيكون - عادة - بطيئًا، متسقًا مع بطء حركة الرَّحى ورتابتها، وأما في أغاني الرعي فيكون الصوت قويًا مع إطالة أصوات الحروف، والتفريق بين الكلمات عند الأداء، لإيجاد نوع من الاتساق بين أصوات الرياح، وأصوات الراعي عند الأداء، وما يصاحب ذلك من أصداء.

الأغاني الجماعية يقودها مغن يتولى تأليف الكلمات وتقديم الجانب الأكبر من الغناء، بينما يشكل أفراد المجموعة الآخرون الجوقة

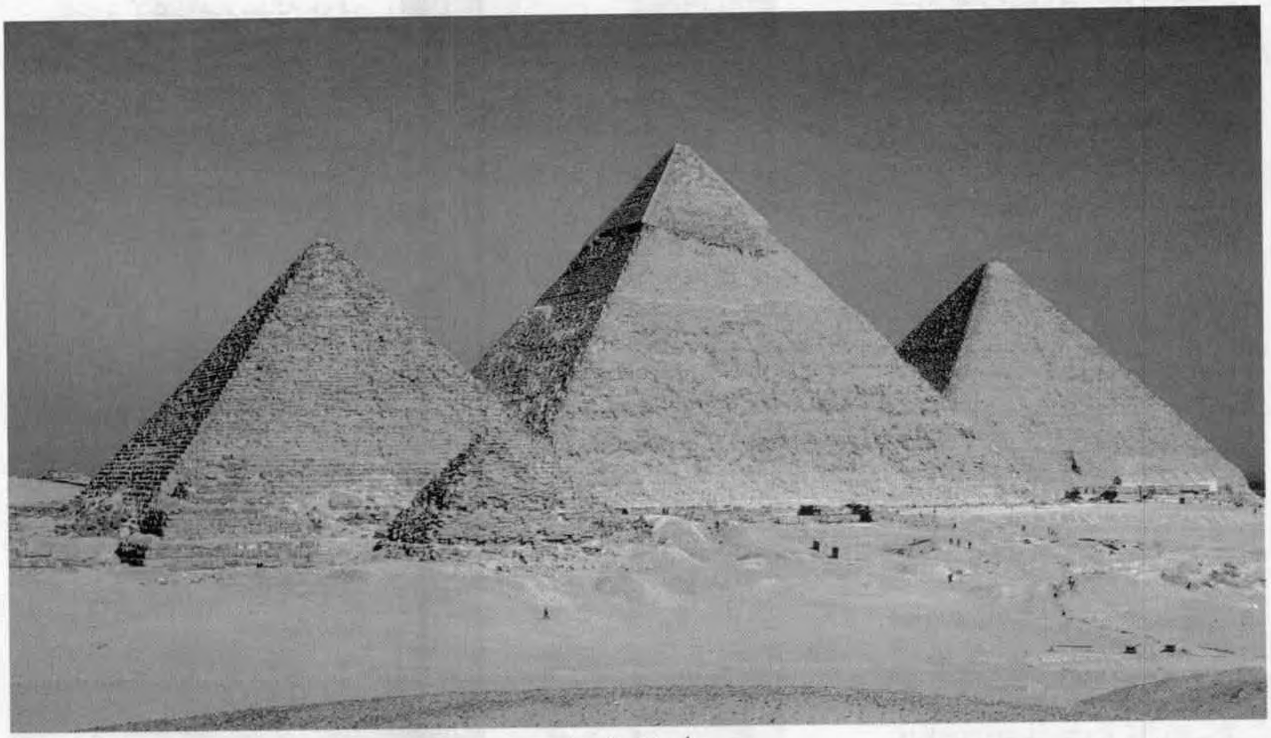


يا جالب الخير يا جالبه

عمارة

آثار معمارية في الذاكرة والمكان

إيهاب فاروق محمد أحمد



أهرامات الجيزة

فقد قرأت في العدد (٢٠٢) سؤالاً ورد في ص:١٣١، يسأل عن عجيبتين من عجائب الدنيا السبع القديمة، وذكر أن سور الصين من عجائب الدنيا القديمة، وهذا خطأ تاريخي، فهذا السور العظيم لم يكن من العجائب القديمة. وقد رأيت أن أكتب مبينًا عجائب الدنيا السبع القديمة في العالم، مع إضافات آمل أن تكون مفيدة.

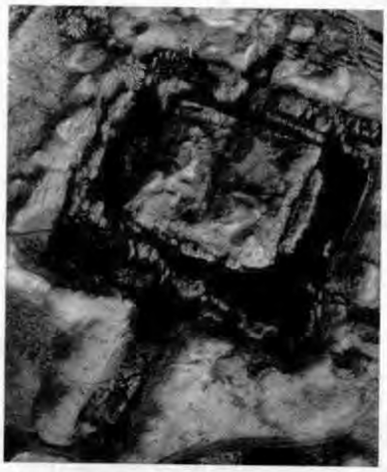
إيهاب فاروق محمد أحمد

أعرض بإيجاز عجائب الدنيا السبع وفقًا لمفهوم العنوان - قاصدًا إزالة الخلط غير المسوّغ من بعض الكتاب الذين يخلطون دائمًا وأبدًا بينها وبين أخريات لا تُعد من العجائب، وكمثال لها سور الصين العظيم. أما أول من عدّد عجائب الدنيا السبع فهو الرحالة أنتيبار الصيدروني في القرن الثاني قبل الميلاد.

أهرامات الجيزة

وأولى هذه العجائب هي أهرامات الجيزة الثلاثة، وهي الوحيدة الباقية من هذه العجائب حتى الآن.

والهرم الأكبر قام ببنائه خوفو سنة ٢٥٨٠ ق.م، وعلى الرغم من ضخامة مبناه ووجود السراديب الطويلة والممرات الصاعدة والهابطة فيه، فقد استطاع اللصوص في عصور الفوضى



قديمًا أن يدخلوه وينهبوا ما فيه من كنوز. وإلى الجنوب الغربي من هرم خوفو يقوم هرم ابنه خفرع، وهو أقل حجمًا. ويوجد هرم ثالث ضخم بناه ابن خفرع (منكاورع) وهو أصغر كثيرًا من الهرمين السابقين. وتعدّ أهرام الجيزة الثلاثة أضخم مقابر بناها الفراعنة طوال تاريخهم.

منارة الإسكندرية

وثانية العجائب هي منارة الإسكندرية، وقد شيدت في عهد بطليموس الثاني نحو سنة ٢٨٠ ق.م وقام بتصميمها المهندس المصري سوستراتوس، على مدخل الميناء الشرقي، وفي الجزء الجنوبي من جزيرة فاروس، حيث كانت على شكل برج بلغ ارتفاعه نحو ١٣٥ مترًا واستخدم في بنائها الحجر الجيري، كما حليت بأعمدة من الجرانيت والرخام والمرمر والبرونز، وكان المبنى مكونًا من ثلاثة طوابق: الطابق الأول مربع الشكل والثاني مثمن الشكل، أما الطابق الثالث فكان أسطوانيًا يعلوه مصباح تغطيه قبة يبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار، أقيم فوقها تمثال ضخم من البرونز بلغ ارتفاعه سبعة أمتار، ويرجح أنه كان لإله البحار والمحيطات عند الإغريق «بوزيدون» Poseidon، وهو شفيع البحارة ورب البحار والمحيطات والخصب، وهو إله يوناني قديم، نقلوا عبادته من شبه جزيرتهم إلى سواحل آسيا الصغرى، والحيوانات التي خصوا بها بوزيدون هي الحيتان والخيل والثيران، وفي بعض أعياده كانوا يزجون في لجة البحر بعض الثيران السوداء تقدمة زكية لإله البحر.

وقد بقيت المنارة تؤدي وظيفتها في إرشاد السفن، حيث كان الهدف



من آثار حدائق بابل المعلقة



آكروبوليس من أعظم الآثار اليونانية الموجودة حتى الآن

من إقامتها هداية السفن القادمة إلى الإسكندرية؛ إذ كان نورها يُرى على بعد خمسين كيلاً من الشاطئ بواسطة مرآة ذات عدسات تستخدم في عكس أشعة الشمس نهاراً، وشعلة النيران ليلاً، بحيث يراها الملاحون على بُعد يومين كالنجم الساطع، وبقيت على تلك الحالة حتى بعد فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه لمصر في سنة ٦٤١م، ثم توالت عليها الكوارث، ففي سنة ٧٠٠م تهدم الطابقان العلويان، فقام أحمد بن طولون في سنة ٨٨٠م بترميم المبنى. ثم حلت بها كارثة أخرى في عام ١١٠٠م إثر زلزال عنيف ولم يبق منها سوى الطابق المربع الشكل، إلى أن حدث زلزال آخر في القرن الرابع عشر الميلادي أتى على البقية من تلك التحفة المعمارية ودمرها تدميراً تاماً، ثم بعد ذلك أقام على أنقاضها الوالي المملوكي قايتباي قلعته ابتداء من سنة ١٤٨٠م.

حدائق بابل المعلقة

وثالثة هذه العجائب هي حدائق بابل المعلقة بالعراق (٦٠٠ ق.م) وقد شيدها القائد نبوخذ نصر من أجل زوجته الماذية «آميتس»، ونبوخذ من أشهر ملوك الدولة البابلية الأخيرة، إذ زال ملك البابليين بعدها إلى الأبد، وكان أعظمهم شأناً، وقام بأعمال عمرانية واسعة في كل مدينة، وخصَّ بابل بالقدر الكبير من عنايته؛ إذ قام بتوسيعها وتجميلها بعد أن قاست الكثير على يد الآشوريين، واشتهر نبوخذ نصر بالمهارة والصلابة في الحرب، وقد ثار في عهده يهود فلسطين، فأسرع إلى عاصمتهم، ودمرها، وأخذ جانباً من أهلها أسرى، فلما عاد اليهود إلى الثورة مرة أخرى بعد ذلك بعشر سنين (٥٨٦ق.م) خرب «نبوخذ نصر» عاصمتهم تخريباً تاماً ونقل في هذه المرة إلى العراق نحو أربعين ألف يهودي سخّرهم عبيداً في بابل.

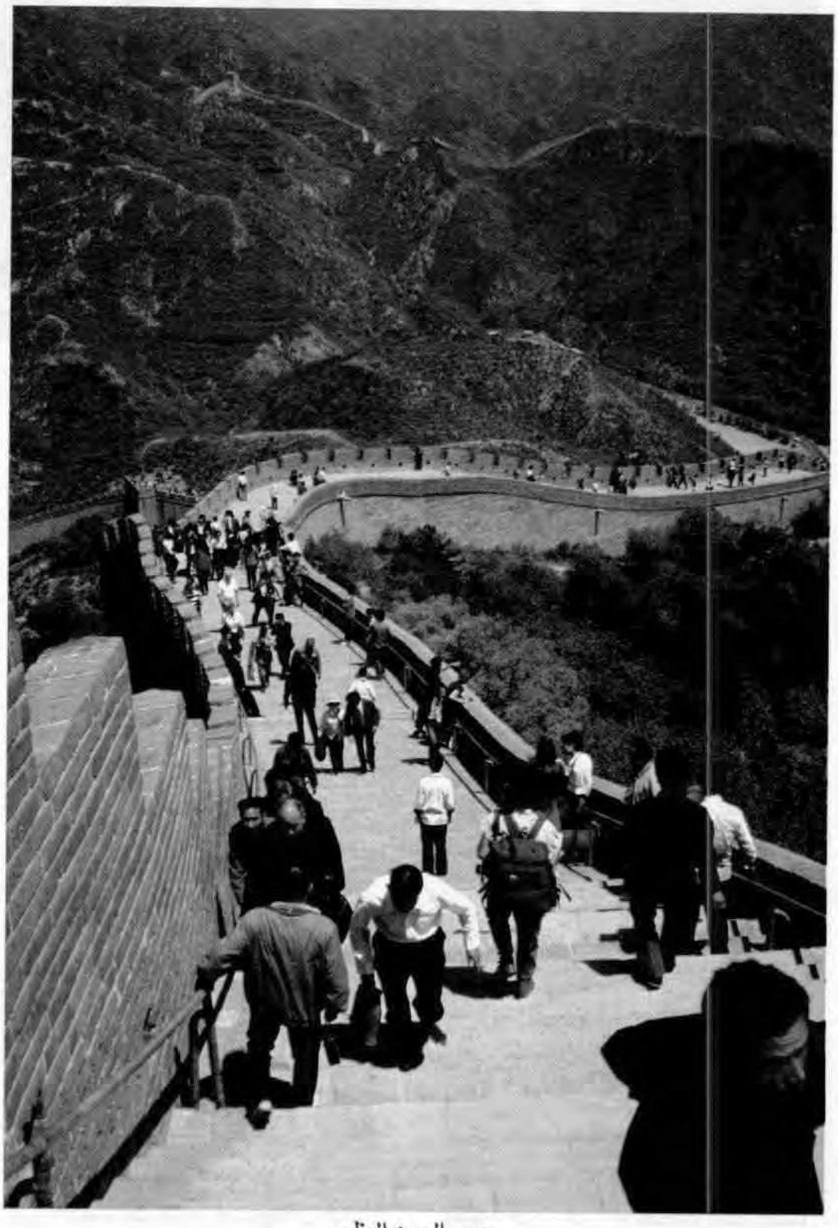
ولقد بذل البابليون جهداً كبيراً في تجميل مدن العراق القديمة وتعميرها، وساعدهم على ذلك قدرتهم الفائقة على العمارة والنحت، وقد اهتموا بوجه خاص بمدينة بابل التي ظلت خاضعة لحكم الآشوريين حتى قضى الفرس على دولتهم في سنة ٦١٧ ق.م. وأقام البابليون دولة قوية كانت تعيش عصر انتعاش وصحوة أخيرة لحضارة العراق القديمة، وبرعوا وتقدموا - بوجه خاص - في الفلك، فرصدوا النجوم والكواكب،

ورسموا الخرائط للسماء، وقسموا السنة شهوراً ثم أسابيع، ومازلنا نسير على التقسيم الذي أخذناه عن البابليين.

وتحدث المؤرخون القدامى عن عظمة بابل وفخامتها، وأشاروا إلى أسوارها الجميلة المزخرفة، ومعابدها الرائعة ذات الأبراج. وبرع البابليون أيضاً في زراعة الأشجار على مدرجات ذات مستويات مختلفة الارتفاع، فكانوا ينقلون إليها الطمي والماء، وبذلك أنشؤوا تلك الجنان الجميلة التي عُرفت في التاريخ باسم حدائق بابل المعلقة.

ضريح هاليكارناسوس

ورابعة هذه العجائب هي ضريح هاليكارناسوس (٣٥٠ ق.م) وقد بنته الملكة كاري لزوجها الملك موزولوس بتركيا، وهاليكارناسوس هي بلد المؤرخ الإغريقي هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٥



سور الصين العظيم

ق.م.) الذي ينحدر من أسرة كريمة، وقد وُلد في تلك المنطقة بآسيا الصغرى، وزار بلاداً كثيرة، كانت مصر من بينها، وأرخ للصراع بين الإغريق والفرس، وصفه شيشرون بأنه «أبو التاريخ».

معبد أرتيمس

وخامسة هذه العجائب هي معبد أرتيمس بتركيا (٤٥٠ق.م) والذي أعيد بناؤه بعد قرن وتوجد بعض أنقاضه في تركيا، وفي المتحف البريطاني. وأرتيمس Artemis: إلهة إغريقية من آلهة الحقول، فهي - وفق معتقدهم - ربة الصيد العذراء، وإلهة الغابات وحيوانها المفضل هو الدب، وهي إلهة النور والضياء، ضياء القمر في الليالي القمراء، وتحمل القوس والجعبة، وترسل نبالها الصائبة المهلكة، ولكنها تغمر بالخير والإنعام كل الذين يكرمونها بالإضافة إلى امتيازاتها، فهي مع إليثيا الإلهة القابلة تسهل ولادة من يدعوها من النساء، ويستغاث بها، وأصبح معبدها في أفيسوس إحدى عجائب الدنيا.

تمثال أبوللو

وسادسة هذه العجائب هي التمثال الضخم لأبوللو، ويطلقون عليه «عملاق رودس» باليونان، وشيد في سنة ٢٨٠ ق.م وارتفاعه كان يبلغ ٣٥ متراً من البرونز.. ذلك أنه كان يقف على ساقيه المفتوحتين على طرفي جسري مدخل ميناء هذه الجزيرة وكانت السفن تمر من تحته، وقد اندثر وأصبح عدماً بل وجد بديلاً، عنه - تمثال غزالة صغيرة صُب من برونز شعاراً لوداعتها وهدوئها، وأبوللو Phoebus - Apollo (أبوللو المطهر) المركز الرئيس لعبادته



تاج محل بمدينة أجرا

مزدوج، فهو يوجد في ديلوس Delos وفي دلفي Delphi (وهي أقدم مقر لعبادة الإله أبوللو في اليونان وأهمها) كما أنه يرتبط ارتباطًا مزدوجًا بالشمال والشرق، وهذا يشير إلى أصله المركب، ويوحي لقب فوبس بأنه إله الشمس الذي يرسل أشعته فتنشر الوباء كالسهام، والذي يستطيع أن يعالج الطاعون كما يستطيع أن يأتي به.

تمثال زيوس

وسابعة هذه العجائب هي تمثال زيوس Zeus فوق جبل الأولمب باليونان، وشيد في سنة ٤٥٠ ق.م، وقد صنع من الذهب والمرمر والعاج بارتفاع عدة أمتار وصممه المثال اليوناني الذائع الصيت فيرياس - وقد دمر في حريق ، والإله زيوس عند الإغريق هو أكبر أرباب الأولمب، وهو نفسه الإله ديوس Dyaus المعروف في الديانة الهندية الآرية القديمة، وهو ابن كرونوس إله الزمان في أساطير اليونان وقد قام بخلع أبيه عن عرش السماء، وجلس عليه في مكانه ربًا للأرباب وملك الأولمبوس. واسم زيوس يعني الساطع أو اللامع، وهو إله السماء والطقس في الأصل، ولكنه أصبح مرتبطًا في الأساطير وطقوس العبادة بكل أوجه الحياة البشرية، فهو يوزع الأقدار الطيبة والخبيثة، وهو حامي الأبوة، وهو الإله المنقذ وواهب القوانين، ويشرف على سير العدالة، فينزل العقاب بالمعتدين الآثمين، ويرعى حقوق الضيافة والحرية.

أما الأولمب (الأولمبوس) Olympos فيعد من أعلى جبال الإغريق، ويقع في أقصى شرق السلسلة الجبلية التي تشكل في مجموعها الحدود الشمالية لإقليم تساليا، وعدّت الأساطير اليونانية هذا الجبل مقر الآلهة أي السماء، وعندما نقول: الإله الأولمبي نعني به الإله الذي يسكن السماء تمييزًا له من آلهة أخرى على الأرض أقل مرتبة وسلطانًا.

وبعد استعراض هذه العجائب القديمة أشير إلى بعض الأبنية والتماثيل التي كثيرًا ما يقع الخلط بينها وبين عجائب الدنيا السبع القديمة وهي ليست منها.

سور الصين العظيم
(٢٤٦ - ٢١٠ ق.م)

وقد اكتمل بناؤه وتشييده في عهد حكم تشن هوان تي، ويبلغ طوله الإجمالي ٣٤٦٠كم، وله تشعبات وإضافات طولها



برج بيزا المائل

٢٨٦٠كم وعلوه ١٢م وسمكه ٨ر٩م، ويمتد من شانهايكوان على خليج بوهاي إلى يومين كوان ويانج - كوان. وقد ظلت أعمال صيانته متواصلة حتى القرن السادس عشر الميلادي، وقد تهدم من هذا السور نحو ٥٠كم منذ سنة ١٩٦٦م - وهو ينتمي بصورته الحالية إلى أسرة المينج (١٣٦٨ - ١٦٤٤م).

تاج محل بمدينة أجرا

ويعدّ تاج محل - ومعناها جوهرة المباني - من أهم المنشآت الهندية المعمارية وهو ضريح رخامي أبيض شيده الإمبراطور المغولي شاه جهان Shah Jahan لزوجته ممتاز محل سنة ١٠٣٩ - ١٠٥٨هـ/ ١٦٣٠ - ١٦٤٨م ويمتاز بحسن التكوين وجمال النسب، وقد بني على الضفة الجنوبية لنهر جمنة في ضواحي مدينة «أجرا» بالهند، وقد استغرق بناؤه ٢٢ سنة بداية من سنة ١٦٣٠م عام وفاة الزوجة المحبوبة، واشترك في تشييده ٢٠ ألف عامل، ويقال: إنه تكلف ٤٠ مليون روبية في ذلك الوقت، ويقع الضريح وسط حديقة غناء ذات برك ونوافير، ويعادل ارتفاع قبته نحو ١٨ طابقًا، وعلى كل ركن من أركان المبنى الأربعة تقع مئذنة عالية.

وممتاز محل هي الزوجة الثالثة المسلمة الفارسية للإمبراطور شاه جهان الذي كان يحبها حبًا شديدًا فأنجبت منه خمسة عشر طفلاً، وفي أثناء وضعها للمولود الخامس عشر ماتت ممتاز محل، فحزن عليها حزنًا شديدًا، واعتكف في المنزل لا يغادره، وعاش في هذا الحال بعد موتها ٣٥ عامًا. ويعد أحد أروع آثار فن العمارة الإسلامية، بل يرى الكثيرون أنه أجمل أبنية العالم بأسرها.

برج بيزا المائل

وشرع في بنائه بونانو بيزانو أحد أفضل البنائين، في عصره، وذلك في عام ١١٧٣م تلبية لرغبة الكنيسة، إلا أن انخساف الأرض في هزة أولى جعل البرج يميل، بعد أن كان قد وصل إلى ارتفاع (١١) مترًا، وبلغت درجة الانخساف فيها ١٥سم، فحاول المعماري إصلاح الأمر من أعلى ولكن من دون جدوى.

بلغ ارتفاع البرج عند الانخساف أربعة طوابق، وتوقف البناء، ثم تمت استعادة البناء من جديد في عام ١٢٣٤م من قبل المعماري غيوم دينسبروك الذي ارتفع بالبناء حتى الطابق السابع، وقد انتهى العمل فيه عام ١٣٥٠م حيث أضاف المعماري تومازو بيزانو وحدة معمارية للأجراس فوق الطوابق السبعة، ونشأ البرج مائلاً وارتفاعه ٣٢ر٥٥ مترًا من الجهة الشمالية و ٥٢ر٥٤ مترًا من الجهة الجنوبية، ويتم الانتقال بين طوابقه السبعة على درج لولبي مؤلف من ٢٩٤ درجة... وهكذا أصبح ميل البرج سبب شهرته. ويقول العلماء: إن ميلان برج بيزا

بإيطاليا في ازدياد مما قد يهدده بالسقوط مما اضطر السلطات إلى إغلاقه في سنة ١٩٩٠م. وبلغت نسبة الميلان ٨٦ر١ ملليمتر في عام ١٩٨٧م، وبلغ متوسط عدد زوار البرج في العام الواحد ٨٠٠ ألف زائر.

تمثال الحرية

ويعد أضخم تمثال في العالم الآن، إذ يبلغ ارتفاعه من القاعدة إلى الشعلة ٩٣ مترًا، وقد أقيم على أرض جزيرة الحرية في الجزء العلوي من خليج ميناء نيويورك، ويمثل التمثال امرأة ترفع بيدها اليمنى شعلة ترمز إلى الحرية، وبيدها اليسرى لوحة كتب عليها تاريخ ٢ يوليو ١٧٧٦م، وقام بتصميمه الفرنسي ألكسندر جوستاف إيفل ونفذه النحات الفرنسي فردريك أوجست بارتولدي. وأهدت الرابطة الفرنسية - الأمريكية التمثال للولايات المتحدة الأمريكية، وتم وضعه على قاعدته، ثم أزاح عنه الستار في ٢٨ أكتوبر ١٨٨٦م الرئيس الأمريكي جروفر كليفلاند، وأصبح رمزًا للصداقة بين الشعبين الفرنسي والأمريكي، وكان الإشراف عليه منوطًا بهيئة الفنارات، ثم وزارة الدفاع، وفي عام ١٩٢٤م أعلن أن التمثال قد أصبح من الآثار القومية.

وإيفل هو مصمم البرج الشهير باسمه في باريس أيضًا، وهو من مواليد عام ١٨٣٢م في مدينة ديجون بمقاطعة الـ «كوت دازور»، وتوفي في عام ١٩٢٣م، وقد تم توقيع عقد مع جوستاف إيفل Gustave Eiffel ينص على منحه مكافأة قدرها مليون ونصف المليون فرنك فرنسي، مقابل إشرافه على تنفيذ البرج بمدينة باريس، ولم يكن هذا البرج هو إنجازه الوحيد ولكن كان للمهندس العبقري الشاب إنجازات داخل فرنسا مثل إنجاز جسور بوردو وكوبزاك، ومحطات سكك حديدية في عدة مدن، وكازينوهات ومعاهد، ومرصدي نيس والـ«مون بلان» أي الجبل الأبيض، ومن إنجازاته في خارج فرنسا، محطة السكك الحديدية للغرب في بودابست، وقنطرة (ماريا - بيا) على نهر الدورو (بطول ١٦٠ مترًا)، ومنشآت في عدة بلاد، مثل: رومانيا وإسبانيا وبوليفيا وتشيلي، وقام بتصميم مبنى كنيسة سان ماركوس في أمريكا، وكان يفكر بإنجاز شبكة المترو الباريسي.

برج إيفل

شرع في حفر أساسات البرج بدءًا من ٢٦ كانون الثاني/ يناير عام ١٨٨٧م في «شان دي مارس» حتى الوصول إلى الطبقة الرملية - وهي طبقة التأسيس التي حملت ثقل البرج كاملاً - وبعد خمسة أشهر من بدء العمل رحل ما يقارب من (٣٠.٠٠٠) م٣ من مواد الحفريات، وقد نصت المرحلة الأولى من الإنشاء على رفع الركائز الأربع الموضوعة في النقاط الرئيسة الأربع حتى ارتفاع ٤٥ مترًا عن الأرض، وكان بلوغ الطابق الأول من أدق المراحل في المشروع، ويعود السبب في سرعة تقدم العمل إلى تصنيع قطع الفولاذ البالغ عددها (١٨٠٣٨) قطعة التي تدخل في تركيب البرج، بشكل مسبق بحيث لم يبق سوى تجميعها في الموقع، وقد راوح عدد الذين شاركوا في بناء هذا الصرح مابين (٥٠ - ٢٥٠) شخصًا وفقًا لمراحل الإنشاء، وقد عملوا في ظروف قاسية، وقد تم اكتمال بناء البرج في ٣١ مارس/آذار عام ١٨٨٩م بارتفاع بلغ ٦٥ر٣٠٠ متر، والآن يبلغ ارتفاع البرج من «ايريال» التلفزيون الذي أضيف إليه في عام ١٩٥٧م (٧٥ر٣٢٠م) ويبلغ وزن البرج ٧٣٤٠ طنًا، وله ١٧٩٢ درجة، واستغرق بناء البرج - الذي كلف ٨ر٧ ملايين



تمثال الحرية



برج إيفل في باريس

فرنك فرنسي - سنتين وشهرين وخمسة أيام، وقد أضيء آنذاك بـ (٢٢٠٠٠) قنديل، وقام المجلس البلدي بباريس بإهداء إيفل وسام جوقة الشرف، وهو في سن السابعة والخمسين. وقد بلغ عدد زوار البرج في سنته الأولى مليوني زائر، وبلغت حصيلة الدخل ستة ملايين فرنك، وقد فُتح كتاب ذهبي للبرج كتب فيه «إيفل» عبارته الأولى «إنه ١٥ مايو/ أيار ١٨٨٩م، وأخيرًا افتتح البرج أمام الجمهور»، ويبلغ حاليًا عدد الأشخاص الذين يقصدون البرج سنويًا ٤ر٥ ملايين ونصف المليون زائر، وابتداء من عام ١٩٨٣م زود البرج بمصعدين كهربائيين للوصول إلى الطابق الثالث. وقد احتفل الفرنسيون بالذكرى المئة لتشييد برجهم العتيد في سنة ١٩٨٩م بطرائق مختلفة.

شواهد معمارية حديثة

ومن الشواهد الحديثة الموجودة التي تعبر عن العمران الفائق الشهرة والجمال في عيون بني البشر اليوم وغدًا، والتي يمكن عدها من عجائب الدنيا السبع الجديدة متحف توسيريا، وأبواب الانطلاق، ومطار يونكر، وتيغلا دورن، والمدينة الطافية، وجسور الأحزان، وسدود الضوء.

ومنذ عدة سنوات في واشنطن طالعتنا وكالات الأنباء عن نبأ شائق جدًا ألا وهو أن لجنة تضم خبراء عالميين في مجال العلوم البحرية أعدت قائمة جديدة بعجائب الدنيا السبع، ولكن هذه العجائب تقع تحت سطح الماء وهي: جزيرة بلاود في الفلبين، ومنطقة شمال البحر الأحمر بجمهورية مصر العربية، والجروف الصخرية في أستراليا، ومياه جزيرة جالاباجوس قبالة ساحل الأكوادور، وبحيرة بيكال في سيبيريا، وجروف «بليز» بأمريكا اللاتينية، والفتحات العميقة بوسط المحيطين الأطلنطي والهادي.

الهوامش والمراجع:

* لمزيد من المعلومات راجع عدد الفيصل ١٤٥، رجب ١٤٠٩هـ، ص٦٧، عجائب الدنيا السبع الجديدة، إعداد: د. هشام أبو عودة.

١ـ فؤاد جرجي بربارة، الأسطورة اليونانية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٦م.

٢ـ مصر وحضارات العالم القديم، قطاع الكتب بوزارة التربية والتعليم المصرية طبعة ١٩٩٠/١٩٩١م.

٣ـ مجلة الفيصل الثقافية، الأعداد، ٢٢٨، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ، ص١٠٢، و٢٢٤، صفر ١٤١٦هـ، ص٨٤، و١٦٨ جمادى الآخرة ١٤١١هـ، ص٦٧.

الحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي في إفريقية

محمود بيومي



جامع تمبكتو

يوجد في القارة الإفريقية كنز كبير من المخطوطات الإسلامية النادرة المدَوَّنة باللغة العربية وباللغات الإفريقية التي تأثرت بالعروبة القرآنية، ذلك أن مسيرة الإسلام إلى إفريقية حملت معها كل معالم التعريب، حتى يمكن القول: إن بعض القبائل الإفريقية هي قبائل عربية «تأفرقت» أو قبائل إفريقية «تعربَت» خصوصاً القبائل الموجودة في شرق إفريقية.

والمعروف تاريخيًا أن القارة الإفريقية هي أول قارة تعرفت إلى الإسلام منذ العهد النبوي الشريف، حيث استقرت بالأرض الإفريقية أول جالية عربية مسلمة منذ عام ٦١٥ ميلادية الذي يوافق العام الخامس للبعثة النبوية الشريفة.. ولولا الفترة الاستعمارية التي أدت إلى عرقلة جهود الدعاة والعلماء الأفارقة.. لكانت إفريقية قارة إسلامية عربية خالصة.

وتنتشر - اليوم - في بلدان القارة الإفريقية مراكز البحوث للحفاظ على التراث الإسلامي - العربي التي سلطت دوائر الضوء على أهمية صيانة هذا التراث من الاندثار ونحاول في هذا المقال التعريف ببعض هذه المراكز الإفريقية.

خبراء الثقافة

في عام ١٩٦٧م اجتمع في مدينة تمبكتو(١) في مالي - إحدى دول إفريقية - خبراء الثقافة الإسلامية، وأوصوا بإنشاء مركز إسلامي يهتم بالمخطوطات العربية والإسلامية، وحصر هذه المخطوطات وتحقيقها ونشرها، كما قرر مؤتمر «اليونسكو» إقامة مركز لإجراء الدراسات في الثقافة الإفريقية، فتم إنشاء مركز أطلق عليه «مركز أحمد أبابا الإسلامي للتوثيق والبحث»، وقد تم وضع حجر أساس هذا المركز في ٢٣ يناير/كانون الثاني عام ١٩٧٠م، وافتتح رسميًا في ٨ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٧٣م، وبعد أربع سنوات من العمل المتواصل ظهرت بوادر إنجازات هذا المركز في عام ١٩٧٧م.

ومدينة «تمبكتو» في جمهورية مالي من أشهر المدن الإسلامية في القارة الإفريقية، وكانت في أوج مجدها في القرن السادس عشر الميلادي، فكان علماؤها على صلة بعلماء الإسلام في القارة الإفريقية وغيرها ولا سيما علماء الأزهر، فدعم علماء هذه المدينة صلاتهم بالعالم المصري جلال الدين السيوطي، ونقلوا مؤلفاته إلى «تمبكتو» التي اشتهرت في التاريخ بأنها السوق الرائجة للكتب العربية والإسلامية، حيث قامت بها مؤسسات متخصصة في نسخ المخطوطات وتوزيعها ونشرها، إلى جانب ترجمتها إلى اللغات الإفريقية المختلفة، وقد برز من علماء الإسلام في هذه المدينة الشيخ أحمد أبابا(٢) - الذي توفي في عام ١٦٢٧م - بعد أن أثرى المكتبة الإفريقية بعدد من مؤلفاته في مختلف المعارف والعلوم الإسلامية والإنسانية.

تنمية الثقافة العربية

يعمل مركز أحمد أبابا الإسلامي للتوثيق والبحث على اقتناء الوثائق التاريخية المدوّنة باللغات العربية والإفريقية وجمعها وتصنيفها مثل الهوسا(٣)، واليوربا(٤)، والفولاني(٥)، وغيرها التي تتعلق بتاريخ القارة الإفريقية وثقافتها وتسجيلها على «الميكروفيلم»، ونشر المعلومات الواردة في هذه الوثائق، وتوزيعها على المؤسسات الإسلامية والعلمية في أنحاء العالم كافة، ورعاية المخطوطات وصيانتها باستخدام وسائل التقنية الحديثة، وتقديم



ترميم المخطوطات وحفظها في مركز أحمد أبابا الإسلامي للتوثيق والبحث



الفترة الاستعمارية دعمت الوجود الثقافي الغربي في إفريقية ويبدو ذلك في انتشار الحرف اللاتيني

الثقافة الإسلامية الإفريقية المدوّنة باللغة العربية من خلال الوثائق والمخطوطات لتأكيد أن الأفارقة إنما تعرّبوا بفضل القرآن الكريم، إلى جانب الإسهام في تنمية الثقافة الإسلامية العربية التي كانت مدينة تمبكتو مركزًا من أهم مراكز نشرها في القارة الإفريقية.

التعريف بالمخطوطات

إن مركز أحمد أبابا الإسلامي للتوثيق والبحث مركز إعلامي وثقافي مفتوح للباحثين، ويعمل من أجل تطوير العلاقات الثقافية بين بلدان العالم العربي والإسلامي والدول الأخرى التي تهتم بالثقافة والحضارة الإسلامية.

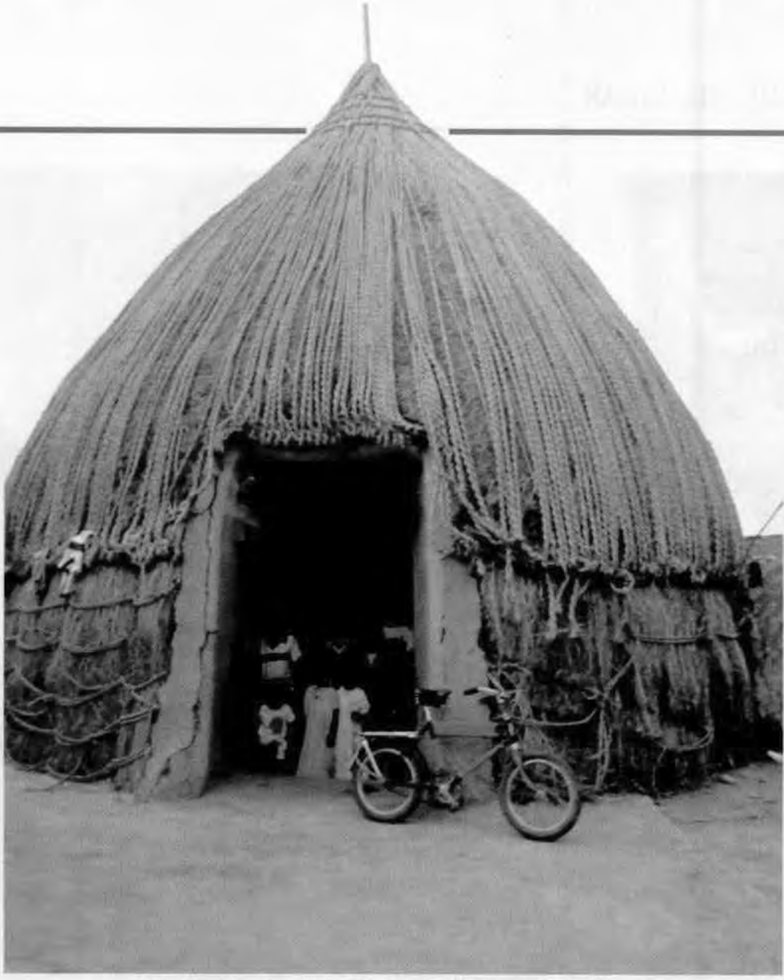
ويقوم المركز بإصدار مجلة علمية - شهرية - تتضمن الأبحاث وعناوين أهم المخطوطات التي عثر عليها أو تم تحقيقها - وقد صدر أول عدد من هذه المجلة في يناير/كانون الثاني عام ١٩٨٥م - ويتعاون المركز مع الجامعات الإسلامية والعربية والإفريقية في نشر كتب التراث الإسلامي والإفريقي.

فقد قامت جامعة أبيدان في نيجيريا بالتعريف بالمخطوطات الإسلامية التي قام المركز بتحقيقها وضمها إلى مكتبة الجامعة، ومن هذه المخطوطات مؤلفات لعلماء الإسلام الأفارقة مثل الشيخ عبدالله بن محمد بن فودي(٦) والشيخ عثمان بن فودي(٧) وغيرهما.

مدينة الثقافة

أكدت الدراسات التي قام بها المركز أن مدينة تمبكتو في مالي كانت مدينة الثقافة الإسلامية والعربية في القارة الإفريقية، وكان لها مكانة مدن القيروان في تونس، وفاس في المغرب، وقرطبة في الأندلس، والقاهرة، في مصر، وأن مركز البحث والثقافة في «تمبكتو» كان له صلات مع مراكز البحث في أوربا في القرن السادس عشر الميلادي. كما كانت تتعامل مع ثغور الثقافة الإيطالية ولاسيما فلورنسا.

ويقوم هذا المركز - طوال شهر رمضان المبارك - بتسجيل الترجمات الشفوية لمعاني القرآن الكريم باللغات الإفريقية المختلفة، ويتعاون في هذا المجال مع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول - التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي - (٨) الذي يقوم بحصر الترجمات



من مثل هذه البيوت التقليدية خرج العلماء المسلمون في إفريقية

الشفوية لمعاني القرآن الكريم خلال شهر رمضان المبارك من كل عام.

إنعاش الثقافة والإبداع

أسس مركز التاريخ والثقافة الإسلامية في ولاية كانو بشمال نيجيريا منذ عام ١٩٨٧م، وذلك لجمع وثائق التاريخ والثقافة في هذه الولاية والحفاظ على المخطوطات والوثائق من الاندثار، ونشر الوعي بأهمية صيانة التراث الإسلامي والثقافي، ويتكون المركز من أربعة أقسام تتولى تنفيذ مشروعات البحث والتوثيق المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والثقافية، كما يضم قسمًا للبحث ومكتبة ومتحفًا، وقسمًا لعلم الآثار واللغة والأدب، وقسمًا آخر للفنون الإبداعية لتشجيع المواهب الفنية من نقوش وزخارف وخط عربي وغيرها.



مع كل الظروف المعيشية يتوق الإفريقيون إلى العلم

تبادل المخطوطات

تضم مكتبة المركز ٥٤٤٧ مجلداً ومخطوطاً إسلامياً تمّ تجميعها عن طريق تبادل المخطوطات وصورها، وعن طريق الإهداء من الشخصيات والمؤسسات والجمعيات الثقافية في نيجيريا والدول الإفريقية وغيرها، وقد ثبت أن منطقة هضاب دالا من أكثر المناطق التي عثر فيها على مخطوطات ومدونات احتفظت بها القبائل منذ القرن الرابع الهجري وتوارثتها الأجيال.

ويقوم المركز بالمشاركة في إنشاء المراكز الثقافية في جميع أنحاء نيجيريا بهدف إنعاش الثقافة، وإبراز الدور التاريخي الذي قام به شعب نيجيريا في الحفاظ على الهوية والمعارف الإسلامية في مختلف مجالاتها، ويضم المركز قاعة كبرى للاجتماعات والندوات ومتحفاً للتاريخ لعرض الأعمال الفنية التي أبدعها الإنسان الإفريقي في نيجيريا عبر مراحل التاريخ الإسلامي.

ويقوم المركز بتكوين جمعيات ثقافية في نطاق ولاية كانو وغيرها من الولايات النيجيرية، وذلك لتشجيع الشباب الإفريقي على الاطلاع على معالم الثقافة والتاريخ الإسلامي الإفريقي، وتحسين التراث الثقافي عن طريق التأريخ لأهم الأحداث التاريخية التي مرّت بها نيجيريا، إلى جانب المشاركة في المهرجانات والمعارض التي تدخل في نطاق اهتماماته، مثل المعرض النيجيري الدولي، ومهرجانات الفنون والثقافة.

الموسوعة الثقافية

وقد شكّل المركز منذ عام ١٩٨٨م لجنة لدراسة المواقع الأثرية بهدف تعرف أهم المواقع التاريخية والأثرية في ولاية «كانو»، وقد قامت هذه اللجنة بتسجيل عدد من المواقع، كما قامت بإجراء عدد من الحفريات في عدة مواقع وإجراء الدراسات بشأنها.

وجرى الإعداد لإصدار أول موسوعة ثقافية حول ثقافة الهوسا، وتوثيق الإبداعات الفنية المتمثلة في الإنتاج الحرفي وتسويقه، وإعداد أفلام تسجيلية عن أهم الأحداث والتطورات التي شهدتها ولاية كانو.

ويقوم هذا المركز بدور مهم في تنمية المهارات الفنية في مجالات الزخارف الهندسية والنباتية والحفر على الخشب ولوحات الصدف، إلى جانب لوحات الزجاج المعشق والخزف والفخار والقيشاني والنسيج، وذلك من أجل تطوير المهارات، وتحسين إنتاج هذه الأعمال الحرفية وتمويلها، فيقدم المركز مساعدات مادية ومعنوية كما يقدم الأجهزة اللازمة لإنتاج هذه الحرف اليدوية للعاملين فيها وللراغبين في الحصول عليها.

وقام المركز بدور إيجابي في



طفل يدخل أحد كتاتيب تعليم القرآن الكريم

كتابة تاريخ أهم مدن ولاية كانو التي اشتهرت بإنتاج الحرف اليدوية، كما تضمنت مشروعات المركز بيان حركة العمران الإسلامي لهذه الولاية النيجيرية، والتطورات التي طرأت على طرائق تحفيظ القرآن الكريم من الطرائق التقليدية التلقينية إلى نشوء المدارس القرآنية المعاصرة.

التراث الإسلامي

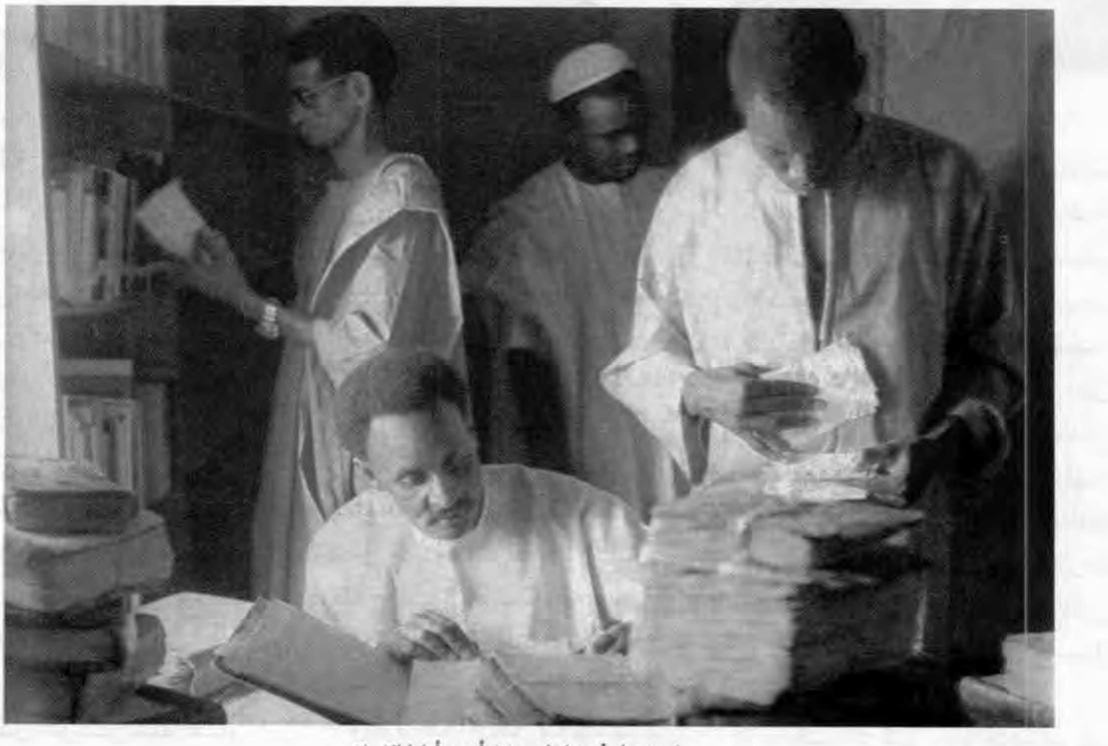
ويعد مركز البحوث الإفريقية للحفاظ على التراث الإسلامي في مدينة كمبالا عاصمة أوغندا المعروف باسم «تراث»، من المؤسسات الحديثة العهد، فقد بدأ أعماله منذ فبراير/شباط عام ١٩٨٩م بهدف إيجاد وعي بين أبناء الشعب الأوغندي والشعوب الإفريقية والتنبيه على ضرورة الحفاظ على تراثها الثقافي، ووضع الإستراتيجيات اللازمة لصيانة التراث الإسلامي والإنساني من الاندثار لمصلحة الأجيال الإفريقية.

ويقوم هذا المركز بترجمة الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات المتداولة في القارة الإفريقية، وإجراء البحوث في المجالات المتصلة بالتراث الإسلامي في إفريقية، والتعريف بمعالم هذا التراث عن طريق تنظيم المحاضرات والحلقات الدراسية والمعارض، إلى جانب تشجيع إنشاء المراكز الثقافية والمتاحف والمكتبات.

ويشرف على المركز مجلس من الأمناء يضم سبعة أعضاء يمثلون المنظمات الإسلامية العالمية، وثلاثة أعضاء يمثلون المؤسسات والجمعيات الثقافية في أوغندا، ويضم المركز أربعة أقسام للبحث والآثار والمعارض والاستثمارات، وقسمًا للتعاون العربي الإفريقي، وذلك لبيان دور الحضارة الإسلامية العربية في النهوض بالمجتمع الأوغندي، وبيان المؤثرات التي أحدثتها الثقافة العربية في الثقافات الإفريقية، وتأثير اللغة العربية في اللغة السواحلية، وتدوين هذه اللغة بالأبجدية العربية.

الموسيقى وآثارها الثقافية

ويتعاون مركز البحوث الإفريقية للحفاظ على التراث الإسلامي في مدينة كمبالا مع المؤسسات الثقافية كافة في بلدان العالم العربي والإسلامي وبلدان العالم الغربي، مثل الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث والمتاحف والمكتبات ومنظمات الشباب، لإجراء عدد من الدراسات والبحوث، ومن الدراسات التي أنجزها المركز دراسة حول أوغندا



عمل متصل في داخل مركز أحمد أبابا الإسلامي


الساحة الخارجية للجامع الكبير في تمبكتو

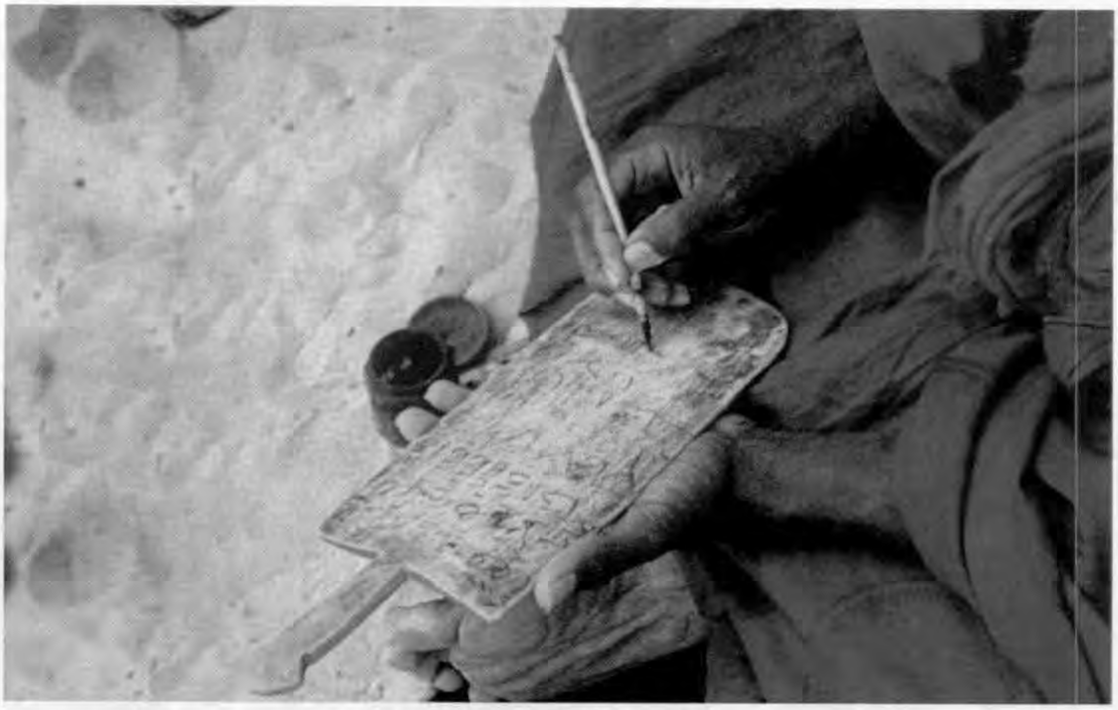
والعالم الإسلامي في القرن العشرين، وشملت الدراسة الفترة من عام ١٩١٤م إلى عام ١٩٨٩م، ودراسة أخرى حول المساهمات العربية الإسلامية في مجال محو الأمية والتعليم في أوغندا من عام ١٨٤٠م إلى الوقت الحاضر.

كما يستعد المركز لإنجاز دراسة مهمة حول المساهمات العربية في مجال الموسيقى وأثرها الثقافي في الموسيقى الإفريقية في أوغندا وفي إفريقية، وذلك بهدف الحفاظ على التراث الموسيقي وتعزيز الصلة بين موسيقى الشعوب العربية والموسيقى الإفريقية، ويتعاون في هذا المجال مع المعاهد الموسيقية المنتشرة في بلدان العالم العربي، وحفظ التراث الموسيقي في مركز إبداع التسجيلات الصوتية التابع للمركز، وتبادل هذا التراث مع المؤسسات المتخصصة في بلدان العالم العربي.

الفن لغة عالمية

تضم القارة الإفريقية ـ كغيرها من القارات ـ تراثًا حضاريًا من الفنون الراقية التي أبدعها الفنان الإفريقي عبر العصور التاريخية، وقد ساهم الفنان المسلم ـ في إطار فهمه الصحيح لعقيدته وشريعته الخالدة ـ في ترقية الفن العالمي، حيث جاء الفن الإسلامي مسايراً للقيم النبيلة، وأصبح رافدًا مهمًا من روافد الثقافة، ووسيلة مهمة للتفاهم بين الشعوب المختلفة؛ لأن الفن لغة عالمية استثمره الفنان المسلم في التعامل الراقي مع الشعوب المختلفة.

وقد تميّز التراث الإسلامي بأنه تراث حضاري ثري تفهمه شعوب



خط الآيات القرآنية على لوح الكتابة

العالم كله لما يحتويه من زخارف ونقوش جمالية تعكس رؤية الفنان المسلم وتدبره في الكون، فجاءت إبداعات المسلمين معبّرة عن روح الدقة والجمال المستمدة من تعاليم الإسلام الذي رسم للإنسانية كلها منهاج حياة دقيقة متكاملة من الإتقان في العمل؛ لذا كان الفن الإسلامي - ولا يزال - جسراً خالداً لمخاطبة الرأي العام العالمي.

ولأن التراث الإسلامي لم يأخذ حقه من التعريف اللائق به، كان من الضروري التعريف بالمراكز المهتمة بالتراث الحضاري للقارة الإفريقية؛ لأن هذه المراكز مؤسسات ناشطة للحفاظ على تراث هذه القارة التي نهلت من التراث الإسلامي الوافر، إلى جانب كونها مؤسسات تثقيفية توجه الاهتمام، وتشد الانتباه لهذا الكم الوافر من التراث الإنساني الموجود بإفريقية، والذي يعد ثروة أصيلة يستوجب الحفاظ عليها وصيانتها حتى تتعرف الأجيال ما يضمه هذا التراث من كنوز حضارية خالدة تميزت بالوفرة والتنوع.

الهوامش:

١ـ تمبكتو: مدينة تقع على نهر النيجر ـ أسسها المسلمون أواخر القرن الخامس الهجري ـ تذكرها بعض المصادر بأسماء مختلفة منها «تنبكت» انظر: تاريخ السودان ص ٢٠ للسعدي، و«تنبكتو» انظر: الرحلة، ابن بطوطة، ص ٦٨٠، تذكرها حسن الوزان باسم تمبكتو انظر: حسن الوزان، وصف إفريقية، ص ٥٣٩.

٢ـ أحمد أبابا: من أسرة «أقيت» التي اشتهرت بالعلم. درس على علماء تمبكتو مثل الشيخ العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، ووالده هو الشيخ أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، عاصر أحمد أبابا الغزو المغربي لدولة سنغاي، وأخذ أسيراً إلى مراكش عام ١٠٠٢هـ، وظل في مراكش عامين، ثم أطلق سراحه فانقطع للتدريس حتى عام ١٠١٤هـ، وعاد إلى تمبكتو حتى توفي عام ١٠٣٦هـ، وضع أكثر من ٤٠ مؤلفاً.

٣ـ الهوسا: لغة إفريقية تأثرت بالعربية.

٤ـ اليوربا: لغة إفريقية تضم مفرداتها عدداً من الكلمات العربية.

٥ـ الفولاني: لغة إفريقية تتحدث بها قبائل الفولاني وتكتب بالأبجدية العربية.

٦ـ كلمة «فودي» باللغة الفولانية معناها المعلم.

٧ـ الشيخ عثمان بن فودي ولد في ٢٩ صفر ١١٦٨هـ.

٨ـ أسس في عام ١٩٧٩م، ويرأسه الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي.

المراجع:

ـ نشرة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول ـ تركيا ـ، أعداد مختلفة.
ـ المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق إفريقية، د. سيد حامد حريز، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، + مجلة دراسات إفريقية، العدد الخامس، أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٩م، أ. عبدالرحمن أحمد عثمان، الخرطوم.
ـ مراكز الحضارة الإسلامية في السودان الغربي، د. عبدالعزيز بن راشد العبيدي، دراسات إفريقية، العدد الخامس، أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٩م، الخرطوم.
ـ معالم الحضارة الإسلامية في ساحل شرق إفريقية، دراسات إفريقية، العدد الثاني، أبريل/نيسان ١٩٨٦م، د. تاج السر سيد أحمد العراقي، الخرطوم.
ـ حوارات أجراها محمود بيومي مع علماء الإسلام في أوغندا: الشيخ سعد لويمبا رئيس المجلس الإسلامي، والشيخ الحسيني رجب كاكوزا مفتي أوغندا السابق، والشيخ عبده عبيد كاميليغيا قاضي قضاة أوغندا السابق، والشيخ مهدي عبدالله رئيس الشؤون الإسلامية، ولقاءات مع قادة العمل الإسلامي في نيجيريا: الشيخ إبراهيم دسوقي، سلطان سكوتي، وأساتذه من جامعة لاجوس وغيرهم.

أعلام

معاوية بن أبي سفيان ناقداً وشاعراً

فاروق أحمد اسليم

إن المقولة القديمة «الشعر ديوان العرب» تدلّ على أهميته العظيمة في حياتهم، فهو مستودع أفكارهم، وسجلّ أيامهم، ومناط أفئدتهم، ومنه انبعثت سهام غضبهم، ووشوشات حبّهم.

والشعر هو الفن الأكثر تأثيراً في نفوس العرب، والأكثر اقتداراً، منذ القدم، على الانتشار في بواديهم وحواضرهم. ولا عجب - والشعر كذلك - أن يحتفل أولو الأمر من العرب القدماء به، ويكفي للتدليل على ذلك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - استعان بالشعر لمجابهة المشركين، وأن الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - قد عُرفوا برواية الشعر. وأنّ عمر بن الخطاب اشتهر بنقد الشعر، وأنّ عليًا بن أبي طالب عُرف بإنشاده.

وأمّا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت: ٦٠هـ) فكان امتداداً للراشدين في رواية الشعر ونقده وإنشاده. وقد حرص في أحاديثه عن الشعر والشعراء، وفي تمثّله بالأشعار على إبراز أهمية الشعر التربوية، وعلى إظهار بعض آرائه الناقدة للشعر، وكان شعره منسجمًا مع أحاديثه الناقدة للشعر والشعراء، وفيما يلي بيان لذلك:

التأدّب بالشعر

رأى معاوية في الشعر مصدراً للتعليم والتأديب، وموردًا للفصاحة والبيان، ومنهلاً للمروءة والشجاعة؛ فحثّ رعيّته على التأدّب به

ومن ذلك قوله: «يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب»(١)، وقوله أيضًا: «روُّوا أولادكم الشعر واجعلوه أكبرَ همّكم، وأكثر آدابهم»(٢). ولا يخفى ما في القولين من إعلاء لشأن الشعر إذ جعله أعلى مراتب الأدب، وأجدرها بالاهتمام.

ونبّه معاوية على أهميّة الشعر في بناء الشخصية العربية الإسلامية القياديّة، ومن الروايات الدالة على ذلك أنّ الحارث بن نوفل القرشي (ت: نحو ٣٥هـ) دخل بابنه عبدالله على معاوية، فقال له معاوية: «ما علّمت ابنك؟ قال: القرآن والفرائض. قال: روِّه من فصيح الشعر، فإنّه يفتح العقل، ويُفَصّح المنطق، ويُطلق اللسان، ويدلّ على المروءة والشجاعة»(٣). وهذا التوجيه من معاوية يدل على إدراكه لأهمية الشعر في استكمال بناء الشخصية. ولَعلّي لا أحتاج إلى الدلالة على أن معاوية يقصد بتوجيهه الشعرَ المتقن في صياغته، والمناسب في مضمونه، والمفضي إلى متلقيه بتجارب سادة قادوا مجتمعاتهم، وحملوا ألوية مثلها

العليا التي أقرّها الإسلام، وهذّبها، وتمّمها، فمعاوية يرى أن الشعر سجلّ لمآثر الأسلاف ولمواضع رشادهم(٤) وأنّه ثَبْت للأحداث وذاكرة للتاريخ، تنقل للأحفاد تجارب الأجداد(٥).

وفي مقابل اهتمام معاوية بالشعر المتقن الصياغة، والحاضّ على مكارم الأخلاق نجد نفوره من الشعر المذلّ لصاحبه، والمفضي إلى إثارة الفتن والقلاقل في المجتمع؛ فقد حرص معاوية على توجيه أهل بيته بخاصة كقوله لعبدالرحمن بن الحكم الأموي - وكان يقرض الشعر - : «يا ابن أخي، إنّك قد لهجت بالشعر، فإيّاك والتشبيبَ، فَتُهَجِّن به كريمًا، والهجاء فتثير به لئيمًا، وإيّاك والمدحَ، فإنّه كسبُ الخسيس، ولكن افخر بمآثر قومك، وقلْ من الأمثال ما تزيّن به نفسك، وتؤدّب به غيرك، فإنْ لم تجد بدًّا من المديح فقل كما قال الأوّل:

أحْلَلْتُ رَحْلي في بني ثُعلٍ
إنّ الكريم للكريم محلّ»(٦)

وقد تشدّد معاوية في حرصه على تهذيب الشعر، إذ أمر واليه على المدينة أن يجلد شاعرين تهاجيا، هما عبدالرحمن ابن الحكم الأموي، وعبدالرحمن بن حسان الأنصاري(٧). ويبدو أن معاوية فعل ذلك تجنبًا لفتنة كادت تقع في المدينة بسبب إقذاع ابن الحكم وابن حسان في هجاء كلّ منهما للآخر، فمعاوية لم يحرّم الهجاء، ولم يقطع ألسنة الهجّائين، ما دام هجاؤهم لا يُحدث فتنة، ولا يهدم ركنًا من أركان الدولة؛ ومن الأخبار الطريفة الدالة على ذلك أن شاعرًا هجا معاوية، ثم هجا أبا بُردة بن أبي موسى الأشعري، فشكا أبو بُردة أمره إلى معاوية، فقال له معاوية: «ارفعْ يديك تَدَعُ الله عليه»(٨). ويبدو أن هذا الموقف من معاوية يمثل جانبًا من سياسة اللين التي اتبعها مع معارضيه، وأفلح بها في استمالتهم، ثم في سير كثير منهم في ركابه، ولا سيما الشعراء، فقد بالغ في إكرامهم(٩)، واستعان ببعضهم في التمهيد لنقل الخلافة إلى ابنه يزيد بن معاوية(١٠).

رأى معاوية في الشعر مصدرًا للتعليم والتأديب، وموردًا للفصاحة والبيان، ومنهلاً للمروءة والشجاعة؛ فحثّ رعيّته على التأدّب به

وإدراك معاوية لأهمية الشعر التربوية والسياسية نابع من معرفته العميقة لطبيعة المجتمع العربي، ومن تجاربه الخاصة، والدالة على أثر الشعر في سلوكه؛ فقد حدّثنا عن ليلة الهرير بصفّين، فقال: «لقد رأيتني... وقد أُتيت بفرس أغر محجّل، بعيد البطن من الأرض، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى، فما حملني على الإقامة إلاّ أبيات عمرو بن الإطنابة:

أبتْ لي عِفّتي، وأبي بلائي
وإقحامي على المكروه نفسي
وقولي كلّما جشأتْ وجاشتْ
لأدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ
وأخذي الحمدَ بالثّمنِ الربيحِ
وضربي هامةَ البطل المشيحِ
مكانك، تُحمدي، أو تستريحي
وأحمي بَعْدُ عن عِرْضٍ صحيح»(١١)

لقد أثّرت الأبيات السابقة في سلوك معاوية، ومنحته القدرة على الثبات في موقف عصيب كان له أثر في كتابة التاريخ السياسي للعرب وللمسلمين. وفي أخبار معاوية أدلة كثيرة على أثر الشعر في سلوكه ومشاعره(١٢).

تمثّله بالشعر

أكثر معاوية من التمثّل بالشعر في حروبه، ومجالسه، وحين دنا أجله. ومن ذلك أنّه شاهد في صفين عبدالله بن بُديل الخزاعي قتيلاً (عام: ٣٧هـ)، فقال: والله، لو ظفرت بنا خزاعة لأكلونا، ولو أنّا من جندل دون هذا الكبش، ثم تمثّل ببيتين يبرزان عظمة عبدالله، وهما: (١٣)

أخو الحرب إنْ عضّتْ به الحربُ عضّها
وإن شمّرت يومًا به الحربُ شمّرا
كليثٍ، هِزَبْرٍ كان يحمي ذِمارَهُ
رَمَتْهُ المنايا قَصْدُها، فتقطّرا

ومن تمثّل معاوية بالشعر في مجالسه هذان الخبران، الأول، قوله: وقد أدخل عليه الحارثُ بن نوفل فتيانَ بني عبد مناف: هؤلاء كما قال أخو بني مازن: (١٤)

بنو المجد لم تَقْعُدْ بهم أمَّهاتُهُمْ

وآباؤهم آباءُ صدْقٍ فأنجبوا

والثاني قوله لعرابة الأوسيّ الأنصاريّ: لقد صدق الشّماخ حيث يقول فيك: (١٥)

رأيت عَرَابةَ الأوسيَّ يسمو

إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ

تَلَقّاها عَرَابةُ باليمين

ومن تمثّله بالشعر لبيان حاله حين قرب أجله قوله: (١٦)

وأفردتُ سَهْمًا في الكنانة واحدًا

سَيُرْمَى به أو يكسرَ السهمَ كاسِرُ

إذا سار مَنْ خَلْفَ الفتى وأمامه

وأوحشَ من خلاّنه فهْو سائرٌ

إنّ تَمَثُّل معاوية بأشعار بعض المتقدمين والمعاصرين له في مواقف مختلفة يدلّ على أنّه كان راوية للشعر، ومتابعًا لمسيرة الشعر في عصره، وسنجد جلاء لذلك في هذه الوقفة عند نقد معاوية للشعر.

نقده للشّعر

عرفنا بعض آراء معاوية الناقدة للشعر في عرضنا السابق لآرائه في الموضوعات التي يحسن أن يخوض فيها الشعراء والتي يحسن أن يتجنّبوها، وفي عرضنا لآرائه في أهمية الشعر التربوية، وفي إشارتنا إلى بعض الأشعار التي تمثّل بها.

ولمعاوية أقوال عامة في نقد الشعر فيها تفضيل لبيت من الشعر أو لقصيدة، أو لشاعر أو لشعر قبيلة، فمن الأول قول معاوية لجلسائه يومًا: أخبروني بأشجع بيتٍ وصَفَ به رجل قومه، فقال روح بن زنباع: قول كعب بن مالك:

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنا

قدْمًا، ونُلحقُها إذا لم تَلْحَقِ

فقال له معاوية: صدقت»(١٧). ومن الثاني إظهار معاوية إعجابَه بقصيدتين جاهليتين إذ قال: «قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلّزة من مفاخر العرب، كانتا معلقتين بالكعبة دهرًا»(١٨). ومن الثالث قوله عن الطفيل الغنويّ: «خلّوا لي طفيلاً، وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء (١٩)، ومن الرابع إعجابه بشعر مزينة، وقدّمها بذلك على القبائل، أو قال: «وكان أشعر الجاهلية منهم وهو زهير، وكان أشعر الإسلام منهم وهو كعب بن زهير، ومعن بن أوس»(٢٠).

ومن الظاهر أن تلك الآراء الناقدة هي أحكام عامة، ولكن الجامع بينها هو تقدير معاوية للشعر البعيد عن الشتم والإقذاع، وللشعر المنقح المجوّد؛ فالطفيل الغنوي ربما سمي طفيل الخيل لحسن وصفه لها، كما لُقّبَ بالمحبِّر لتحسين شعره وتنقيحه، وزهير عُرِف بحولياته، وبهجره لفضول الكلام، وقُل مثل ذلك في الشعراء الذين قدّمهم معاوية، وقد عرفوا بنبل مقاصدهم، وشرف معانيهم.

واحتفل معاوية بالتجديد في معاني الشعر، فكان يحضّ الشعراء على تجاوز أسلافهم، وعلى اختيار المعاني المناسبة.

احتفل معاوية بالتجديد في معاني الشعر، فكان يحضّ الشعراء على تجاوز أسلافهم، وعلى اختيار المعاني المناسبة

فقد وفد الأخطل التغلبيّ على معاوية، فقال: إني قد امتدحتك بأبيات، فاسمعها، فقال: إنْ كنت شبهتني بالحيّة والأسد أو الصقر فلا حاجة لي بها، وإن كنت كما قالت الخنساء:

فما بَلَغَ المهدون للناس مدْحةً

وإنْ أطنبوا إلاّ الذي فيك أفْضَلُ

وما بَلَغَتْ كفُّ امرىءٍ مُتَناولاً

من المجد إلاّ والذي نلتَ أطْوَلُ

فَقُلْ»(٢١). ويبدو لي أن معاوية وجّه بذلك الأخطل إلى أن الخليفة

جـدير بمديح يقـدّمـه علـى الناس كلّهم، وبصـفات لا تـسبغ إلا عليـه، وبذلك سنّ لمن جـــاء بـعـــده سنّة المبالغـة في وصـف الخلفـاء، وسنّة إفـرادهم بصـفـات مـدحـيـة تناسب منزلتهم السياسية والدينية.

بعض ملامح شعره

في أثناء جـمعي لـشعـر معـاوية وجـدت توافـقًـا واضـحًـا بين آرائه الخاصة بالشعر، والأشعار المنسوبة إليـه، وقـد رأيت في ذلك التـوافق دليلاً من الأدلة على صحّة كثير من الأشعار المنسوبة إلى معاوية.

أتاني أمرٌ فيه للناسِ غمّةٌ
وفيه بُكاءٌ للعيون طويلُ
وفيه فناءٌ شاملٌ وخزايةٌ
وفيه اجتداعٌ للأنوف أصيلُ
مُصابُ أمير المؤمنين وهَدَّةٌ
تكادُ لها صُمُّ الجبال تزولُ

ولمعاوية بعد سـنة ٤٠هـ أشعار تصور جـوانب مختلفـة من صلاته بولاته، وأقربائه، ومناوئيه، ونلمس فـيـهـا طابع الحكمـة والأناة كـقـوله معـاتبًا الحسين بن علي رضي الله عنهما: (٢٣)

له القـول، فيـداريهم تارة، ويحـذّرهم أخرى، بمثل قوله: (٢٥)

أغرّ رجالاً من قريش تتابعوا
على سَفَهٍ، منّي الحيا والتكرّمُ

ومن شعـره وقد أحسّ بدنو أجله قوله: (٢٦)

فيا ليتني لم أعْنَ في الملك ساعةً
ولم أسع في لذّات عيشٍ نواضر
وكنتُ كذي طِمْرين عاش ببلغةٍ
فلم يَكُ حتى زار ضيقَ المقابر

وإذا أعـدنـــا النظر في شعـــر معـاوية فسوف نلمس الحكمة وهي تسري في نسيجه، كقولـــه: (٢٧)

أكان الجبانُ يرى أنّه
يدافعُ عنه الفِرارُ الأجَلْ
فقد تدركُ الحادثاتُ الجبانَ
ويسلمُ منها الشجاع البطلْ

ومن اللافت في شـعـر مـعـاوية بعده عن الهـجـاء، وخلوّه من شـتم مـعـارضـيـه وإقـراره بفـضلهم، ولا سـيـمـا إقـراره بفـضـل الإمـام علي رضي اللـه عنه وفـضـل بنـي هاشم رهط النـبي صلى الله عليـه وسلم، ومن ذلك قـوله يـصف الحـسن بن عليّ رضي الله عنهما:(٢٨)

أمَا حَسَنٌ فابن الذي كان قبله
إذا سارَ، سارَ الموت حيث يسيرُ
وهل يلد الرّئبال إلا نظيره؟
فذا حَسَنٌ شِبْهٌ له ونظيرٌ

ولا يخلو شعر مـعاوية من الثناء على أصـحـابه، ومن الفخـر بمثل قوله مخاطبًا مَصْقَلَةَ بنَ هبيرة (ت: نحو ٥٠هـ)(٢٩).

من اللافت في شـعـر مـعـاوية بعـده عن الهـجـاء، وخلوّه من شـتم معـارضيـه وإقراره بفـضلهم، ولا سـيمـا إقـراره بفـضل الإمام عـلي رضي الله عنه وفضل بني هاشم رهط النبي صلى الله عليه وسلم

وأغلب شـعـر مـعـاوية قـابع في عـبـاءة السـيـاسـة التي انتـهـجـهـا للوصـــول إلى مـــركـز الصـــدارة السـيـاسـيـة في الدولة العـربيـة الإسلامية، ولتـثبيت أركانه في ذلك المركـز، وتـضـاف إلى ذلك أشـعـار أنشـدها حين دنا أجله، وفيـها توّجـهٌ إلى الله، واسـتـجـداءٌ لرحـمـتــه، ومغفرته.

ومن شـعـره قـبل ولايتـه أمـر الأمـة ، قـولـه، وقد بلغـه مـقـتـل عـثـمـان بن عـفـان ـ رضـي الله عنـه ـ :(٢٢)

يا حسينُ بنَ عليٍّ ذا الأملْ
لك بعدي وَثْبَةٌ لا تُحتملْ
وبودّي أنّني شاهدها
فأليها منك بالخُلُقِ الأجَلْ
إنّني أرهب أن تصلى بمن
عنده قد سبق السيفُ العَذْل

وقـولـه ـ وقد أعطى امـرأة من شيعة الإمام مئة ناقة ـ:(٢٤)

إذا لم أعُدْ بالحلم منّي عليكمُ
فمن ذا الذي بعدي يُؤَمَّل للحلِْم؟
خذيها هنيئًا واذكري فعل ماجد
جزاك على حرب العداوة بالسّلْم

وكان بعض القرشيين يغلظون

أبقىَ الحوادثُ من خليـ

لكَ مثل جَنْدَلَةِ المراجِمْ

صُلْبًا إذا خارَ الرّجا

لُ أبَلَّ مُمْتَنِعَ الشَكائمْ

قد رامني الأعداء قَبْـ

لَكَ فامتنعتُ عَنِ المظالمْ

وأمّا صياغة شعر معاوية فمن الملاحظ بروز المنطق في عرض الأفكار، وفي الربط بين الأبيات، ويظهر ذلك بوضوح في قصيدته الهمزية التي دعا فيها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الانضمام إليه، ومطلع تلك الهمزية:(٣٠)

ألاَ يا سَعْدُ، قدْ أظهرتَ شكّا

وشكٌّ المرء في الأحداث داءُ

ومال معاوية في شعره إلى الاقتصاد في اللفظ، وهو القائل في شعره: «وخير القول ما أوجزت فيه»(٣١). ومما يدل على ميله إلى الاقتصاد كثرةُ مواطن الحذف في شعره، كحذف المبتدأ في قوله: (٣٢)

ولقد أعدتَ، فقلتُ: مزحةُ مازحٍ

والمزحُ يحمله مقالُ الهازي

وظهر في شعر معاوية أثر القرآن الكريم والحديث الشريف، فمن تأثره بالقرآن قوله: (٣٣)

أما والذي نادىَ من الطّور عبده

نداء سميعًا فاستجابَ وسَلَّما

لقد كدتُ، لولا الله لا شيء غيره

تباركَ ربّي ذو العلى أنْ أصمِّما

ومن تأثره بالحديث قوله:(٣٤)

وقد قال النبيُ وحدَّ حدّا

يحِلُّ به من الناسِ الدّماءُ

ثلاث: قاتلٌ نفسًا وزانٍ

ومُرْتَدٌ مَضَىَ فيه القضاءُ

ويضاف إلى ذلك ظهور أثر البيئة الشامية في شعره، فقد تعلّق بالشام، ونزع إلى تعظيم أهلها كما في قوله:(٣٥)

والشّامُ ينزلها الأبرارُ، بلدَتُها

أمنٌ وحَوْمَتُها عرِّيسَةُ الأسدِ

وهكذا دلّ معاوية بأشعاره على التزامه ما وَجّهَ إليه الشعراء، وعلى إعلائه لشأن فن عربي عريق، لا تدعه العرب حتى تدع الإبل الحنين.

أظهر معاوية إعجابَه بقصيدتين جاهليتين قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلّزة

الهوامش:

١ - العمدة، ١٩٥٥م، ابن رشيق القيرواني، ص ٢٩.
٢ - زهرة الأكم في الأمثال والحكم، ١٩٨١م، الحسن اليوسي، ١/٤٥.
٣ - المصون في الأدب، ١٩٦٠م، العسكري، ص ١٣٦.
٤ - انظر الكامل، ١٩٣٧م، المبرّد، ص ١٢٣٢.
٥ - المصدر السابق ص ٣٣٠.
٦ - المحاسن والمساوئ، ١٩٦١م، البيهقي. ٢/١٧٢، والبيت لامرئ القيس.
٧ - انظر الأغاني، دار الكتب المصرية، ١٥/١١٥ - ١١٦.
٨ - انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/١٧٧ - ١٧٨.
٩ - نُسب إلى معاوية أنه قال: «إكرام الشعراء من برّ الوالدين». موارد البيان، ١٩٨٢م، علي بن خليفة الكاتب، ص ٤٦٨.
١٠ - انظر الأغاني ٢٠/٢١٣.
١١ - العمدة ص ٢٩.
١٢ - انظر الأغاني ٢٤/١٩٨، والمحاسن والمساوئ ٢/٣٧٨.
١٣ - مروج الذهب، ١٩٦٥ - ١٩٦٦م، المسعودي ٢/٣٨٨. والبيتان من قصيدة لحاتم الطائي (ديوانه، ١٩٩٠/٢م، ت عادل سليمان جمال ص ٢٥٤ - ٢٥٧).
١٤ - طبقات فحول الشعراء، ١٩٥٢م، الجمحي، ص ١٦٣. والبيت لحريث بن مُحَفّظ المازني، مخضرم، من الطبقة العاشرة.
١٥ - الأمالي، دار الكتب، القالي، ١/٢٧٤.
١٦ - الحماسة الشجرية، ١٩٧٠، ابن الشجريّ، ص ٤٨٧ - ٤٨٨.
١٧ - الأغاني ١٦/٢٣٤.
١٨ - خزانة الأدب، ١٩٨٦م، البغدادي ٣/١٨١.
١٩ - الأغاني ١٥/٣٥٠.
٢٠ - المصدر السابق ١٢/٥٥.
٢١ - زهرة الآداب، ١٩٥٣م، الحصري، ٢/٩٢٣.
٢٢ - وقعة صفّين، ١٩٨١م، نصر بن مزاحم، ص ٧٩.
٢٣ - شرح نهج البلاغة، ١٩٦٣ - ١٩٦٤م، ابن أبي حديد، ٥/٤٧٢.
٢٤ - العقد الفريد، لجنة التأليف والترجمة، ابن عبد ربّه ١١٤ /٢-١١٥ .
٢٥ - الأخبار الموفقيات، ١٩٧٢م، الزبير بن بكار، ص ١٥٤.
٢٦ - البداية والنهاية، ١٩٣٢م، أبو الفداء القرشي، ٨/١٤١.
٢٧ - الكامل - المبرّد، ص ١١٧٣.
٢٨ - تهذيب تاريخ ابن عساكر/٥/٤٢٢ - ٤٢٣.
٢٩ - زهرة الآداب ١/٤٩ - ٥٠.
٣٠ - وقعة صفّين ص ٧٤ - ٧٥.
٣١ - انظر المصدر السابق ص ٧٥.
٣٢ - المصدر السابق ص ٢٧٥.
٣٣ - الأخبار الموفقيات ص ١٨١.
٣٤ - وقعة صفّين ص ٧٤. والبيتان تَضَمّنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يحلّ دم امرئ يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثّيِّبُ الزاني، والمارق من الدين، التارك الجماعة». صحيح البخاري، ١٣٧٨هـ، مصر ٩/٦.
٣٥ - وقعة صفّين ص ٣٠٦.

كيف تعرف أن طفلك لا يرى جيداً؟

مؤنس محمود غانم

تعدّ العين الوسيلة الأكثر أهمية في اتصالنا بالعالم، وبواسطتها نحسّ بجمال الوجود والطبيعة والناس. وفي المأثور: «إذا أردت أن تعرف نعمة الله عليك فاغمض عينيك». والواقع أن مسؤولية المحافظة على هذه الحواس



الطفل ينظر إلى النور، ويثبت نظره فيه بدءاً من الشهر الثاني من عمره

المهمة تقع على عواتقنا جميعًا. وبالنسبة إلى العين توجد بعض العلامات التي يجب أن ننتبه إلى وجودها عند أطفالنا؛ لأنها تدل على اضطراب في الرؤية لديهم، فإذا قمنا بمراجعة الطبيب في الوقت المناسب ومن دون تأخير، فإننا نتمكن من معالجة السبب، ومن ثم فلا يحدث للطفل نقص في النظر، ويعيش حياته سوياً من دون أية اختلاطات.

فكرة عن تشريح العين

يقع مركز الرؤية في القسم الخلفي من الدماغ. وعادة تنتقل الأشعة الضوئية إليه عبر العصب البصري بعد أن يتم تحويلها إلى سيالة عصبية، ويحدث ذلك ضمن خلايا يبلغ تعدادها الملايين تدعى العصي Batonets والمخاريط Cones، توجد في الشبكية.

ونحن في الواقع لا نرى بالعين بل بواسطة العين، وذلك لأن الأشعة الضوئية تجتاز القرنية Cornee مارة عبر الحدقة Pupille التي تشبّه بفتحة العدسة في جهاز التصوير الضوئي؛ لأنها تتحكم في كمية النور الواردةإلى العين، فهي تتوسع عندما يكون الضوء خافتاً، وتنقبض عندما يكون الضوء شديداً، ولا يلبث النور أن يصل إلى البلورة Cristallin التي تقوم بكسره ليصل إلى الشبكية ومنها إلى العصب البصري فمؤخرة الدماغ.

تطور الرؤية عند الطفل

يتمكن الطفل من النظر إلى النور، وبإمكانه أن يثبت عينيه على الضوء الخفيف، وأن يتبعه بدءاً من الشهر

الثاني من مولده. أما عند وجود إضاءة قوية؛ فإن الطفل يغلق عينيه، وهو يعدّ من المنعكسات الدفاعية للأجفان بهدف حماية العينين. وفي هذه المرحلة من العمر يقوم الطفل بإغلاق عينيه عند تقريب أي شيء منهما. وعادة يتمكن الطفل من تعرف الأشياء المحيطة به بعد ولادته ببضعة أشهر، ويتم تطور الرؤية تدريجيًا منذ الولادة وخصوصًا في الشهر الرابع؛ لأن نضج القشر الدماغي Cortex Cerebral وتغمّد الألياف العصبية ينتهيان في هذا الشهر. أما الساحة البصرية فتكون مساحتها عند الولادة عشرين درجة وتغدو في نهاية السنة الأولى مماثلة للساحة البصرية عند الكبير.



رضيع مصاب بالماء الأبيض



طفل مصاب بالحول

علامات وجود مشكلة في النظر

هناك علامات يجب على كلٍّ منا أن ينتبه لها؛ لأنها تدل على نقص في النظر في طور الحدوث، وإذا لم نبادر إلى مراجعة الطبيب حتى يعرف السبب، ويقوم بتدبيره باكرًا، فإن هذا النقص في النظر سيغدو دائمًا وعند ذلك قد لا نتمكن من عمل أي شيء إذا تأخرنا.

كبر عين الطفل

يفرح الأهل كثيرًا عندما تكون العينان كبيرتين، وفي الواقع فإنه يجب عدم التفاؤل كثيرًا إذا كان حجم العين كبيرًا بشكل زائد، لأنها تكون مصابة بالزرق الولادي Glaucoma أو مايدعى الماء الأسود، خصوصًا إذا ترافق كبر العينين والدموع، والخوف من الضياء أو الانزعاج من النور.

فالماء الأسود أو الزرق هو زيادة في ضغط العين. وعندما تصاب عين واحدة بالزرق فإن الأمر يكون أقل تعقيدًا؛ لأن الأهل سيلاحظون أن هناك عينًا كبيرة الحجم وأخرى عادية، فيسرعون إلى الطبيب، وتحل المشكلة. لكن عندما تكون العينان كبيرتين فقد لا يتوقع الأهل أن وراء هذا الجمال في العيون، زيادة في الضغط داخل العين سوف تؤثر على ألياف العصب البصري مؤدية إلى نقص شديد في الرؤية، إذا لم نبادر فورًا إلى خفض الضغط بالمعالجة بواسطة الجراحة. أما سبب الزيادة في حجم العين فهو تراكم السائل المنظّم لضغطها لوجود غشاء غير طبيعي في مستوى الزاوية بين القرنية والقزحية مما يمنع مرور السائل وتصريفه، ومن ثم تراكمه في العين فيزيد في حجمها. ومبدأ الجراحة يقوم على إزالة هذا الغشاء من دون تأخير.

عدم انتباه الطفل للأشياء

لقد مرّ معنا أن الطفل ينظر إلى النور، ويثبت نظره فيه بدءًا من الشهر الثاني من عمره، وكذلك يستطيع الطفل أن يتعرف الأشياء المحيطة به في البيت، وعلى ألعابه الخاصة، فإذا لاحظ الأهل أن الطفل لا يلقي اهتمامًا بهم، ولا يتبع النور بعينيه وبرأسه، ولا ينظر إلى الأشياء، فإن

ذلك يدل على وجـود ضـعف في الرؤية قـد ينجم من إصـابـة في مستوى العصب البصري Optic Disc أو في البلورة Lens حـيث يحدث فيها كثافات نقطية بيضاء اللون تتظاهر بتغيّر في لون الحدقة، فتصبح بيضاء اللون بدلاً من اللون الأسود، وهذه الكثافات هي ما ندعوه الساد Cataract أو الماء الأبيض.

على شكل المروحة اليدوية وهي تدل أيضًا على وجود ضعف شديد جدًا في النظر عنده.

شكل العين مثل منظر غروب الشمس

في هذه الحالة تأخذ العين مظهرًا يشبه غروب الشمس، حيث يتجه نظر الطفل إلى الأسفل، ويكون الجفن العلوي مشدودًا. فيدل وجود

عندما تكون عينا الطفل كبيرتين قد لا يتوقع الأهل أن وراء هذا الجمال مرضًا



وضع الطفل أصابعه في عينيه

وهذا من العلامات الدالة على وجود ضعف شديد جدًا في الرؤية، حيث يقوم الطفل بوضع أصابع اليدين في عينيه.

وهناك علامة مهمة يجب على الأهل أن ينتبهوا إليها جيدًا تدعى علامة المروحة، وفيها يقوم الطفل بتمرير يده أمام العين جاعلاً أصابعه

هذه العلامة على ضعف شديد في الرؤية وأحيانًا نلاحظ وجود حركة اهتزازية ترافق هذا المنظر، أو أنها تكون مستقلة عنه، وتشبه هذه الحركة الاهتزازية، بندول الساعة أو الرقاص وتدعى الرأرأة Nystag-mus. فوجود هذه الحركة يدل على ضعف شديد في الرؤية، وقد تنجم عن إصابة عصبية.

الحوَل

عندما تكون العين منحرفة نحو الداخل أو نحو الخارج ندعو ذلك بالحول Strabism. وهو أكثر أسباب ضعف الرؤية لدى الطفل. وتشخيص الحول ليس صعبًا، وعادة ينتبه إلى ذلك مبكرًا، ويجب عدم التأخير في اصطحاب الطفل إلى الطبيب ليقوم بعلاج ضعف النظر قبل أن ينتهي تشكل ما ندعوه الرؤية الثنائية، الذي يتم في حدود السادسة من العمر، وأكثر حالات الحول تتطلب إجراء الجراحة، ونقوم بإجرائها في نحو الرابعة من العمر، أو قبل أن يذهب الطفل إلى المدرسة حتى لاتتأثر نفسيته أيضًا بسبب تعليقات زملائه في الصف. ويمكن التبكير في الجراحة إذا كانت زاوية الحول كبيرة. وبانتظار الجراحة وما بعدها يضع الطفل النظارات، وأحيانًا نقوم بتغطية العين الأقوى حتى نجبر العين الأضعف على العمل.

والخلاصة أن البحث في هذا الموضوع طويل، ولا تكفيه هذه العجالة، إنما اقتصرنا على ذكر أهم العلامات شيوعًا، وهي التي لها دور كبير في التنبيه على وجود إصابة في جهاز الإبصار.

والواقع أن مسؤولية الأهل في الانتباه لذلك لا حدود لأهميتها ويشترك معهم فيها جميع المحيطين بالطفل، ويجب أن يتم اصطحاب الطفل باكرًا ما أمكن إلى الطبيب المختص في أمراض العيون حتى يتمكن هذا الأخير من البحث عن السبب ومعالجته باكرًا ما أمكن قبل أن يغدو ضعف النظر مستديمًا ووقتها لا ينفع الندم.

المعايير الفكرية للتعامل مع البيئة

حسّان داود

من المبشرات بالتقدم على الصعيدين المادي والاجتماعي ازدياد الحديث عن البيئة، والأخطار المحدقة بها، والدعوة إلى حُسن التعامل معها. ومن المفيد استمرار الحديث عن أمثلة جزئية من الأخطار، كأنواع التلوث الجوي والبحري والبرّيّ، ولكن ستبقى الصورة البيئية ناقصة، ويبقى الربط بين أجزائها مبتورًا، بل وتبقى الحلول ناقصة ما لم نتلمس المعايير الفكرية السائدة التي تحرّك من خلف (الكواليس) ما نراه من السياسات المتّبعة، التي يتشكل من جرّائها التعامل الراهن مع البيئة.

إن مثل هذه المعايير الفكرية قد توفّر حلولاً جذرية لمشكلات بيئية بالجملة. وفيما يلي نماذج لتلك المعايير الفكرية لضرب الأمثلة، وليست للحصر.

علاقتنا بالبيئة المادية

إذا اعتقدنا أن معيار علاقتنا بالبيئة المادية هو أننا أسيادها على الأقل، إن لم نكن نحن فوقها القاهرين؛ لأنها عدوتنا، فسيكون تعاملنا معها هو الاستنزاف لها حتى الثمالة. أو ليس هذا هو تعاملنا الراهن مع البيئة المادية؟!

وما تسارع نضوب البترول إلا مثال فاضح لهذا الاستنزاف. فلو أبطأ الشباب من اندفاع سرعة سياراتهم إلى الحد الذي تسمح به قوانين المرور والسلامة، لوفروا الكثير من البترول في هذا المجال. أما إذا كان معيار علاقتنا بالبيئة المادية أننا شركاؤها، لأننا لم ننسَ أن أجسامنا منها، وبذلك تتحكم في علاقتنا بها صداقة المصالح المشتركة، فعند ذلك سنتعامل معها بسياسة «خُذْ واعط» مثال ذلك نأخذ من ثمرات أشجارها، ولكن نعطيها مقابل ذلك رعاية وبذورًا لأشجارها. إن الصداقة تستتبع الاستفادة من الطرف الآخر، بينما تستتبع العداوة إبادته.

علاقتنا بالبيئة الحيوانية والنباتية

تختلف البيئة الحيوانية والنباتية عن البيئة المادية في «الروح» الحركة، ودرجة الأحاسيس مهما كانت بسيطة. فإذا كان معيار علاقتنا نحن - بني البشر - مع البيئة الحيوانية والنباتية علاقة «السوبر» أي المتعالي على ما يعدّهم دونه بما لا يقاس، فسيكون تعاملنا معها هو الاستغلال حتى الاضطهاد. أو ليس هذا هو تعاملنا الراهن مع البيئة الحيوانية والنباتية؟! وما انقراض بعض الأجناس الحيوانية والنباتية إلا مثال واحد من عددٍ من الأمثلة على

سوء تصرفات بعضنا للاضطهاد العشوائي للفيلة والثعالب والحيتان.

أما إذا كان معيار علاقتنا بالبيئة الحيوانية والنباتية علاقة المستفيد الحريص على إدامة ما يفيده، فعند ذاك سنتعامل معها بكل رعاية. فلو نطقت البيئة لقالت: إن لي قوانين فلا تخرقوها، وأول هذه القوانين هو التوازن البيئي، وإن لكل مخلوق دوره في إدامة التوازن البيئي، ومن ثم انسجام عمل الأنظمة البيئية ضمن نظام الأرض الأكبر.

أنماط رعاية الممتلكات

إذا لم يكن هناك خلاف بين البشر على اندراج البيئة المادية في حيّز ممتلكاتهم فهناك خلاف بيّن بينهم على عدّ البيئة الحيوانية من الممتلكات. فبعض البشر يقدس بعض الحيوانات كالأبقار، ويحرّم بهذا المعيار الفكري نفسه الاستفادة منها.

وأما البشر الذين يرون البيئة الحيوانية من ممتلكاتهم فلديهم أنماطٌ مختلفة في التعامل معها. ألم ترَ إلى الذين يدلّلون القطط والكلاب إلى درجة من الرفاهية فوق ما يحظى به كثيرٌ من البشر؟! بينما هم يسلخون الدببة والتماسيح ليجعلوا جلودها معاطف وحقائب وكماليات وأحذية للتفاخر، وليس من الضروري صنعها من هذه الجلود بالذات.

إن هذا الاختلال في المعيار الفكري لرعاية الممتلكات يؤدي إلى اختلال في سريان قانون ضرورة الحفاظ على التوازن البيئي، ومن ثم تصبح البيئة غير متوازنة وغير صحيحة، هذا إذا كُتب لها الاستمرار.

الأنانية وأبناؤها

الأنانية تعني أن أمتلك أنا، ولا يمتلك سواي. فللأنانية أبناءٌ، أخطرها الاحتكار البشع القائل: إذا فاضت ممتلكاتي، ولم أستطع الاحتفاظ بها فلن أدع غيري يستفيد منها.

وانظروا إلى تلك الدول التي تسكب الحليب في طرقاتها، ولا تعطيه للأفواه الجائعة، ولو بالثمن الذي في طاقة تلك الأفواه الجائعة أن تدفعه، وكذلك انظروا إلى تلك الدول التي تحرق فائض الحبوب لديها لكي لا يصل إلى شركائها في البيئة والمحرومين من حصتهم فيها.

إذا كنا نستهجن أن يلقي بيتٌ بنفاياته على جيرانه، فالاستهجان يصبح أشنع إذا حملت دولة نفاياتها الكيماوية والنووية وألقتها على شواطئ غيرها

ويقابل معيار الأنانية والاحتكار معيارُ الأخوة الإنسانية الذي يقضي بأن يعامل كلٌّ من سكان الكرة الأرضية الآخرين على أنهم أبناء قرية صغيرة واحدة، بل كأنهم إخوة في بيت واحد؛ وتحت ظل هذا المعيار سيتمتع الجميع بكرم المعاملة الأخوية من الآخرين. صحيح أن معيار الأخوة الإنسانية لن يمنع بعضهم طعم الغطرسة الذي يشتهيه، ولكن أيهما أفضل؟. طعم غطرسة مؤقتة يستعدي الآخرين، ويجعل منهم قنابل موقوتة للانتقام، أم إسداء جميل لمعوزين يكفل مودتهم اليوم ويجعلهم منجدين عند الشدائد - إن نزلت - غداً؟ وكما تقول الحكمة: فالدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك! فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فاصبر، فكلاهما سينحسر.

ماذا قال السيد شيلفورد Shelford؟

هل انتظرت البشرية طويلاً ليقول لها السيد شيلفورد: إن الكثير جداً، وكذلك القليل جداً من المواد الكيماوية، والعوامل البيئية، مثل درجة الحرارة المقدرة سيكون ضاراً بالأنظمة البيئية؟ بالطبع لا! لأنه من الأخبار المألوفة، مثلاً: إن زيادة درجة حرارة الجو يمكن أن تؤدي إلى نفوق كثير من الأحياء. إن ما جاء به السيد شيلفورد إنما هو تقنين لواقع، وتذكيرٌ بأمر معروف. إذن فما الخطوة التالية؟ هي أن نتصرف ضمن الحدود البيئية المقدرة لنا، فلا نزيد جرعة الكيماويات التي ندخلها أجسامنا، ولا نقللها عن الحدّ المقدر، ولنا في الأدوية مثال ناصع.

وحسناً فعل مجلس وزراء الصحة العرب، واتحاد الصيادلة العرب عندما غدوا يذكّرون مع كل تعليمات دواء: اتبع بدقة تعليمات الطبيب والصيدلي، لا توقف بنفسك فترة العلاج، ولا تكرر الوصفة نفسها من دون استشارة الطبيب. ولعله من الطريف أن يقبل الكبار تلك النصيحة «احفظ الدواء بعيداً عن متناول الأطفال» بينما يتصرف بعض الكبار كالأطفال في أخذ الدواء أو عدم أخذه!

وإذا أردنا وضع قانون السيد شيلفورد في عبارة توضيحية قلنا «الوسطية خيرٌ في الأمور كلها»! ويا لها من حكمة رائعة انفرد بها

المسلمون منذ القديم، ولو نظرياً، بينما شقي الغرب حتى اكتشفها! فمن الأولى بتطبيقها؟

احترام اللون الأخضر

«كل ما على الأرض من طاقة مصدرها أُمّنا الشمس». هكذا تقول الحقائق الأولية للعلم.

إذن فالشمس هي «البطارية» التي تزوّد الأرض بالطاقة. وتقوم تلك المخلوقات الخضراء المسمّاة بالنباتات مشكورةً باصطياد الطاقة الشمسية، وتوفيرها للحيوانات والبشر. أي إنه لاستمرار الحياة لابد من وجود نباتات أكثر من الحيوانات والبشر الآكلين للنباتات، كما لابد من وجود حيوانات آكلة للنباتات أكثر من الحيوانات والبشر الآكلين للحيوانات الآكلة للنباتات. وتدرّج هذه الأعداد من الأكثر إلى القليل فالأقل يُسمى «هرم الحياة». إذن فعملية اكتساح الغابات، وتمزيق البساط النباتي الأخضر ستؤدي إلى اختلال هرم الحياة، وشحّ النباتات الموفرة لغذائنا وتوازننا البيئي والأوكسجين الذي نستنشقه. فإذا أردنا المحافظة على هرم الحياة للاستمرار فيها فلا بدّ من احترام اللون الأخضر، أي بإدامة النباتات. ومع هذا فهناك عبارة شائقة ينزلونها منزلة الحكمة تقول: «ازرع ولا تقطع» وهي صحيحة تماماً في جزئها الأول «ازرع» ولكنها قد تكون ملتبسة في جزئها الثاني. فالأمر «لا تقطع» غير مطلق؛ لأنه لا بدّ أن نقطع لنعيش، وإنما علينا ألاّ نقطع إلا عندما نحتاج، وعلى قدر حاجتنا، وأقل مما نزرع.

لا ضرر ولا ضرار

ليس من العقل أن يضرّ المرء نفسه، بالخمر أو التدخين... إلخ مثلاً، لأنه بهذا يدمر بيئته الشخصية. ولا معنى للادّعاء الفارغ «إنها نفسي وأنا حرٌّ بها»! لأن أبسط الحقائق المعروفة يقول: إن هذا المدمر نفسه لم يخلقها ليكون حراً بتدميرها؛ وكذلك لأنه لا يمكن لأحد أن يدمر بيئته الشخصية من دون الاعتداء على بيئات الآخرين، والمدخنون مثال بسيط على ذلك. لم نكن لنسمح لأحد بإحداث ثقب في سفينة نركبها، فكيف نسمح لأحد بإحداث ثقب في طبقة الأوزون الحامية لنا من الإشعاعات فوق البنفسجية الضارة بنا؟ وكيف نسمح لأحد بإحداث ثقب في النظام البيئي الأكبر للأرض؟

كما أنه ليس من الإنصاف أن يدفع المرء الضرر عن نفسه بإلقائه على الآخرين. فإذا كنا نستهجن أن يلقي بيتٌ بنفاياته على جيرانه، فالاستهجان يصبح أشنع إذا حملت دولة نفاياتها الكيماوية والنووية وألقتها على شواطئ غيرها وهربت! وهنا ننتظر أن يتدخل القانون الدولي لحماية دولة من دولة.

البيئة كلٌّ مترابط وليست جُزُراً منعزلة

يظن بعض الناس ، أو هكذا يركز الإعلام أحياناً على قضية من قضايا البيئة، فيحسبون أنها الفاصلة، ولا قضية سواها، وإننا إذا حللناها بلغنا شاطئ السلامة. وما صيحات التحذير من التلوث الجوي، من عوادم السيارات مثلاً، وثقب طبقة الأوزون عنا ببعيد. وهذا الاهتمام مطلوب بشرط ألاّ يعني إهمال الأجزاء الأخرى للبيئة؛ لأنها شبكة متكاملة مترابطة، وليست جُزراً منعزلة. ففي مثال التلوث الجوي هناك أيضاً التلوث الأحيائي (البيولوجي) بالمنظفات والمبيدات الحشرية التي تحتوي على كميات كبيرة من الفوسفات فتسبب تكاثر الطحالب التي تستهلك الأوكسجين المذاب في الماء مما يؤدي إلى موت الأسماك. ومثل هذا أيضاً التلوث الحراري الناتج من إلقاء المياه الساخنة في البحر مما يرفع درجة حرارته، فينخفض أوكسجينه المذاب، وتهرب الأسماك من ذلك المكان، فيختل التوازن البيئي.

وهناك تلوث التربة بالمبيدات الحشرية، والأسمدة الكيماوية، فتصبح غير صالحة للزراعة. وهناك تلوّث الضجيج الذي إن بلغ



الاستغلال حتى الاضطهاد.. أليس هو تعاملنا مع البيئة الحيوانية والنباتية؟

٤٠ ديسي بيل أحدث اضطرابات في النوم، وإن بلغ ٧٥ ديسي بيل أحدث اضطرابات في وظائف الأعضاء (الفسيولوجية).

من المسؤول عن البيئة؟

من المقصود بهذا الاستفهام «من المسؤول عن البيئة؟» هل هم المدمرون للبيئة أم المصلحون لها؟ إذا كان المدمرون للبيئة هم المقصودين، فالمتوقع من المجتمع الواعي أن ترتفع جميع أصابع أفراده بالاتهام أو التحذير أو الإيقاف لكل مدمّر. أما إذا كان المصلحون للبيئة هم المقصودين فمن المتوقع من المجتمع الواعي أن يكون جميع أفراده مصلحين. وإذا كان عدد المدمرين للبيئة لا يتجاوز حفنة من المجتمع من جهة، فعلى المجتمع جميعاً من جهة أخرى أن ينبض فيه حسّ الإصلاح لكي لا تغرق سفينته. لا عذر للمتفرجين على الأذى البيئي في أنهم لم يؤذوا، أو أنهم لا يستطيعون دفع الأذى. عدم الإيذاء أمرٌ حسن؛ وهو نصف الطريق إلى بيئة آمنة صحية، ولكن رفع الأذى أو إصلاحه هو الأمر الأحسن؛ لأنه يمثل الطريق الكامل. فلو بقينا لا نؤذي، ولكن لا نفعل شيئًا لإصلاح البيئة لانهارت بيئتنا من تلقاء نفسها بسبب القانون الثاني للثرمودينامك: اترك أي جهاز، كالساعة مثلاً، من دون استعمال ولا إدامة، وتعال إليه بعد فترة ستراه عاطلاً متآكلاً.

وكلنا يستطيع دفع الأذى بيده وإلاّ فبلسانه. ومن الأمراض الاجتماعية المعاصرة هو اتّكال أفراد المجتمع على الحكومة في حماية البيئة أو إصلاحها. صحيح أن الحكومات اعتيادياً ذات إمكانات مالية أكبر، ولكنّ أفراد المجتمع ذوو إمكانات بشرية أكبر، وهم مؤهلون لتطبيق مبدأ «الوقاية خير من العلاج» بصورة أشمل من الحكومات، وأخيراً فالمجتمع الذي يرى أن حكومته جزء منه سيسندها في كل اتجاه، وما البيئة إلا مجموع الاتجاهات (المادية والأحيائية والتنظيمية).

بين القبول بالواقع وتغييره

يُعَدُّ الإنسان من أكثر أجزاء البيئة تحكمًا أو رغبة في التحكم فيها بالحق أو الباطل. فأحيانًا يحتاج الإنسان إلى جعل برودة الشتاء أكثر دفئًا، أو حرارة الصيف

لإمكاناتنا في تغيير البيئة سقف لا نستطيع تجاوزه، ولإنفاقنا حدّ لن نرقى للتحليق فوقه

أكثر لطفًا، فيستطيع ذلك. ولكن لو قلنا: إن أحدهم اقترح تغطية المدينة الفلانية بقُبة، وتكييفها صيفًا لتضارع جوًا فردوسياً من فراديس البحر المتوسط، لصنّف الكثيرون هذا الاقتراح ضمن أساطير ألف ليلة وليلة. إن لإمكاناتنا في تغيير البيئة سقفًا لا نستطيع تجاوزه، وإنّ لإنفاقنا حدًا لن نرقى للتحليق فوقه. وهنا يقول المنطق: اقبلوا بالبيئة كما هي، واستفيدوا منها كما هي؛ لأن معيار الحكمة يقضي أنه إذا لم يكن ما تريد فأرِدْ ما يكون. إن الاحتياط ضدّ التصحّر مطلوب، وإن إيقاف التصحّر مطلوب. ولكن إلباس جميع الصحراء تشجيراً أخضر قد يتطلب أموالاً أكثر من أموال قارون، وأزمانا تقاس بالمقاييس الجيولوجية، وليس بالسنين العادية، ثم لا يصمد تحقيق هذا الحلم الخرافي إلا كما تصمد الريشة في مهبّ الريح.

إن أمثال المعايير الفكرية التي سلفت للتعامل مع البيئة، تنادي المجتمع من أسفل قاعدته إلى ذروة قمته، إلى تعرّفها، ومناقشتها، والعمل الحكيم بمقتضاها. ومن المبشرات أن تتناوب وسائل الإعلام والتربية الترويج للصالح من المعايير الفكرية للتعامل مع البيئة، ولكن على ألاّ ينطبق عليها المثل: «أسمع جَعْجعةً ولا أرى طحنًا»، ويتميز الإنسان من باقي أجزاء البيئة بأنّ له عقلاً، وأن له هوى. فأمّا العقل فهو غرفة العمليات للإعداد للتقدم وتحقيقه، وأما الهوى فهو إعاقة التقدم، أو استغلال ثمراته بصورة سيئة، كتغليب المكاسب الآنية على الطويلة المدى، والمنافع الشخصية على المجتمعية، مما ينتج منه مشكلات بيئية. وهكذا يرهق الهوى العقل بمشكلاته بدل أن يتيح له حرية التقدم.

ويكتشف الناظر المتعمق للمعايير الفكرية أن المشترك بينها هو الأخلاق، فإن حسنت الأخلاق حسنت البيئة، وإن ساءت ساءت. فالأخلاق الحسنة مثلاً تمجّد الاقتصاد في الاستهلاك أي التوسط فيه، وتذم التطرّف فيه سواء أكان من جهة الإسراف أم من الجهة المعاكسة: التقتير. والأخلاق الحسنة ترغب في المحافظة على الذات، ولكن ليس على حساب الآخرين.

المبيدات الحشرية في الحضارة الإسلامية

علي جمعان الشكيل

المبيدات الحشرية مواد قادرة على إبادة الحشرات، وقد عرف المسلمون أصنافًا منها، كما عرفوا طرائق أخرى لإبادة الحشرات كالتي تعرف في هذا الزمان بالمبيدات الحيوية، مثل إدخال حشرة غير ضارة تسيطر على حشرة ضارة.

وتصنف المبيدات الحشرية(١) حديثًا حسب فعلها في الحشرة في الأنواع التالية:

- السموم المعدية، وهي التي تقتل الحشرة التي تأكلها.

- سموم الملامسة، وهي التي تقوم بقتل الحشرات بمجرد ملامستها.

- السموم الغازية، وهي التي تعمل على إتلاف الجهاز التنفسي للحشرات، وتقتلها بالاستنشاق من خلال الرئة.

وقد سبق المسلمون الغرب بأكثر من عشرة قرون في مجال المبيدات الحشرية، وكانت لهم لفتات لطيفة في استخدام المبيدات الحشرية، سواء في مجال الكيماويات غير العضوية كمركبات الزرنيخ والكبريت والنورة والزاجات، أم في مجال المبيدات العضوية المستخرجة من النباتات والمنتجات النفطية كالقار. وهذه المقالة محاولة لإلقاء قليل من الضوء على بعض مآثر المسلمين في مجال المبيدات الحشرية.



تنوع الحشرات اقتضى تنوع طرائق إبادتها

لم يعرف الغرب كثيراً عن المبيدات الحشرية قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، أي قبل نحو مئة وخمسين عامًا تقريبًا من الآن(١). ولعل تلك المعرفة لم تتم إلا اعتماداً على المراجع الإسلامية والخبرات التي انتقلت إلى أوربا خلال عصر النهضة، من معابرها الثلاثة المعروفة: إسبانيا الإسلامية، وصقلية الإسلامية، واختلاط الأوربيين بالعالم الإسلامي خلال فترة الحروب الصليبية.

وترتبط المبيدات الحشرية كثيرا

بالزراعة. فالحشرات هي التي تفسد المحاصيل والثمار والأشجار، ولذا لابد من السيطرة عليها، ومحاربة الحشرات الضارة منها بصورة خاصة، مع الاحتفاظ بالحشرات المفيدة. وكان المسلمون أعلم الأمم بالزراعة إبان ازدهار حضارتهم. فقد عرفوا تفصيلاً وإجمالاً أهمية خدمة الأرض، وأثرها في القضاء على الآفات الزراعية خصوصاً البادرات الحشرية، وذلك من خلال التربة وتعريض الآفات التي تعيش فيها للظروف الجوية غير الملائمة، إضافة إلى التخلص من الحشائش الضارة والأدغال النامية في الحقول، واستعمل المسلمون أيضاً التسميد(٢) لتحسين المحاصيل الزراعية وتقويتها وتكثير العصارة النباتية بها، مما يجعلها أكثر مقاومة للإصابة بالناخرات - أي حفارات سيقان الأشجار - وغيرها من الآفات. وعرفوا تبوير التربة لحمايتها من الآفات، وتوسيع المسافات بين الأشجار كذلك.

سبق المسلمون الغرب بأكثر من عشرة قرون في مجال المبيدات الحشرية، واستخدموا المبيدات الحشرية الكيماوية في صورة طعوم، أو سوائل ترش، أو غازات بواسطة التدخين

كما عرف المسلمون كثيراً من الحشرات التي تهاجم الإنسان وحيواناته وزرعه، وكيفية مكافحتها وحددوا لها أسماء متعارفاً عليها عندهم، وبينوا الأضرار التي تحدثها، وذكروا المواد التي يمكن استعمالها لمكافحتها، سواء أكانت كيماوية غير عضوية كالكبريت والزرنيخ، أم مركبات عضوية ذات أصل نباتي أو حيواني.

وتحدث المسلمون أيضاً في تراثهم العلمي الواسع، عن الطرائق الميكانيكية لمكافحة الحشرات، مثل مصائد الفئران والقوارض، والقتل اليدوي لبعض الحشرات في كمياتها القليلة، كالذباب والبعوض والصراصير والديدان والنطاطات وغيرها.

واستخدم المسلمون المبيدات الحشرية الكيماوية في صورة طعوم، أو سوائل ترش، أو غازات بواسطة التدخين. كما سنوضح ذلك في الفقرات التالية.

وأثبت المسلمون، كما هو معروف أن استخدام الكيماويات مبيدات حشرية أعطى وسيلة فاعلة وسريعة في مكافحة الآفات الزراعية، والسيطرة على الحشرات الضارة. وقد استخدمت الكيماويات مبيدات حشرية بكثرة في العصر الحاضر.

الطعوم السامة

طريقة استخدام الطعوم السامة من أهم الطرائق وأسهلها وأرخصها في مكافحة بعض الآفات كالقوارض وخصوصاً الفئران في المباني والمنشآت والمزارع. وعادة ما تكون الطعوم السامة مخلوطة مع مادة غذائية، وكثيراً ما تكون ذات رائحة نفاذة، تخلط مع المادة القاتلة بنسبة معروفة.

وقد استخدم المسلمون لقتل الفئران برادة الحديد مخلوطة بالدقيق أو الخبز بالسمن، ووضعه في مكان الفئران، فإنه يأكل منه ويموت، وعرف المسلمون أن تراب الزئبق يقتل الفأر(٣) ومن الماريزون(٤) قتال جداً فإذا خلط بالسويق وجمع بماء أو زيت قتل الفأر والكلاب والخنازير(٥). والزرنيخ الأصفر يقتل الذباب برائحته، فإن جعلته في شيء حلو ليأكله الذباب قتله قتلاً مبيناً(٦)، وعرف المسلمون أن تحمية حجر طاليقون(٧) ثم غمسه في مائع لم يقرب ذلك المائع ذباب(٨).

وذكر النويري(٩) طلسماً يجعل على المائدة فلا يقربها الذباب فقال:

«يؤخذ كندس، وزرنيخ أصفر وكمأة يابسة، أجزاء متساوية، يسحق جميع ذلك ويعجن بماء بصل العنصل، ويجعل منه مثال ويدهن بالزيت فإن الذباب لا يقرب من المكان الذي يوضع فيه».

واستخدمت مركبات الزرنيخ بصورة مكثفة حديثاً كطعوم سامة، لمكافحة بعض الحشرات كالجراد والنطاط والفئران(١٠).

وقد عرف المسلمون الأوائل طريقة لحماية المزروعات من الحشرات التي تعيش في التربة، أو تقضي جزءاً من حياتها تحت سطح التربة. وتمتاز هذه الوسيلة بسهولة التطبيق موازنة بالطرائق الأخرى التي تستخدم فيها المبيدات الكيماوية، إضافة إلى تقليلها من الأضرار الناجمة عن استخدام المبيدات الحشرية على النبات والحيوان والإنسان، خصوصاً الحشرات النافعة كنحل العسل.

يقول ابن بصال(١١) الذي أفرد فصلاً كاملاً في حفظ المزروعات ووقايتها:

«تفرش الأرض فرشة غلظها نحو الأصبع من رماد الحمامات، ثم يكون الزبل فوق هذا الرماد ثم تزرع الأرض، فإن ذلك الرماد يكون ما بين النبات والحيوان الضار».

قال المسلمون في مكافحتهم القمل: إن المسافر يتقلد بقلادة من الصوف ملطخة بالزئبق المقتول «أكسيد الزئبق» فإنه لا يتولد في ثوبه قمل أصلاً(١٢).

أما مكافحة النمل بأن يصب في

أفواه بيوتها القطران والكبريت الأصفر فكانت معروفة عند المسلمين وقالوا إذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخاً أو كبريتاً هجرتها(١٣).

والعجيب أن أول استخدام للكبريت في عصرنا الحاضر لمكافحة الآفات مبيداً حشرياً كان في عام ١٨٨٦م في الولايات المتحدة في ولاية كليفورنيا، أما مركبات الزرنيخ فكان أول استخدام لها في الولايات المتحدة سنة ١٨٦٧م مبيداً حشرياً ضد خنفساء كلورادو في حقول البطاطس(١٣).

المبيدات المرشوشة

عرف المسلمون المبيدات المرشوشة

الدفلي تموت براغيثه وأرضته ونحوها. وإن حفرت في وسط البيت حفرة وألقي فيها شيء من الدفلي اجتمعت براغيث البيت فيها ويهرب الفأر والخفاش من الدفلي(١٦).

وقال محمد بن زكريا الرازي: يرش البيت بطبيخ الشونيز يقتل براغيثه، وإن بخرت به وبالقلقند البيت لم يدخله البق ألبتة، والهوام تهرب من دخانه(١٧).

وقال ابن سينا: لبن اللبلاب يحلق الشعر ويقتل القمل(١٨).

وحجر قلقند يلقى في الماء ويرش به البيت يموت ما فيه من البراغيث،

وحجر النورة إذا فرش في موضع لم تقربه البراغيث(٢٤).

وكلواشة - حشيشة - يُلقى شيء منها في الفراش تجد كل البراغيث غير قادرة على الظهور أو الأذى فتؤخذ حينئذٍ بسهولة(٢٥).

مواد التدخين والتبخير

المواد المستخدمة في التدخين والتبخير هي مواد كيماوية طاردة طيارة سريعة التبخر أو من أصل نباتي، ومواد التدخين أحياناً ضعيفة السميّة. وكثيراً ما تكون غير سامة، ولذا فلا ضرر منها على النبات والحيوان والإنسان. وتعدّ المواد الطيارة من المبيدات الحشرية الحديثة، وتستخدم ضد الحشرات التي تضع البيض، والحشرات الماصة كالبعوض.

وكان أول استخدام للمواد الطاردة في العصر الحديث عام ١٩٠١م حيث استعملت مادة السترونيلا لطرد البعوض(٢٦) وهكذا يكون المسلمون قد سبقوا الغرب في مجال المبيدات الكيماوية الطيارة بنحو عشرة قرون.

وتؤدي عملية احتراق مركبات الزرنيخ أو الكبريت إلى تحرر أكاسيدها المتطايرة، ومنها ما يكون ساماً كخامس أكسيد الزرنيخ وثاني أكسيد الكبريت، وتكون الأبخرة أكثر فاعلية في الأماكن المغلقة كالمخازن، فتؤدي إلى طرد أو موت الحشرات الضارة.

وكان أول اكتشاف لغازات مواد التبخير في الغرب في مجال مكافحة الآفات في عام ١٨٥٤م، عندما اكتشف غاز ثاني كبريتيد الكربون، وكان أول استخدام ناجح له في سنة ١٨٧٩م، ثم توالت الاكتشافات والاستخدامات لغازات تبخير أخرى، لمكافحة البق والصراصير ودودة الشمع في خلايا النحل(٢٧).

وينصح حنين بن إسحق بتدخين



كان المسلمون سباقين إلى معرفة طريقة حماية المزروعات من الحشرات

واستخدموها بتوسع. وللإذابة أهمية كبيرة في توزيع المادة السامة على أكبر مساحة ممكنة، وزيادةمفعولها. ذكر الإمام القزويني في كتابه الجيد «غرائب المخلوقات والحيوانات وعجائب الموجودات» عدداً من المبيدات المرشوشة فقال: ثمرة الحنظل إذا نقعتها في الماء ورششت البيت ماتت براغيثه(١٤).

السذاب [نوع من البقول] إذا نقع في ماء ورش به البيت ماتت براغيثه(١٥).

وقال ابن سينا: يرش البيت بطبيخ

والبق، وإذا ضم إليه الكبريت والشونيز كان أقوى فعلاً، ويدفع الفأر أيضاً(١٩).

والأسفيداج إن نقع مع شيء من قثاء الحمار في ماء وملح، ثم رش به البيت خرج منه البراغيث(٢٠).

وقال ابن سينا: إذا رش البيت بالماء الذي جعل فيه النوشادر يهرب منه جميع الهوام(٢١).

يرش طبيخ الحسك في البيت فيقتل البراغيث وإن رش بطبيخه حجر الحيات هربت(٢٢) وإذا رش البيت بطبيخ الترمس هرب منه الذباب(٢٣).

البيت بقليل من الكبريت لدفع البرغوث. ولطرد الفأر ويبخر البيت كل أسبوع بالزرنيخ الأصفر.

وذكر الإمام القزويني بعض المبيدات الحشرية الطيارة التي استخدمت لطرد وقتل الحشرات الزاجات (أملاح غير عضوية) إذا دخن بها البيت هرب من رائحتها الفأر والذباب(٢٨).

وتهرب البراغيث من رائحة الكبريت، وكذلك الحيات ولاسيما مع دهن أو حافر حمار(٢٩).

وتدخن المنافس والبساتين بالكرنب فيقتل دودها(٣٠). ويدخن بنبات فنحكسب(٣١) لطرد الهوام(٣٢).

وقال بليناس: إن تبخير البيت بالكزبرة يطرد الحيات والعقارب منه(٣٣).

المبيدات الحيوية

تصطاد العصافير الجراد والصراصير، ويكافح النمل الأرضة، ولذا فإنها تبني على نفسها مستعمرات كالدهاليز خوفًا من النمل. هذه أصناف من المبيدات الحيوية. ولعل أمر نشر كائنات كهذه وتربيتها وتكثيرها ثم تسليطها على نوع من الحشرات الضارة أمر لم يعرف حديثًا إلا عام ١٨٧٠م عندما استوردت الولايات المتحدة حشرة من نوع أبي العيد من استراليا للسيطرة على البق الدقيقي الاسترالي على أشجار الحمضيات في كاليفورنيا(٣٤).

ولعل المسلمين هم أول من استخدم المبيدات الحيوية في ربوع اليمن منذ آلاف السنين عندما استجلبوا نوعًا من النمل الصحراوي المفترس، وأطلقوه على أنواع الحشرات التي تصيب النخيل والتمور. ومازالت هذه الطريقة مستخدمة في اليمن حتى الآن(٣٥).

لم يعرف الغرب كثيرًا عن المبيدات الحشرية قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وجاءت هذه المعرفةاعتمادًا على المراجع الإسلامية والخبرات التي انتقلت إلى أوربا خلال عصر النهضة

الثياب والسوس

تقوم العتة بمهاجمة الثياب وإتلافها، وقد عرف المسلمون بعض المواد الفاعلة في حفظ الملابس ومكافحة العتة والسوس.

قال ابن سينا: يجعل السادج في وسط الثياب يحفظها من السوس(٣٦). الأسفنتين الرومي يمنع السوس عن الثياب، وفساد الهوام ويمنع الحبر والمداد أن يتغيرا. والكاغد أن يعث ويقرض(٣٧).

وقشر الأترج إذا جعل في الثياب حماها من السوس، وكذلك الخربق وعود الريح وورق النعناع(٣٧).

أقراص الكمون

يهرب النمل من رائحة الكمون. يؤخذ الكمون والملح سويًا ويجعلا أقراصًا تترك في وسط الدقيق، فيبقى زمنًا طويلاً لا تصيبه آفة أصلاً(٣٨)

الخربق مبيد عجيب

الخربق نبات، ورقه كورق الدلب وساقه قصير، وشكله كشكل العناقيد. قال صاحب الفلاحة: إذا غرست في البستان قضبان الخربق مات ما فيها من البراغيث، وإذا زرعتها مع أي بذر كان لا يقربها الطير. وإن دخنت البيت به هربت الهوام منه. ولا يبقى فيه بق ولا برغوث ولا ذباب ونحوها. وإن جعلته في العجين وتركته للفأرة إذا أكلته ماتت، وإن دققته مع الكبريت ونثرته في جحر النمل هربت، وإذا طليت اللحم بالخربق ووضعته للسباع اصطيدت بسهولة. وهي سم قاتل للإنسان

المراجع والهوامش:

١. أوستين: شريف للصناعات الكيماوية، ص٤٦٤.
٢. دراسة في تأريخ العلوم عند العرب. مركز إحياء التراث العلمي ١٩٨٩م. د. عماد الحفيظ، «مكافحة الآفات الزراعية عند العرب»، ص٤١٦.
٣. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٣٦٥.
٤. ماريزون، حشيشة معروفة من اليتوعات منها صغير وكبير، فالكبير يشبه ورق الزيتون القزويني ص٨٣.
٥ . القزويني، عجائب المخلوقات، ص٨٣.
٦. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٣٤١.
٧. نحاس طرح عليه الأدوية حتى صار صلبًا. القزويني ص٣٤٥.
٨. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٣٤٥.
٩. النويري، نهاية الأرب، ١٢/ ٢٢٣.
١٠. د. عماد الحفيظ، ص٤٢١.
١١. د. عماد الحفيظ، ص ٤١٦.
١٢. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٣٦٥.
١٣. د. عماد الحفيظ، ص٤١٩.
١٤. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٥٧.
١٥. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٦٦.
١٦. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٦٢ ـ ٦٣.
١٧. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٧٠.
١٨. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٨١.
١٩. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٣٤٩ ـ ٣٥٠
٢٠. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٣٢١
٢١. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٣٦١/٣٦٢.
٢٢. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٥٦.
٢٣. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٥٢
٢٤. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٣٦١.
٢٥. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٨٠.
٢٦. د. عماد الحفيظ ص٤٢١.
٢٧. د. عماد الحفيظ، ص٤٢٢.
٢٨. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٣٤٠.
٢٩. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٣٦٧
٣٠. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٧٧.
٣١. نبات لعظمه كاد أن يكون شجرًا، ينبت بقرب الماء، ورقه كورق الزيتون، وله زهر.
٣٢. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٧٤.
٣٣. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٧٩ ـ ٨٠.
٣٤. د. عماد الحفيظ ص٤١٨.
٣٥. حيدر صالح الحيدري، مجلة نخلة التمر، العدد الأول، المجلد الأول ١٩٨٠م، ص١٢٩.
٣٦. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٦٥.
٣٧. النويري، نهاية الأرب، ١٢/٢٢٤
٣٨. القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٨٠.
٣٩. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٥٨ ـ ٥٩.

أهمية الماء والغذاء في حياة الإنسان النفسية

عبدالرحمن العيسوي

هناك تفاعل قوي ومستمر بين قوى الإنسان الجسمية وقواه العقلية والنفسية، ويظهر هذا التفاعل في شكل إيجابي، وآخر سلبي. من ذلك تأثير الحالة الجسمية في الحالة العقلية والانفعالية كما يظهر ذلك في حالات الإصابة بالإنيميا وفقر الدم وأمراض مثل البلاجرا والبربري والأسقربوط، ويظهر أيضًا في طائفة كبيرة وواسعة الانتشار في الوقت الراهن مثل الأمراض السيكوسوماتية، وهي الأمراض التي ترجع إلى أسباب نفسية كالقلق والضغوط والأزمات والصراعات والتوترات ومشاعر الفشل والإحباط، ولكن أعراضها تتخذ شكلاً جسميًا.

وإلى جانب ذلك هناك عدد من الاضطرابات التي تصيب الإنسان، وتتصل بعملية تناول الغذاء، كفقدان الشهية العصبي، والشره في تناول الطعام، وأيضًا السمنة وغيرها من الاضطرابات الناجمة عن سوء التغذية أو نقصها كمًا ونوعًا، وتلك الناجمة عن نقص بعض الفيتامينات، ولكل هذه الأمراض انعكاساتها على الحياة العقلية للمريض مما يدعو إلى ضرورة نشر الوعي النفسي (السيكولوجي) والتربوي والغذائي والتربية الصحية والبدنية وكل ما يسهم في التنمية البشرية.

أهمية الماء في صحة الإنسان

الماء يمثل عنصرًا أساسيًا في تركيب الجسم، فهو يزيد على ثلاثة أرباع وزن الجسم، وإذا قلّت نسبة الماء في الجسم بما يصل إلى ٢٠٪ من وزن الجسم؛ فإن الإنسان يموت فورًا. ويؤدي العطش الشديد إلى شعور الإنسان بالتعب والإرهاق، ويؤدي إلى صعوبات في الحركة وفي عملية التنفس، كما يؤدي إلى فقدان الرغبة في تناول الطعام، وإلى المعاناة من الهلاوس HALLU CINATIONS، وهي مدركات حسية زائفة لا وجود لها إلا في ذهن المريض، حيث «يرى» أو «يسمع» أشياء وأصواتًا لا وجود لها في عالم الحقيقة، فيرى المريض صورًا للمياه والأنهار والينابيع من دون أن تكون موجودة في الواقع(١).

أثر الماء في السلوك

وهناك علاقة مباشرة بين كمية الملح الموجودة في الجسم والرغبة في تناول الماء، فكلما قلّت كمية الملح ضعفت رغبة الإنسان في شرب الماء، بصرف النظر عن حالة الجفاف. وتناول الأطعمة حتى الرطبة منها يؤدي إلى زيادة حاجة الجسم إلى الماء. فعندما يشرب الإنسان الماء يتم توزيعه بعد فترة من الزمن على جميع أعضاء الجسم، فنقص الماء في الخلايا والأنسجة يدفع الإنسان إلى الشرب.

والماء أكثر أهمية لحياة الإنسان من الطعام، فهو يستطيع أن يبقى على قيد الحياة من دون تناول أطعمة مدة شهر كامل، ولكنه لا يستطيع أن يعيش من دون ماء مدة تزيد على ثلاثة أسابيع، ولا يستطيع الإنسان أن يتحمل نقصًا في كمية الماء في جسمه أكثر من خمس هذه الكمية. وقد ينتحر بعض الناس في حالةالحرمان من الماء فترة طويلة.ويفقد الإنسان نحو سدس من مخزون الماء في جسمه عن طريق

العـرق وبـخـار الماء الذي يـخـرج في عـملية الـزفير، ويخـرج الإنسان نحـو ربع جالون من الماء عن طريق التبول؛ وذلك للتخلص من المواد التـالفة التي تنتج من عـمليات الأيض أي التـمثيل الغذائي METABOLISM.

ويكتسب الجسـم نحو من الجـالون من الماء عن طـريق مـــا يتناولـه من الأطعـمـة. ويلجـأ الإنسان لإشـبـاع حـاجـتـه من الماء عن طريق الشـرب تلقائيًا كلما شعر بالعطش.

تفسير الشعور بالظمأ

النظرية القـائلة بأن الشعور بـالظمأ يرجع إلى جـفاف الفم ليست كافية في تفسير الشعـور بالظمأ، لأن الشعـور بالجفاف الناجم عن تعريض الإنسان لحالة عصبية شديدة، أو عن قيام الفرد بالحديث فترات طويلة أو التنفس عن طريق الـفم في أثناء القـيـام بـرياضــة شـاقـة أو الجـفـاف الناجـم عن نقص إفرازات الغدد اللعابيـة، هذا النوع من الجفاف يمكن عـلاجه ليس عن طريق شـرب المياه ولكن عن طريق قليل من عـصـيـر الليمـون، أو أكل قطعـة من المخلل الحامض التي تنشط الحركـات العصبية المنعكسة للغدد اللعابية(٢).

العوامل النفسية في أمور التغذية

تتـأثر التغـذية بالروائح والأذواق أو الطعـوم(٣). وهناك مـا يعـرف باسم الجـوع الـنوعي، بمعنـى اشـتـــيـاق الإنسان إلى نوع معين من الطعام أكثر من غيره، ربما بسبب نقص عـناصره في جسم الإنسـان فـالجسم طبيـعـيًا يطلب ما يحتاج إليه.

ويعد تناول الطعام مسألة اجتماعية وثقافيـة، فـهناك شعـوب تأكل اللحـوم والأسـمـاك، وهناك النبـاتيـون الذين لا يأكلون اللحـوم، والهـنود لا يأكلون لحم البـقــر، والمسلمــون لا يأكلـون لحم الخنزير ولا الميتـة ولا الدم ولا كل ذي مخلب، كـالقط والأسد والسبـاع، بينما يأكل بعض الشعـوب الجراد والجنادب والخنافس والضـفادع والديدان. ويأكل بعض الشـعوب لحـوم الخيـول، ويأكل الإنجليز بعض القواقع، ويحـرم بعض الأفـارقـة أكل الدجاج، ويربونه للزينة فقط. وتسـاعـد رائحة الطـعام الذكـيـة على الإقبـال على تناوله أو الابتـعـاد عنه.

ويؤدي نقـص الطعـام إلى إصــابة الفـرد بـأمـراض سـوء التـغـذية أو الأنيـميا. ومـن أعراضهـا السلوكية أو الذهنيـة الـكسل والخـمـول والبـلادة والتـراخـي، ومن ثم يعاني الـفرد من الانزواء والتـهـيـب بسـبب الضـعف والهـزال. وقد تؤثر حـالة الضـعف في خفض الروح المعنوية للفرد، والحد من آفاق نشاطه. فالطاقة والحيوية تدفعان الفـرد لاقتـحـام المواقف والإقبـال على الحـيـاة، وتمكنانه مـن السـهـر والجـد والاجـتـهـاد وبذل الجـهـد والطاقـة الجسمية والذهنية.

ويسـبب نقص الغـذاء تأخـر نمو الطفل، أو يؤخـر وصـوله إلى حـالة النضج الـعقلي والجـسـمي والنفـسي والاجتماعي، حيث يصل زملاؤه قبله، ويعـتـمـد النمـو والسلوك على كـمـيـة الغذاء التي يتناولها الفرد، ولكن يعتمد أيضًا على نوعـيـتـه وجـودته وتوافـر



الماء سرّ الحياة

الشروط الصحية والغذاء الجيد، حيث يتعين أن يكون كاملاً مشتملاً على العناصر الغذائية كافة كالبروتين والنشويات والدهون والسكريات والأملاح والمعادن والفيتامينات للمحافظة على صحة الإنسان البدنية والذهنية(٤).

ولقد وجد للبدانة والنحول والانطواء والانبساط أثرًا في شخصية الإنسان، فالشخص المنطوي يميل إلى النحافة، أما الشخص المنبسط فيميل إلى البدانة، وقديمًا ربط هيبوقراط بين أنماط الشخصية والسمات العقلية والمزاجية، ولقد دل البحث على أن الأمراض الطويلة والضعف والهزال وإدمان الخمور والمخدرات وحالات سوء التغذية الطويلة والحوادث التي تصيب جسم الإنسان وما إلى ذلك تؤدي إلى انخفاض في نسبة ذكاء الفرد.

وللغذاء أثر في بناء جسم الإنسان، وفي نموه، وفي تكوين خلاياه، ويعوضه عما فقده من طاقة وأنسجة بسبب قيام الإنسان بالحركة والنشاط والعمل.

وفي تاريخ علم النفس أرجع بعض علماء النفس من أصحاب نظرية الغرائز سلوك الإنسان إلى غريزة التماس الطعام INSTINCT، ويمثل دافع الجوع أحد الدوافع Motives الحيوية في الإنسان. ولا شك أن سلوك الفرد في حالة الجوع الشديد يختلف عنه في حالة الشبع؛ ففي حالة الجوع يقل التركيز والانتباه، وتزداد العصبية والتوتر والشد العصبي والاندفاع، أو الخمول والكسل، أو الشعور بالصداع، أو الرعشة وخصوصًا في حالة نقص الأملاح.

وفي حالة امتلاء المعدة أكثر من اللازم أيضًا يحس الإنسان بالنعاس والكسل والخمول، وقلة النشاط. والحرمان من الطعام يؤدي إلى تأخر النمو، كما يحدث ذلك في نمو العظام والأسنان. وقد يترافق انخفاض الذكاء مع سوء التغذية، أو الحرمان من الغذاء الصحي الكامل.

ولقد وجد أن أثر تحسين الوجبات الغذائية يبدأ في الظهور في النشاط وفي الذكاء بعد مضي عشرة أيام من تناول الوجبات الجيدة، ولا يظهر فورًا بعد أول وجبة. كذلك فإن هذا الأثر لا يستمر إلى غير نهاية، فبعد أسبوع من توقف الغذاء الإضافي يختفي التحسّن في الأداء.

والْتهام الطعام عند بعض الناس أكثر من اللازم، قد يكون نتيجة عملية تعويض لاشعورية، أو بسبب شعورهم بالإهمال والنبذ، أو شعورهم بالخوف والقلق، أو نتيجة لسوء معاملة الآباء لهم، فيجد الطفل في تناول الطعام نوعًا من السلوى. ولا يجدي العلاج الغذي معهم، وإنما يتم علاجهم عن طريق حل مشكلاتهم النفسية.

ولقد وجد أن مجموعة فيتامينات (ب) لها وظيفة أساسية في نشاط المخ، وفي الجهاز العصبي عامة. ونقص هذه المواد يؤدي إلى حرمان المخ من المواد التي يتغذى بها. وعندما يتحسن مستوى غذاء الفرد يعود النشاط إلى



الخوف من البدانة يصيب المراهقين بحالات نفسية سيئة

وعندما تزيد السعرات الحرارية من خلال الطعام الذي يتناوله الإنسان عن حاجة الجسم، فإن الإنسان يصاب بالسمنة، حيث تتحول تلك السعرات إلى شحوم متراكمة، كذلك فإن هناك علاقة بين نشاط الغدد والبدانة. وعندما لا يحترق الطعام في الجسم يصاب بالبدانة التي تمثل مشكلة أساسية لإنسان العصر خصوصًا بعد أن تقلص نشاطه الحركي والعضلي.

سابق عهده. والحرمان من فيتامين (ب) تظهر آثاره بعد أسبوع من بداية الحرمان في شكل الشعور بالتعب والإرهاق، والشعور بالشقاء، ويقل الشعور بالطموح مع نقص في مستوى أداء الأعمال اليومية، وخصوصًا عندما يحتاج عمل الفرد إلى الحركة.

ويؤدي نقص فيتامين (أ) إلى ضعف القدرة على التكيف البصري في أثناء الليل أي في الظلام. وكذلك يؤدي نقصه إلى حدوث أضرار في

قوقعة الأذن، ومن ثم ضعف القدرة على السمع(٥).

ولقد دلت تجارب التعلم الشرطي على الحيوانات أن تعلم استجابة جفن العين يتأثر بنقص تناول الحيوان فيتامين (ب) (٦) بالإضافة إلى أن نقص التغذية عمومًا يؤدي إلى الضعف والهزال العام.

ويؤثر هذا من دون شك في نشاط الكائن. ونقص فيتامين (ب) يؤدي إلى

ولقد أدت الزيادة الإضافية من فيتامين (ب) في غذاء مجموعة من الأطفال إلى زيادة قدرتهم البصرية وزيادة التآزر الحركي وخاصة تآزر العين مع حركة اليد(٧).

ولا شك أن النشاط الفيزيقي أو التمرينات الرياضية تقل في هذه الأيام(٨) الأمر الذي يؤدي إلى ضعف قدرة إنسان العصر على مواجهة أخطار الحياة الحديثة وأخطار



يعاني كثيرون في هذا العالم من قلة الماء والغذاء

زيادة الحساسية وسرعة إصابة الحيوان بنوبات من التشنج عند سماع الأصوات العالية والشديدة.

وفي الإنسان وجد أن نقص فيتامين (ب) يؤدي إلى زيادة القابلية للثورة والتهيج، وإلى ميله إلى الحزن والنكد، ونقص الميل إلى التعاون والمساعدة، وقد يؤدي النقص الشديد لهذا الفيتامين إلى اضطرابات عقلية، مثل البلادة والخمول والبرود والركود الذهني والاضطراب الانفعالي.

البيئة. ولا شك أن هناك كميات من الأطعمة تكفي لتحقيق التغذية السليمة لكل سكان العالم(٩).

ولكن هناك أناس يعيشون تحت وطأة الفقر والجهل والجوع، ويرجع ذلك إلى أسباب سياسية واقتصادية. فهناك مجتمعات تفيض عندها المواد الغذائية، وأخرى تعاني من العجز. ومن هنا كانت ضرورة نقل الأغذية إلى المجتمعات التي تحتاج إليها(١٠).

اللياقة والصحة

اللياقة البدنية أحد العناصر المهمة للتمتع بالصحة، والتوازن في السعرات الحرارية ضرورة لتحقيق ذلك. فيجب توفير التوازن بين مقدار ما يتناول الفرد من طعام وما يقوم به من نشاط(١١).

وترتبط الصحة بالثقافة السائدة في المجتمع أو التربية والتعليم، وتوضح ومدى انتشار الوعي الغذائي والصحي.

ويحتاج الإنسان إلى الغذاء الصحي في كل مراحل عمره، ولكنه يحتاج إلى ذلك أكثر في مراحل النمو الأولى(١٢)..

والتغذية تساعد الطفل على التمتع بالنمو السوي والصحة الجيدة، والتغذية الجيدة ضرورة لازمة في حالة التأهيل بعد إجراء الجراحات، أو بعض الأمراض الطويلة في فترة النقاهة، ولمساعدة الجسم على المقاومة، وكذلك في فترة الحمل والولادة(١٣). ويلزم للإسراع بالشفاء تقديم الأغذية والفيتامينات الإضافية، وتنظيم الوجبات الجيدة والغذاء المناسب أحد عناصر الطب الرياضي والتأهيل REHABILITATION.

ويؤثر عقل الإنسان في نشاطه الرياضي والحركي والعقلي. من ذلك أن عقل الإنسان يمنعه من الوصول إلى حالة الإرهاق التام أو المميت في أثناء الممارسات الرياضية، فيتوقف قبل أن يتوقف قلبه ويموت، ونشاط الإنسان يتوقف على ما لديه من حماسة ودافعية ورغبة في أدائه(١٤).

فالأطفال المحرومون غذائيًا يقل نشاطهم ونموهم. ولتحقيق المطالب الغذائية للفرد يتعين أن يحقق الإنسان توازنًا بين السكريات والنشويات

والبروتينات والدهون التي تحتوي على السعرات المطلوبة والأملاح والمعادن والفيتامينات(١٥).

اضطراب فقدان الشهية العصبي عند المرأة

يعد فقدان الشهية العصبي من أخطر الاضطرابات المتصلة بالطعام. وتظهر هذه الحالة لدى المراهقات بعد سن البلوغ مباشرة(١٦)، حيث يحدث انخفاض قسري شديد في وزن الفتاة المراهقة مع توقف الدورة الشهرية وحدوث اضطرابات نفسية. وعلى الرغم من أن ظهور هذا الاضطراب قليل جداً بين الذكور، إلا أنه يتخذ علامات مشابهة لما يحدث في الأنثى. ويتصل بهذا الاضطراب نوع آخر من اضطرابات الطعام هو البوليميا العصبية أيضاً BULIMIA NERVOSA- وهي الشره في تناول الطعام، ثم الاستفراغ أو القيء العمدي، نتيجة الخوف من السمنة أو البدانة.

ويرجع تاريخ اكتشاف فقدان الشهية العصبي هذا إلى عام ١٦٩٤م، حيث وصف أحد العلماء حالة المجاعة التي يعمد إليها المريض، وإن كان القدماء قد نسبوا هذه الحالة إلى الأرواح الشريرة كما هو الحال في كثير من الأمراض العقلية التي كان العلماء يعتقدون أنها ناجمة عن مس الجن، أو عن العفاريت التي كانوا يعتقدون أنها تتلبس جسم الإنسان.

وكان وليم جل WILLIAM GULL أول من أطلق في عام ١٨٧٤م مصطلح «فقدان الشهية العصبي» على هذه الحالة. وقال: إن فقدان الرغبة في تناول الطعام يرجع إلى حالة عقلية مرضية. وقال: إن المريض يعالج بتقديم الطعام له بصورة منتظمة على فترات محددة، ويفضل أن يتولى ذلك ممرضة. ومن أبرز أسباب هذه الحالة وجود اضطرابات في محيط الأسرة(١٧)، وإن كانت الحقائق العلمية حول هذا الاضطراب، تشير إلى أنه لا يرجع إلى عامل واحد محدد، وإنما يرجع إلى تضافر مجموعة من العوامل أو الأسباب المتفاعلة. وعلى سبيل المثال توجد نسبة ٦ر - ٦ر١ في كل مئة ألف

والماء أكثر أهمية لحياة الإنسان من الطعام، فهو يستطيع أن يبقى على قيد الحياة من دون تناول أطعمة مدة شهر كامل، ولكنه لا يستطيع أن يعيش من دون ماء مدة تزيد على ثلاثة أسابيع، ولا يستطيع الإنسان أن يتحمل نقصاً في كمية الماء في جسمه أكثر من خمس هذه الكمية

نسمة في بريطانيا يعانون سنوياً من هذه الحالة.

ومن أهم الأسباب، وقوع الفتاة تحت ضغط شديد للرغبة في النحافة(١٨) نتيجة تأثير الثقافة، والاتجاهات العقلية السائدة نحو تفضيل النحافة، وشكل الجسم المفضل والتقدير الجمالي في الثقافة الغربية. ويزداد انتشار فقدان الشهية العصبي بين أبناء الطبقات الاجتماعية العليا، ويؤيد هذا تأثير العوامل النفسية في نشأة هذا المرض، والمعاناة من الضغط نتيجة الترمل والبيوت المحطمة والحزن، وكذلك الأمراض الجسمية، والرغبة في تحقيق المطالب الأكاديمية في التحصيل. وهناك نظرية ترجع هذا الاضطراب إلى الجهاز الهضمي، ووجود خلل في عملية الحيض الشخصي.

وهناك آراء ترجع هذا الاضطراب إلى عوامل وراثية، أو بيولوجية وعصبية وغُدِّية من ذلك انتشارها بين الأخوات المنحدرات من أمهات كن يعانين من المرض، ومن ذلك وجود المرض بين التوائم العينية، وهي توائم ذات وراثة واحدة حيث تتكون من انشطار البويضة المخصبة في الرحم، ومن ذلك إرجاعه إلى خلل في جزء من المخ هو الهيبوثلاموس وهذا الجهاز يتحكم في سلوك تناول الطعام.

ومن الأسباب النفسية التي قررها بعض المرضى شعورهم بالذنب بعد تناول الطعام، مع شعور وجود قوي لديهم بأنهم سمان جداً.

ويؤدي سوء التغذية، من الناحية النفسية، إلى الشعور بالتعب والإرهاق والاكتئاب، وغير ذلك من الأعراض النفسية. ويصاحب ذلك الإسهال وفقدان الوزن مما يقود إلى الاضطرابات الغدية والخلل في إفراز الهرمونات.

وتدل الحالة المرضية على أن هذا المرض ينتشر بين المراهقات من سن ١٤ إلى ١٧ عاماً. ونسبة قليلة قد تصاب من النساء الأكبر سناً والمتزوجات.

وتحت تأثير سوء التغذية وقلتها، تتعرض الفتاة لنوع من الاكتئاب والأرق(١٩) ، مع العجز عن تركيز الانتباه والحساسية الشديدة للبرد. وقد يكشف تاريخها في تناول الطعام عن اكتفائها بالخضراوات والفاكهة

والجبن، وفي بعض الأيام قد لا يدخل جوفها إلا القهوة السوداء.

وفي حالات النساء المتزوجات قد يبدو الخوف من الحمل والسمنة (٢٠)من أسباب فقدان الشهية، ومن الآثار النفسية لذلك اهتمامها بالنظر إلى جزء واحد من جسمها كالبطن أو الأرجل أو الساقين أو الفخذين أو الثديين أو الوجه. كما أنها تشعر بالخجل من سمنتها، وتعاني من الاستغراق في الذات والخوف من الإخفاق الاجتماعي والخوف من أن تفقد القدرة على السيطرة على تناول الطعام، مما يجعلها تأكل بشراهة.

وقد تصاب الفتاة أو المرأة المتزوجة بالهزال الشديد. فتصبح الأيدي والأقدام زرقاء وباردة مع جفاف الجلد، وتظهر في المريضات الأكبر سنًا أعراض من الشيخوخة، إذ تنخفض ضربات القلب، كما ينخفض ضغط الدم(٢١).

فقدان الشهية العصبي بين الذكور

على الرغم من أنه لا يوجد تقديرات دقيقة لإصابة الذكور بمرض فقدان الشهية العصبي، إلا أن بعض التقديرات تقول: إنه يصيب الإناث بنحو ٢٠ مرة أكثر من الذكور. ولكن هناك تشابهًا كبيرًا في الملامح والأعراض بين الذكور والإناث. فيحدث ذلك بعد سن البلوغ، مع الخوف المرضي لبعض المراهقين من السمنة، فيتحاشون النشويات والسكريات، كي يفقدوا الوزن. والاضطراب الغددي متشابه أيضًا مع اضطراب في الهيبوثلاموس، والغدة الدرقية، والأجهزة التناسلية وفقدان القدرة والميول الجنسية مع انخفاض في معدلات ضغط الدم والتبول والهرمونات الذكرية.

وتحدد الأعراض التشخيصية فيما يلي:

- انخفاض الوزن عمدًا مع القيء العمدي أو التدريبات الزائدة.
- الخوف من السمنة خوفًا مرضيًا.
- اضطراب غدي متصل بالغدد الجنسية.

ويظهر هذا في المريض الصغير في شكل تأخر الوصول إلى البلوغ، وعدم نمو الثديين عند الإناث، وعدم ظهور الصفات الجنسية الثانوية في الذكور(٢٢) مثل نمو الشعر فوق الشارب وفوق العانة وتحت الأبط ونمو العضلات وخشونة الصوت وظهور الميول نحو أفراد الجنس الآخر.

الوقاية وسبل العلاج

- الحصول على تعاون المريض في سير العلاج وبرامجه.
- العودةإلى الوزن الطبيعي.
- استبعاد احتمال النكسة(٢٣).

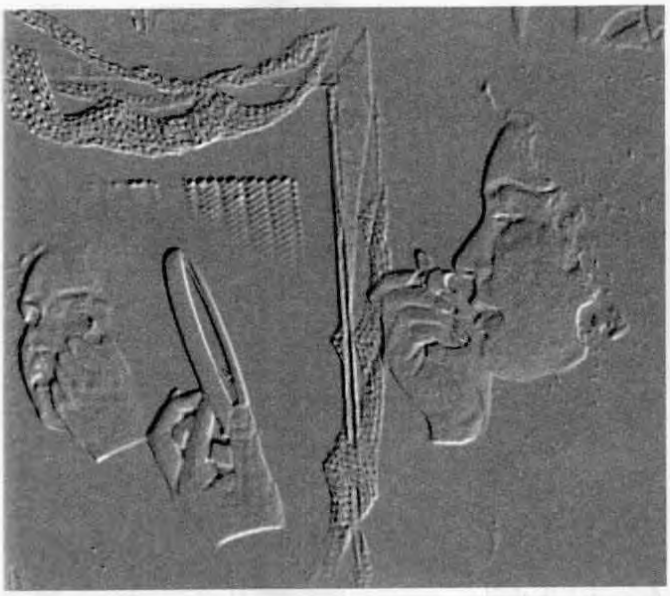
يتردد المريض دائمًا في البحث عن المساعدة الطبية، ولا يعترف أنه مريض، ويخشى أن يصبح سمينًا، إذا أوقف برامجه في تنقيص الوزن أو إذا دخل المستشفى للعلاج. وقد يعارض المريض العلاج العقلي. ولكن من الأفضل التحاق المريض بالمستشفى لتلقي العلاج المناسب. وينصح باتباع خطوات العلاج خطوة خطوة، والبداية تكمن في اكتساب ثقة المريض، وإقامة علاقة إيجابية معه وهو ما يعرف في مجرى العلاج النفسي باسم الرابطة العاطفية. وقد يستغرق ذلك ثلاث أو أربع جلسات للكشف عن حالة المريض، مع بيان التعاطف معه والاهتمام بما فقده من وزن وإقناعه بأن ثمن النحالة هذه هو الموت الأكيد، وأن المعالجة سوف تزيل تدريجيا أعراض الاكتئاب والأرق، وتزيد من فرص النجاح في الدراسة والعمل، وتعمل على تحسين علاقاته الاجتماعية بالآخرين.

المراجع:

١ـ عبدالرحمن العيسوي، علم النفس الفسيولوجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص٤١١.
٢ـ المصدر السابق، ص ٤١٣.
٣ المصدر السابق، ص١٩٦.
٤ـ المصدر السابق، ص٣٩٩.
٥ المصدر السابق، ص٤٠٤.
٦ـ عبدالرحمن العيسوي، علم النفس في المجال التربوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص١٥٦.
٧ عبدالرحمن العيسوي، علم النفس الفسيولوجي، ص٤٠٥.
8- LARSON, L.A., FOUNDATION OF PHYSCAL ACTIVITY, MACMILLAN, NEW YORK, 1976, P.179.
9- OP. CIT. P. 180.
10- OP. CIT. P. 180.
11- IBID.
12- OP. CIT. P. 210.
13- OP. CIT. P. 290.
14- OP. CIT. P. 309.
15- OP. CIT. P. 334.
16- RUSSELL, G.F.M., AND HERSOV, L.A., HANDBOOK OF PSYCHIATRY, THE NEUROSES AND PERSONALITY, CAMBRIDGE UNIV, PRESS, 1986, P.285.
١٧ـ عبدالرحمن العيسوي، علم النفس الأسري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.
18- RUSSELL, P. 286.
19- OP. CIT. P. 289.
20- IBID.
21- OP. CIT. P. 291.
٢٢ـ عبدالرحمن العيسوي، سيكولوجية نمو الإنسان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م.
23- RUSSELL, P.291.

إبداع

تقف المرايا



عبدالله سعد اللحيدان

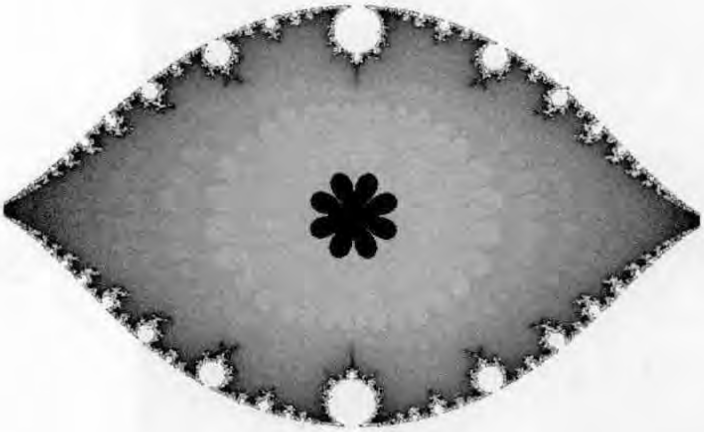
تقف المرايا
في ذهولٍ
حان وقت مرورهِنّ
ووقوفهِنّ
ومشيهِنّ
وتقول مرآةٌ لأخرى
وهي تلمح في الوجوهِ
بقيّة البسماتِ
من بسماتهِنّ
آهِ.. رأيتِ.. رأيتِهِنّ
مع السعادة في احتفالِ
ثم عُدْنَ؟
أترينَ.. هُنّ
متغيّراتٍ
بعد هذا كلّهِ
أو هُنّ هُنّ؟

ماذا بِهِنّ وأيْن كُنّ؟
كم رَاقَبَتْ
في موسم النجماتِ
نجماتٍ
وكُنّ
في باب لهفتها
ولفتتها
وكُنّ الطارقات بغنجهِنّ
كم سمّرت أشواقها في دربهِنّ
فرشت لهنّ
الضوءَ منعكسًا
رأينَ، وجوهَهنّ
في وجهها
صبحًا على صبح
وشعّت شمسها لشموسهِنّ

متبرّجات للمرايا
بالغت
في صقل مكياج الزجاج
وأسرفت
في عرض فتنتها
وألغت رشدها
من أجلهِنّ
وكَمْ
سرَقْنَ جمالها البرّاقَ
زادَ بِهِ
رصيد جمالهِنّ
الآن
تبدأ نشوة أخرى مرايًا
ساذجاتٌ
حان وقت غرورهِنّ ●

العيون الزرق

فريد قرني



تعدانني.. وتُعاوِدان خداعِي   أيُرادُ في شرَكِ الهوَى.. إيقاعي
تَتَوَدّدَانِ إليّ.. فِي مكرٍ.. به   شَغَفي.. وفي إلحاحه إقناعي
وتُغازلان القلب في حَذَرٍ به   روْحُ الشّذا.. وسلامة الإيقاع
وتذوّبان السحّر.. في خَفَرٍ له   طعْم الحليب.. ونكهة النعناع
الإسمُ ناعِستانِ.. والسّيفان في   هُدْبيهما.. قَدَرٌ يشلّ دفاعي
وكلا هما.. إمّا العيون تشابكَتْ   يُومِي.. بأمرٍ في الغرام مُطاع
وأنا الضعيف المرهفُ الحسّ الذي   عن رغبةِ العصيان.. يقْصر باعي
يا روْضتان.. وما أحبَّ مداهما   يا طيبَ مرعاهُ.. وسعْد الراعي
يا صورتان من الثّريّات التي   هي لوحةٌ في غاية الإبداع
يا نجمتان.. وما ألذّ رُؤاهما   إنْ جال عبْر ضفافهنّ شراعي
يا درّتان ومن سنَا فصّيْهما   يُهدي الهَنَا للقلب ألفَ شعاع
يا منجمان.. وكنز عمري فيهما   رُوحي تغوصُ لأجله للقاع
يا فرحتان.. وفي نَدا حضْنيهما   أملي.. وفي سعْيي إليه متاعي
يا حُزمتان من العواطف.. عطرها   وهَجٌ.. يكاد يدبّ في أضلاعي
طبْع الخيانة في العيون الزرق قا   لوا هكذا لي.. والوفاءُ طباعي
أ أقولُ إني سوف أطعِم فيئها   وجْدي.. وأطرحُ عندها أوجاعي
أ أقول يا نفسي استريحي واهنْئي   لن تُحْرَمي من بعدها.. وتُراعِي

راعية القمح

طالب عبدالرحمن همّاش



تعذّبني القرويةُ..
تتركني مثلَ حزنٍ صغيرٍ
يفكّرُ بالحبِّ في دربها
وتعودُ بغزلانها
حين تحزن ضيعتنا بالغروبْ!

***

تعذّبني القرويةُ
وهي تربّى مواويلَهَا في
المراعي
وتسرحُ بالناي
بين مروج الحفيف..
وحين يعودُ الظلامُ إلى التلّ
تهرعُ سبعُ نجوم إلى راحتيها،
فتبكي عليها!
وتأخذ نجمها إلى بيتها
في الجنوب!

***

تعذّبني القرويةُ
تحملُ جرّةَ ماءٍ
وترحلُ عند الغيابِ إلى حزنها
ما أحنَّ حفيفَ الرياح
على شَعْرِها
المتموّج
يجرحني الماء في حبّها..
والدروبُ إلى الليلِ تجرحني
بالبكاءِ
ولكنني لا أتوبْ!.

***

تعذّبني القروية
وهي تنادي على القمحِ
تأخذني من يديَّ إلى النهرِ
عمرك أصغرُ..
يكبركَ الياسمينُ بنصفِ خريفٍ
وصيف من التوتِ
يكبركَ القمحُ سنبلتينِ
وتكبرُ حزنَكَ تلك النصوبْ

***

تعذّبني القرويةُ
تنقذني من سقوطِ دموعي
على راحة النهر قبل الرحيلِ!
وتنقذني من سقوطِ وريقاتِ
حزني
أمام التماثيلِ
لا شَجْرَةُ الحورِ تبكي فراقي
إذا غبتُ،
لا مهرة في ضلوع الأصيلِ
تعذّبني القروية في ساحل
الليلِ
يا قرويةُ رفقًا بأغنيتي!
للموشّحِ جرحي
وشبّابتي للهديلْ!.
- ألا أيها المبعدُ الطفلُ!
كيفَ استحلتَ غريبًا على
صخرةِ البعدِ؟
- شرّدني طائرُ العتمةِ
المغربيِّ،
وأخّرني عن الحزن أيلولُ
شهرًا من التينِ..
أخّرني طائرُ النهرِ فصلَ نخيل

***

خذيني لأعدو وراءَ سنينيْ
من القمح حتى أقاصي
التلال..
.. لأعدو وراء الغيوم التي
نسيتني!
وأبكي على قمرٍ في الجليلْ ●

رسالة من العالم الأول

سعيد سالم

ابني العزيز باسم:
كتبت لك هذه الرسالة خصيصًا، فأنت رجل البيت في غيابي. اطلبْ من أمك أن تقرأها لك على مهل حتى تستوعبها جيدًا. لقد وصلت إلى محطة هوديكسفال بعد سفر متصل بالقطارات دام اثنتي عشرة ساعة. كان بصحبتي سالازار الفلبيني من البلاد التي يحبون فيها أكل لحم الكلاب، وكولانتهاي كوماران من سيريلانكا التي تصدر لنا الشاي، وهيليا الأنجولية التي ترى نفسها أجمل من مارلين مونرو.. فهناك يا باسم مخلوقات ذات قدرات جبارة ولكن ينقصها الثقة بالنفس، وهناك على العكس من لا يستطيعون إنجاز شيء في حياتهم ولكنهم يمتلئون ثقة وغرورًا.. وأتمنى ألا تكون من أحد الصنفين.
استقبَلَنا عجوز يقترب من السبعين على المحطة ولقد عرفت له نفسي قائلاً:
- أنا اسمي سالم وأنا متعب جدًا وأريد النوم فورًا ولو على رصيف المحطة!
لكني فوجئت بهذا العجوز يقود بنا العربة بسرعة هائلة ويتحدث بنشاط شاب في الثلاثين وحيويته، فخجلت من نفسي، دعانا إلى العشاء بمنزله. آه لو رأيت هذا المنزل يا باسم. إنه بيت خشبي يقع على بحر البلطيق شمال شرقي السويد. تحيط به حديقة جميلة.. والبيت بحديقته يقعان في غابة كثيفة من الشجر الكبير الذي تزيد أعمار بعضه على مئة عام.
إنك ترى يا باسم أن الشجر يعيش أحيانًا أكثر مما يعيش الإنسان، ولابد أن تفكر في ذلك ما دمت باقيًا على قيد الحياة، فهذا سيفيدك كثيرًا، إذ يجعلك تحجم عن أعمال وتقدم على أخرى دون أن نقدم على ذلك.
قال لنا «لارش» إنه يعيش بقلب صناعي وقالت لنا زوجته رقيقة المشاعر إنهما نباتيان لا يأكلان اللحوم، ولما سألتها عن السبب قالت:
- لقد قرأت يومًا في إحدى الصحف أن هناك آلافًا من البشر يموتون في إفريقية لنقص الغذاء، فأردت أن أوفر لهم أنا وزوجي ما نمتنع عنه من اللحم، ولو فعل مثلنا كثيرون لكان ذلك شيئًا رائعًا.
في العشاء قدمت لنا طبقًا من حساء الخضروات المغلية ذكرني بالملوخية، ولكن شتان ما بين الطعمين. إن أمك تأكل الملوخية فتنام، أما هذه العجوز فما زالت تمارس رياضة الانزلاق على الجليد.

لا أخـفـي عليك يا بـاسم أن المنـظر هنـا في الليل مخيف، تتجسد فيه وحدة هذين العجوزين في ذلك الصقيع المظلم والجمال الوحشي العابس. أما في النهـار فكانت النوارس تملأ المكان ضـجـيـجـا وصـيـاحًا بينمـا كـان لارش يحدثنا عن حـرية المواطن الســويدي وعن انصـيــاع الحكومــة لرغـبـاته.. فلقـد أرادت الحكومـة رش سـائل كـيمـاوي على جـانبي السكة الحـديدية لاقـتـلاع الحشائش المحيطة بقضبان القطار.. ولأن الناس هنا أعداء حقيقيون لتلوث البيئة بأي صورة من الصـور، فإنهم تجـمعـوا في طريق القطار الذي سيقوم بالرش، مما اضطر السائق إلى التوقف وألغت الحكومة القرار وأرسلوا بعمال لإنجاز هذا العمل بشكل آخر.

كما أرادت الحكومـة يومًا أن تلغي أسماء القرى المتناثرة وتطلق اسمًا واحدًا على المنطقة التي تجـمع هذه القـرى فـرفض الأهالي وامـتـثلت الحكومة رغبتهم.

لقد كنت في الثانية من عمرك يا باسم حين قررت السلطات إنشاء مدرسة في مواجـهة بيتنا.. تلك المدرسة التي تراها الآن ملاصقة لنوافذ غرفنا.. ولقـد بذلت المسـتـحيل أنا والجـيـران وقـابلنا المسؤولين مطالبين بأن يتـركـوا لنا مـسـافـة للتنفس بين المدرسة والبيت فلم يعبأ بنا أحد.

إني أدعـوك لتكرار المحـاولة يا باسم فـأنت الآن رجل في العـاشـرة. أرسل خطابا بخط يدك إلى محـافظ المدينة واطلب منه ألا يكرر هذا الخطأ في مكان آخر.

لقـد خطرت ببـالي فكرة لتـبـديد صـمت الليل الموحش في ذلك المكان النائي الرهيب. قلت لهم سـأغني أغنيـة مصـرية وجعلتـهم يرددون عليّ كالكورس:



« سوا سوا يلا سوا.. نعيش على النور والهوا»

وكان جميلاً أن يردد ورائي هذه الألفاظ العربية أجناس أربعة بلكنات أربع مختلفة وهم فرحين مبتـهـجين وكـأنما دبت الروح فيهم بعد صمت كـالموت. ثم غنى كومـاران أغنيـة سيريلانكيـة وصرنا نردد من خلفه:

ـ دينجرى.. دينجرى.. دينجاليه

كانت ضحكاتنا تجلجل في سماء البلطيق منتصرة على الموت والحـيـاة، مـوحـدة بين الأجناس واللغات والطبقات في تناغم لا حدّ لروعته.

لقد انتابني إحساس مبهم لن تدرك الآن مغزاه يا باسم، فصرت أردد مع نفسي لفظ الجلالة عديدًا من المرات.. بينمـا كـان الجـمـيع يعتـقـدون أنني غارق مثلهم في الضحك.

طفل بائس

دينو بوتزاتي   ترجمة: أحمد عثمان

اصطحبت السيدة كلارا - كالعادة - طفلها ذا السنوات الخمس إلى الحديقة العامة على ضفة البحيرة. كانت الساعة حوالي الثالثة. لم يكن الفصل سيئًا ولا جميلاً، والشمس تمارس لعبة التخبئة، والرياح تصفر من فينة لأخرى، قادمة من البحيرة.

لا نستطيع أن ننبس ببنت شفة عن هذا الطفل الجميل، على العكس، في الغالب، يدعو للرثاء، نحيف، منحرف المزاج، شاحب البشرة، شبه أخضر اللون، إلى حد أن رفاقه في اللعب لكي يسخروا منه، أطلقوا عليه.. خسًا. لكن سعادة الأطفال ذوي البشرة الشاحبة لديهم أعين سوداء تضيء وجوههم المفتقرة إلى الدم وتعطيهم انطباعًا مؤثرًا. هذه ليست حالة دولفي، فله عينان لا معنى لهما ينظران إليك دون ملمح شخصي.

هذا اليوم، كان مع الطفل المسمى خسًا بندقية جديدة تطلق طلقات صغيرة، غير ضارة بالتأكيد، غير أنها بندقية على أي حال! لم يشأ أن يلعب مع الأطفال الآخرين إذ إنهم يثيرون قلقه، ومن ثم فضل البقاء وحيدًا في ركنه من دون أن يشاركهم اللعب. والحيوانات التي تجهل عذاب الوحدة ملزمة باللعب وحيدة، لكن الإنسان على العكس، لا يصل إليه وإذا جريه يحيط به كرب كبير. مع ذلك حينما يمر الآخرون أمامه، يرفع دولفي بندقيته، ويتظاهر بإطلاق رصاصاتها، لكن من دون بغضاء، هذه دعوة كأنه يود القول: «انتبهوا، انظروا، أنا أيضًا اليوم أمتلك بندقية لماذا لا تطلبون مني اللعب معكم؟». لاحظ الأطفال الآخرون المنتشرون في الممشى بندقية دولفي الجديدة. إنها لعبة بأربعة سنتيمات غير أنها جديدة ومختلفة عن لعبهم وهذا يكفي لإيقاظ فضولهم وغيرتهم. قال أحدهم:

« هيه! أنتم! هل رأيتم خسًا وبندقيته التي يلعب بها اليوم؟»

فقال آخر: « لقد أحضر خسٌّ بندقيته فقط لكيْ نراها وليغيظنا لكنه لن يلعب معنا. وزد على ذلك أنه لا يعرف حتى اللعب بمفرده. الخس تافه. ثم بندقيته رديئة!»

فقال ثالث: «لن يلعب معنا لأنه يخاف منا».

فقال من تحدث مسبقًا: «.. ربما، ولكنه لا يمنع من كونه مقززًا!»

كانت السيدة كلارا جالسة على المقعد، منشغلة بالتطريز، والشمس تحيطها بهالة من الضوء. طفلها جالس بغباوة إلى جانبها، لا يجسر على المجازفة باللعب بمدفعه في الممشى، وقد أخذ يداعبه برعونة. كانت الساعة الثالثة وأعداد كثيرة من العصافير المجهولة تثير ضجة لا مثيل لها في الأشجار، ربما تشير إلى قرب الغروب.

«هيا، العب يا دولفي، تشجعه السيدة كلارا من دون أن ترفع عينيها عن عملها.

«مع من ألعب؟»

«مع الأطفال الصغار، هيا! أنتم جميعًا أصدقاء، أليس كذلك؟».

«- لا، لسنا أصدقاء. حينما ألعب معهم يسخرون مني».

«تقول هذا لأنهم يسمونك خساً؟»
« لا أريد أن يسموني خساً».
« مع ذلك أراه اسماً جميلاً. لو كنت في حالتك، لا أتضايق». لكنه قال بعناد:
« لا أريد أن يسموني خساً!»
دائماً واليوم، يلعب الأطفال لعبة الحرب. ذات مرة، حاول دولفي أن ينضم إليهم، إلا أنهم أسموه خساً وراحوا يضحكون. كانوا جميعاً بيض البشرة، وهو على العكس أسمر بخصلة قصيرة تسقط على الجبهة كأنها فاصلة، للآخرين سيقان ممتلئة، وهو على العكس عصاتان نحيفتان ودقيقتان. الآخرون يركضون ويقفزون كالأرانب، أما هو، فلا ينجح في مجاراتهم بالرغم من إرادته القوية. يمتلكون المدافع، والسيوف والمقالع والأقواس والخوذات. حتى ابن المهندس فيس يمتلك درعاً لامعاً كدروع الخيالة.ويعرف الآخرون من العمر نفسه كمية هائلة من الكلمات الجارية ولا يجسرون على ترديدها. كانوا أقوياء، وكان ضعيفاً.



لكنه، هذه المرة، جاء بمدفعه بعد أن اتفقوا، اقترب الأطفال منه، فقال ماكس، ابن المهندس فيس: «أرني.. معك بندقية جميلة».
تركه دولفي يتفحصها من دون أن يتركها.
قال ماكس بروح الخبير: «لا بأس بها».
كان يتقلد مسدساً خفيفاً من النوع الذي يعمل بالهواء المضغوط أغلى عشرين مرة من البندقية. وكان دولفي سعيداً بتملقه.
قال فالتر وهو يضم الأجفان بعجرفة:«بهذه البندقية، تستطيع أنت أيضاً أن تدير حرباً»، .

قال ثالث:«نعم، بهذه البندقية، من الممكن أن تكون قائداً».
يتطلع دولفي إليهم مندهشاً. لم ينادوه بعد خساً، فأخذ يتشجع.
حينذاك شرحوا له كيف سيدبرون حرباً. هناك جيش الجنرال ماكس الذي يحتل الجبل، وكذا جيش الجنرال فالتر الذي يدافع عن الممر. في الواقع، كانت الجبال عبارة عن منحدرين معشبين مغطيين بالأشجار، والممر ممشى منحدر. عين دولفي في جيش فالتر برتبة كابتن. ثم انفصل التشكيلان، كل تشكيل اتجه كي يعد سراً خططه الحربية لأول مرة، يعامل الصبية الآخرون دولفي باحترام. عهد فالتر إليه بمهمة ذات مسؤولية كبيرة: يقود الطليعة. اعطوه طفلين ماكرين مسلحين بمقلاعين وأرسلوهم إلى مقدمة الجيش، مع أمر باستطلاع الممر.
ابتسم فالتر والآخرون له بطيبة، بطريقة زائدة عن الحد.
هكذا اتجه دولفي نحو الممشى الصغير المنحدر. من الناحيتين، ضفتان معشبتان بأشجارهما. من الواضح أن الأعداء بقيادة ماكس، كانوا مختفين خلف الأشجار.
«هيه! يا كابتن دولفي، ارحل فوراً إلى المعركة، الآخرون لم يصلوا بعد، أمر فالتر بحميمية. حينما تصل إلى أسفل، سنهرع ونهاجمهم. أنت؛ اجر، اجر بأقصى ما تستطيع، لا تقف ألبتة...»
التفت دولفي لكي ينظر إليه. لاحظ إن لفالتر ورفاقه في السلاح بسمة غريبة. أصابته لحظة تردد، فسأل «ماذا هناك؟».
فأمره الجنرال:«هيا، كابتن، إلى المعركة.».
في اللحظة نفسها، من الناحية المحتجبة المقابلة للبحيرة،

أطلق بوق عسكري، واخترق صوته المتقطع المؤثر كماء الحياة قلب دولفي الذي يضم بندقيته الصغيرة بفخر، شاعراً بالمجد يناديه.

نادى: «إلى المعركة يا صغار!»، كأنه لم يتشجع من قبل وفي ظروف عادية. ركض في المنحدر الصغير. وفي اللحظة نفسها، انطلقت ضحكة خبيثة خلفه. غير أنه لم يجد الوقت الكافي للالتفات. كان مندفعًا، وفجأة شعر بقدمه محتجزة. وعلى بعد عشرة سنتيمترات، وقع في شرك. تمدد بطوله أرضًا، واصطدمت أنفه بها. أفلتت البندقية من يديه. واختلطت ضحكات وضربات بأصداء البوق. حاول النهوض، لكن الأعداء خرجوا من وراء الأشجار وأمطروه بوابل من كرات الطين الهائلة المعجونة بالمياه. إحدى قذائفهم أصابته في أذنه مما جعله يتعثر من جديد. حينذاك، قفزوا جميعًا عليه. حتى فالتر، جنراله، ورفاق سلاحه!

«ـ خذ خذ، كابتن خس».

أخيرًا، شعر بهروب الآخرين، والصوت البطولي للبوق تلاشى من وراء البحيرة. مزعزعًا بنحيب يائس، أنشأ يبحث حوله عن بندقيته. التقطها. لم تكن سوى قطعة من الحديد الملوي. أحدهم أسقط البندقية، ولن تفيد بعد ذاك في شيء. دلف إلى أمه في المشى بهذه البقية المؤلمة في اليد، والدم السائل من الأنف، والركبتين الجريحتين، مغطى بالطين من الرأس إلى القدمين.

« ـ ياإلهي! دولفي، ماذا فعلت؟»

لم تقل ماذا فعل الآخرون بل ماذا فعلت. غيظ فطري لمدبرة منزل رأت ثوبًا ضائعًا. لكن هناك أيضًا توبيخ الأم: أي إنسان بائس سيصبح هذا الولد التعس؟ أي مصير ينتظره؟ لماذا لم تنجب، هي الأخرى، في العالم أحد هؤلاء الأطفال الأقوياء الذين يجرون في الحديقة؟ لماذا يظل دولفي ضعيفًا؟ لماذا هو شاحب دائمًا؟ لماذا كان دولفي غير جذاب كالآخرين؟ لم لا تجرى الدماء في عروقه؟ ويقوده الآخرون، يقودونه من أنفه؟ أخذت تتخيل ابنها في سن الخامسة عشرة، العشرين. أحبت رؤيته مرتديًا بزة كاملة، على رأس سرية فرسان، أو مالك متجر كبير، أو ضابطًا كبيرًا، لكنه لن يتحقق. تراه دائمًا جالسًا ماسكًا قلمًا بيده، وأوراقًا مكدسة أمامه، منحنيًا على مقعد المدرسة، منحنيًا على طاولة المنزل، منحنيًا على مكتب دراسي مغبر. بيروقراطي صغير، تافه شاحب، بائس، مهزوم من الحياة.

قالت امرأة أنيقة في شفقة متحدثة إلى السيدة كلارا: «أووه! بائس صغيرًا!»

وهي تهز الرأس، داعبت وجه دولفي الشاحب.

رفع الطفل عينيه متعرفًا إليها، محاولاً الابتسام، ولكن شيئًا من الضوء، سطع للحظة على وجهه الشاحب. هناك وحدة محزنة للطفل الضعيف، البريء، المهان، دون دفاع، رغبة يائسة لضرب من المواساة، إحساس خالص، أليم وجميل بحيث يصعب تعريفه في لحظة ـ وهذه هي المرة الأخيرة ـ أصبح صبيًا لطيفًا، رقيقًا وتعيسًا، لا يفهم شيئًا ولا يسأل العالم المحيط به قليلاً من الطيبة.

لكن هذا لم يستمر إلا للحظة.

« ـ هيا دولفي، تعال لتبدل ملابسك» صاحت الأم بغضب وسحبته بقوة إلى المنزل.

حينذاك، أنشأ الطفل ينتحب بقلب مفتت، ووجهه أصبح قبيحًا، وكست تكشيرة قاسية فمه.

قالت المرأة الأخرى متعجبة وهي تتركهما: «أووه! هؤلاء الأطفال! أي الحكايات يبتكرونها للاشيء! هيا، إلى اللقاء، يا سيدة **هتلر**!!».

هوامش:

* DINO BUTZZATI, LE K, ED. LAFFONT, 1994, PARIS.

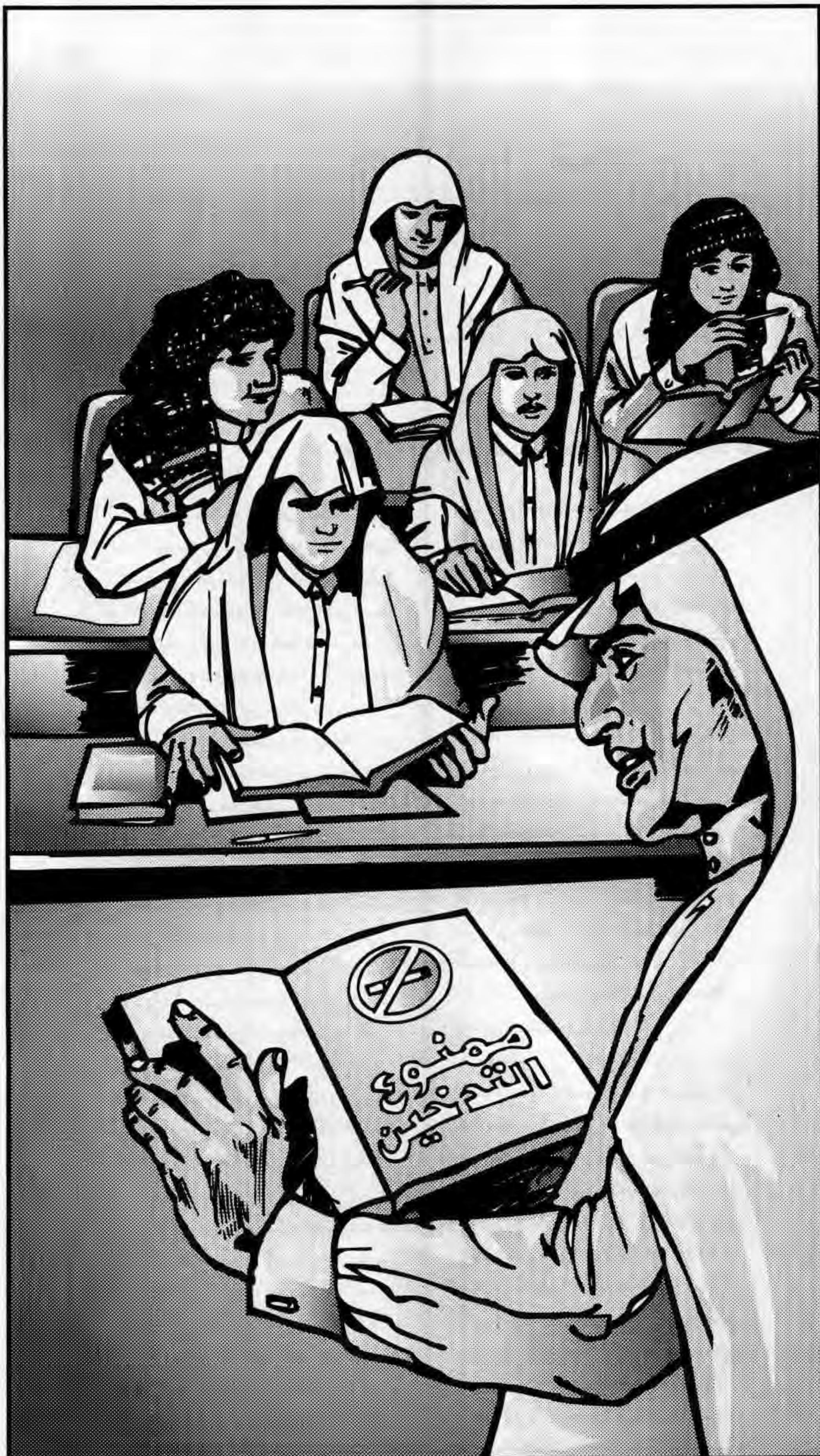
* دينو بوتزاتي.. روائي وقاص إيطالي شهير. ولد في عام ١٩٠٦م وتوفي بميلانو في عام ١٩٧٢ م.عمل في بداية حياته العملية صحفيًا ومراسلاً حربيًا لصحيفة «رسالة المساء» الإيطالية.

كان متأثرًا بكافكا، اتجه نحو الأدب. وحازت روايته الشهيرة: «صحراء التتار» في عام١٩٤٠م على نجاحات عالمية غير مسبوقة لكاتب إيطالي، وكذا مجموعته: «LE K» التي تحتوي على أشهر قصصه، وقد أثارت العديد من الكتابات النقدية حولها.

من نتاجه الروائي: «برنابو الجبال ـ سربوسكو» و«صور الحجارة، و«حب».

ومن نتاجه القصصي: «المبعوثون السبع»، و«الليالي الصعبة»، و«حلم الدرج»، و«غرائب على الطريقة الإيطالية».

سابك
sabic



عزيزي المدرس..

أنت المثل الأعلى.

هل تعلم أن المدارس التي يكثر بها عدد المدرسين المدخنين يكثر بها أيضاً عدد المدخنين من الطلاّب؟

عام
المملكة العربية السعودية
K.S.A. 100 YEARS
توحيد وبناء

قوة العطاء

الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان:
عمارةً وتاريخاً

عبيدالله بن محمد أمين كردي		مراجعة: عبدالله المنيف

صدر في مناسبة احتفال المملكة العربية السعودية بمرور مئة عام على تأسيسها كتاب يوثق عمارة الحرمين الشريفين، أظهر فيه كاتبه إلمامه بموضوع كتابه الذي قسمه أربعة أبواب، تتصدرها كلمة مجموعة ابن لادن السعودية بعنوان «هدية التاريخ»، وكانت تهنئة بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، وتناولت دور مؤسسها الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وأبنائه البررة سعود وفيصل وخالد رحمهم الله، ثم دور خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله ورعاه.

يبدأ الكتاب بكلمات منتقاة لخادم الحرمين الشريفين يظهر فيها مدى اعتزازه - حفظه الله - بعمارة الحرمين الشريفين والعناية بهما. ثم أتت بعد ذلك كلمة المهندس بكر بن محمد بن لادن، وتلتها كلمة المستشار في المجموعة خلف أحمد عاشور، ثم كلمة المهندس يحيى بن لادن، ويأتي بعد هذا المقدمة التي كتبها مؤلف الكتاب، وقد ذكر فيها أسباب هذا العمل ومنهجه فيه.

توطئة تاريخية

بدأ الكتاب بالباب الأول، وهو توطئة في عشر صفحات تناولت تاريخ الجزيرة العربية والبعثة النبوية، وما تلاها من أحداث حتى دخول الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الرياض، وبداية تأسيس المملكة العربية السعودية. كما تناولت هذه التوطئة ضم الحجاز بما فيه من أماكن مقدسة، ثم تحدث المؤلف عن المملكة العربية السعودية من حيث الموقع والملامح الجغرافية والشعار الذي يميزها وسياستها الخارجية.

الكعبة المشرفة: عمارتها وتاريخها

وأما الباب الثاني فكان بعنوان «الكعبة المشرفة عمارة وتاريخاً» واشتمل على خمسة فصول، الفصل الأول وقد قسم أربعة محاور:

الأول «الكعبة المشرفة شعراً ونثراً وتصوراً روحياً» أورد فيه المؤلف أبياتاً شعرية لمحمد إقبال، وقطعة أدبية لأحمد شوقي منقولة من كتابه «أسواق الذهب».

الثاني: «مكان الكعبة من الكرة الأرضية» ذكر فيه أن البقعة المباركة هي التي بني عليها البيت العتيق، وأن مكان الكعبة هو مركز الأرض.

الثالث: «فضل الكعبة المشرفة»، ذكر فيه المؤلف شيئاً من فضائلها.

الفصل الثاني: «المسرد التاريخي للكعبة المشرفة» وقد اشتمل هذا الفصل على معلومات وافية. عرف فيه المؤلف بالمعنى المقصود من «المسرد التاريخي»، ثم ذكر أول مسارده وهو بناء الكعبة المشرفة، تناول فيه تاريخ بنائها وتجديدها من بدايتها حتى عهد خادم الحرمين الشريفين، ثم مسرد أوليات الكعبة، وضم هذا المسرد الأوائل التي اختصت بها الكعبة، فهي أول أساس خلقه الله تعالى للأرض، وأول بيت وضع للناس، وأول ما حرم الله من البقاع... إلخ.

ثم اتبع ذلك بمسرد خاص بملحقات الكعبة وعناصرها مثل أركان الكعبة، وروازنها - وهي المناور التي تدخل الضوء إليها - ثم ميزاب الكعبة وملتزماتها، ثم المستجار والحطيم والحجر الأسود... إلخ. ثم أورد مسرداً خاصاً ببعض اللطائف والطرائف عن الكعبة المشرفة. كما أورد مسارد متعددة عن معاليق الكعبة وحليتها وسدانتها، وطيبها وكسوتها، ثم ختم هذه المسارد بذكر بعض الحوادث عن الكعبة المشرفة.

الفصل الثالث: تحدث فيه عن عمارة الكعبة المشرفة، فبدأ بالحديث عمن بنى الكعبة من الملائكة، ثم آدم وشيث وإبراهيم



الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان:
عمارةً وتاريخاً
عبيدالله بن محمد أمين كردي
الرياض، مجموعة بن لادن السعودية

وإسماعيل عليهم السلام حتى وصل إلى ترميم سطح الكعبة في عهد الملك سعود رحمه الله.

الفصل الرابع: وهو بعنوان «وصف الكعبة المشرفة الحالي قبل الترميم الفهدي الشامل لها» وهو قسمان:

أولاً: الوصف الخارجي للكعبة المشرفة تحدث فيه عن أبعادها ومادة بنائها وبابها، ثم الحجر الأسود والركن اليماني وميزاب الكعبة وكسوتها الداخلية والخارجية وأصل صناعتها.

ثانيًا: صفة الكعبة المشرفة من داخلها، وهو وصف دقيق لا يتهيأ إلا لمن عاين الكعبة، وقد ساعدته في ذلك الشركة المنفذة للترميم، فوصف لنا أرض الكعبة وجدرانها، والأحجار الرخامية المنقوش عليها داخل الكعبة وعددها عشرة نقوش، أولها باسم أبي جعفر المنصور المنتصر بالله ومؤرخ في عام ٦٢٩هـ وآخرها ما قام به خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ،حفظه الله.

الفصل الخامس: وعنوانه «الترميم الشامل والكامل للكعبة المشرفة الذي أجراه الله نعمة سابغة على يد خادم الحرمين الشريفين»، ويعد هذا الترميم أشمل ترميم تم للكعبة المشرفة، بدأ المؤلف هذا الفصل بترميم الجدران الخارجية للكعبة، ثم ذكر الخطوات التي تمت داخل الكعبة، فتحدث عن معالجة التآكل في قاعدة الأعمدة وكذلك التآكل في العوارض الخشبية، كما ذكر الخطوات التي تمت في ترميم سقف الكعبة ووضع خشب جديد له من نوع يعرف بـ «التيك» تم جلبه من بورما، وتحدث عن مكان جديد أحدث للحاجة ويعرف بمصطبة الحراسة، وهي بجانب الحجر الأسود ذات تكييف سفلي مرتفعة بجدار من الرخام يرقى عليها جندي الحراسة لتنظيم تقبيل الحجر الأسود.

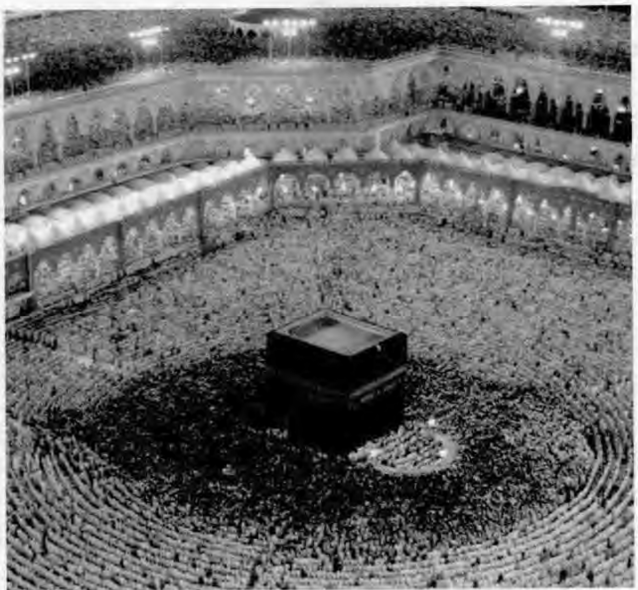
المسجد الحرام ومسارد تاريخية

وأما الباب الثالث فقد قسم خمسة فصول:

الفصل الأول: وتحدث فيه المؤلف عن المقصود بالمسجد الحرام وحدوده، وأورد الآيات التي ذكر فيها المسجد الحرام، ثم ذكر أبياتًا للبطليوسي يخاطب فيها مكة المكرمة، وعرض بعد ذلك لموقع مكة المكرمة وبعض سماتها الجغرافية مثل التضاريس والمناخ والرياح. ويلي ذلك فضل مكة المكرمة وأسماؤها.

الفصل الثاني: ضم ستة مسارد منها مسرد تاريخي لبئر زمزم ومقام إبراهيم والمسعى..

الفصل الثالث: بعنوان «موجز توسعة وعمارة المسجد الحرام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نهاية التوسعة السعودية الأولى ١٣٩٦هـ»..



توسعة خادم الحرمين الشريفين للحرم تعد الأكبر على مر التاريخ

الفصل الرابع: وهو عن توسعة خادم الحرمين الشريفين، وهي تعد أكبر توسعة شهدها المسجد الحرام، وقد أسهب المؤلف في هذا الفصل وتحدث عن خصائص هذه التوسعة المعمارية والإنشائية وعن الصعوبات التي واجهتها هذه المؤسسة وما شملته من سلالم متحركة، وساحة للصلاة، ومواقف للسيارات ومآذن وقباب ونظام التكييف المستخدم في الحرم.

الباب الرابع: وقد خصصه المؤلف للحديث عن المسجد النبوي الشريف عمارة وتاريخًا، وقد قسم هذا الباب ثلاثة فصول نهج فيها المنهج نفسه في الأبواب الخاصة بمكة المكرمة والحرم الشريف، فتحدث في الفصل الأول عن المدينة المنورة شعرًا ونثرًا وعن نشأتها، وأعقبه بالحديث عن الموقع وبعض السمات الجغرافية وأسماء المدينة المنورة، ثم فضل المدينة وأهلها وحرمتهم وحرم المدينة وحدوده.

المسجد النبوي وتاريخه

أما الفصل الثاني فتحدث فيه عن المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ حتى بداية توسعة خادم الحرمين الشريفين، وذكر في الفصل الثالث توسعة خادم الحرمين الشريفين الكبرى والخصائص المشتركة في توسعة الحرمين الشريفين، وفي ختام الكتاب أورد المؤلف نماذج من خطوط رؤساء الدول في العالم الإسلامي وغيرهم ذكروا فيها انطباعاتهم، ثم ختم المؤلف كتابه بثبت المصادر والمراجع، مع ما حفل به من صور نادرة للحرمين الشريفين في مراحلها المختلفة أكسبت الكتاب جمالاً إلى جماله.

لغز الماء في الأندلس

شريف عبدالرحمن جاه - مرجريتا لوبيث جوفيث

مراجعة: **نادية جمال الدين محمد**

يأتي هذا الكتاب في وقت عصيب تجد البشرية فيه نفسها مهددة بنقصان حاد في الماء عصب الحياة في الأرض. ولما كانت المنظمات المختلفة المدافعة عن البيئة تبذل جهودها للتوعية بأهمية هذا المورد الطبيعي المهم، جاء هذا الكتاب ليضيف مساهمة جديدة في هذا الموضوع، وإذا كانت الجهود السابقة تغزو عقولنا في حملتها، فإن هذا المؤلف الذي نعرضه يغزو وجداننا، ويحترم تفكيرنا في آن واحد عن طريق التوعية - بشكل غير مباشر - بأهمية الماء، بإعطائنا النموذج الأكثر نقاءً للتعامل مع الماء، أملاً في أن نحتذيه. فهو يقوم بتقويم ثقافة ما عبر تقويمه لعلاقتها بالماء، ويشير إلى أن الثقافة المائية، شأنها شأن كل العوامل الثقافية، تتوارث وتنتقل من شعوب إلى أخرى، وأنها ليست حكرًا على شعب بعينه. ولهذا فهو يعود بنا إلى تاريخ أجدادنا في الأندلس لنرى كيف كان تقديرهم للماء مبرزًا القيم الروحية والجمالية والوجدانية لاستخدام الماء لدى مسلمي الأندلس، وهي أهم ما تتميز به الثقافة الإسلامية من غيرها من الثقافات. وحقيقة أن العرب لدى قدومهم إلى شبه الجزيرة الأيبيرية قد وجدوا ثقافة مائية رومانية سابقة على وجودهم كان لها أثرها الهائل والعظيم، إلا أنها كانت تعكس شكلاً نفعياً بحتاً يختلف عن الثقافة اللاحقة الإسبانية العربية. فعلى الرغم من اختلاف الأصول العربية وتعددها ومحاولتها تطبيق نظم الري الخاصة ببلدهم الأصل في شبه الجزيرة الأيبيرية (نجد أنه في بلنسية وإشبيليا ونبيلا وغرناطة قد طبقت نظم ري سورية الأصل، وفي مرسية مصرية، وفي قرطبة مكية، وفي سرقسطة والتشيه ونبيلدا يمنية...إلخ) إلا أن هذه الأصول قد أجمعت على تحديد الطابع المقدس للماء بوصفه هبة إلهية وأساساً للحياة، وشراب الحكمة. وكان هذا الشعور يرتبط لديهم بكل استخداماته للوفاء بالفروض الدينية (الوضوء والطهارة) وللشرب... إلخ. كما أن للماء منظوراً جماليا بحتًا لدى مسلمي الأندلس، فقد كان انعكاسه وخريره يدخلان في النفس السكينة والراحة. والماء يمثل أيضاً عنصراً معمارياً مهمًا ومكملاً للمناظر الطبيعية. وإذا كانت تلك القيم قد فقدت قوتها في مجتمعنا الحالي أمام القيم الاقتصادية والاستهلاكية النفعية بشكل خاص، فإن هذا الكتاب يحاول بعثها من جديد عبر إعادة تقويم الثقافة الإسلامية في الأندلس من خلال علاقتها بالماء. إن الكم والكيف عنصران لا يمكن إغفالهما بالنسبة إلى الماء. ولعل استدعاء الماضي في الذاكرة لنرى كيف كان أسلافنا يقدرون الماء ويحافظون عليه، يمكن أن يكون أمراً إيجابيًا لمضاعفة تقديرنا لهذا المورد الطبيعي الذي لا يحظى باهتمام كبير اليوم، والذي قد يؤدي تدهوره المستمر إلى نتائج لا تحمد عقباها بالنسبة إلى حياة الإنسان على كوكبنا.

يقع الكتاب في نحو ٢٢٦ صفحة من القطع الكبير، وقد زود بصور لمناظر طبيعية رائعة تدعم النص. وجاء في عشرة فصول عناوينها: بعد آثار الإمبراطورية - الماء المقدس - مياه خفية وآليات سحرية - الوظيفة الاجتماعية للماء - جمالية البعد الرابع - المجاري المائية والقنوات في البانوراما الأندلسية - توزيع الماء والتقنيات المتعددة - الأسماء المتعلقة بالماء - الماء في التقليد الزراعي الأندلسي - الفردوس المفقود في الأندلس.



شريف عبدالرحمن جاه -

مرجريتا لوبيث جوفيث

مدريد - معهد التعاون مع العالم العربي، ٢٢٦ص.

بعد آثار الإمبراطورية

يبدأ هذا الفصل باستعراض الأساطير القديمة التي نسجت حول الماء كأصل الكون ثم تاريخ إسبانيا أو هيسبانيا، كما أطلق عليها الرومان عند غزوها في القرن الثالث قبل الميلاد، والمدن والمنشآت التي أقاموها دعماً للإمبراطورية، وحاجتها إلى الماء الوافر، ليس لاستهلاكه فقط، وإنما أيضاً للحمامات العامة التي كان نبلاؤهم لا يستغنون عنها، وللنوافير التي كانت تزين المدن المهمة في الإمبراطورية والمقاطعات، ثم أهم المنشآت المائية التي أقامها الرومان مثل القنوات والسدود.. إلخ، ثم تنتقل بنا الصفحات إلى أرض الميعاد (الأندلس)

بالنسبة إلى العرب، والروايات والأحاديث التي سبقت ومهدت لدخولهم تحت شعار «البحث عن العلم ولو في الصين».

فقد قدم المسلمون من الساحل المقابل لإسبانيا (المغرب) لكن منبتهم كان أبعد: مكة. فقد اجتازوا الصحراء العربية الجدباء عبر انتشار مدهش، واستوطنوا في سورية والعراق وفي بقاع أخرى. وفي سورية استطاعوا الاتصال بالجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية (بيزنطة) التي كانت قد أفل نجمها، بينما اتجهوا، عن طريق العراق إلى الإمبراطورية الفارسية حيث تعلموا تقنيات الري السطحي والجوفي، تملؤهم الرغبة في امتلاك هذا السائل الثمين جداً بالنسبة إليهم وإدارته.

وهكذا حمل المهندسون المسلمون معهم خبرة تعلموها في سورية والعراق، واستطاعوا أن يدخلوا تعديلات وتطويرات على قواعد المنشآت الرومانية التي وجدوها في الأندلس والخاصة برفع المياه. ويذكر هذا الفصل أن غزو شبه الجزيرة الأيبيرية كان مؤسساً على السيطرة على مصادر المياه، وأنه خلال سنوات ثلاث من قدوم المسلمين من جنوب البلاد كانت قد تمت السيطرة على كل البلاد تقريباً، وكان تقدم قواتهم نحو الشمال يتم دائماً بمحاذاة ضفاف الأنهار لضمان إمداد قوتهم وخيولهم بالماء. وهكذا استطاعوا الانطلاق بسرعة في كل أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية. وقد أولى الجغرافيون العرب اهتماماً كبيراً بوصف أنهار الأندلس التي كانت بلا شك أكثر تدفقاً من اليوم. وينتهي الفصل بالقول بأن العرب استأثروا بالوادي وبالسهول الخصبة للأنهار، بينما استقر البربر في المناطق الجبلية التي لم يجدوا صعوبة في التكيف معها لقدومهم من بيئة مشابهة.



الماء والخضرة والجمال المعماري سمة المدن الأندلسية

الماء المقدس

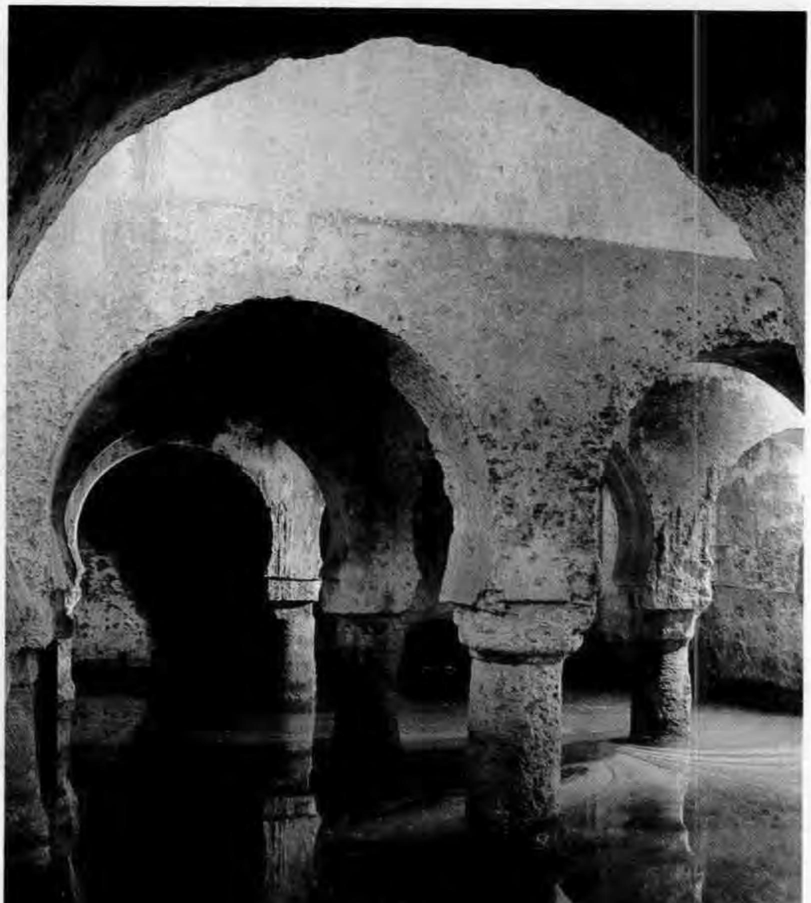
وتحت هذا العنوان ينقلنا الفصل الثاني إلى الرؤية الإسلامية للماء لكونه أصلاً للحياة، وهبة من الله، وشراب المعرفة. وللماء، إضافة إلى هذا، معنى تطهيري لأنه يطهر المسلم خارجياً (جسده) وداخلياً (روحه). كما أن إمداد الآخرين بالماء، إنساناً كان أو حيواناً، يعد زكاة في الإسلام. فالمسلم يتطهر بالماء من الجنابة قبل صلاته، وهذا يعطي الماء أهمية أساسية، لذلك لم يخل منه منزل أو مكان في الأندلس وفاءً لهذه المبادئ. وقد امتزج مبدأ الماء بوصفه وسيلة تطهر بأفكار جمالية بل شعرية أيضاً تمثلت في «العمارة المائية» التي ملأت الأندلس بقصور حالمة، ساهمت فيها أيضاً رغبات اتسمت بالترف والبذخ والطموحات السياسية.

إذا كان للماء ضرورة في الطرق والمنازل الأندلسية فلا غنى عنه بتاتاً في المساجد.

يفرد هذا الفصل جزءاً كبيراً من مساحته



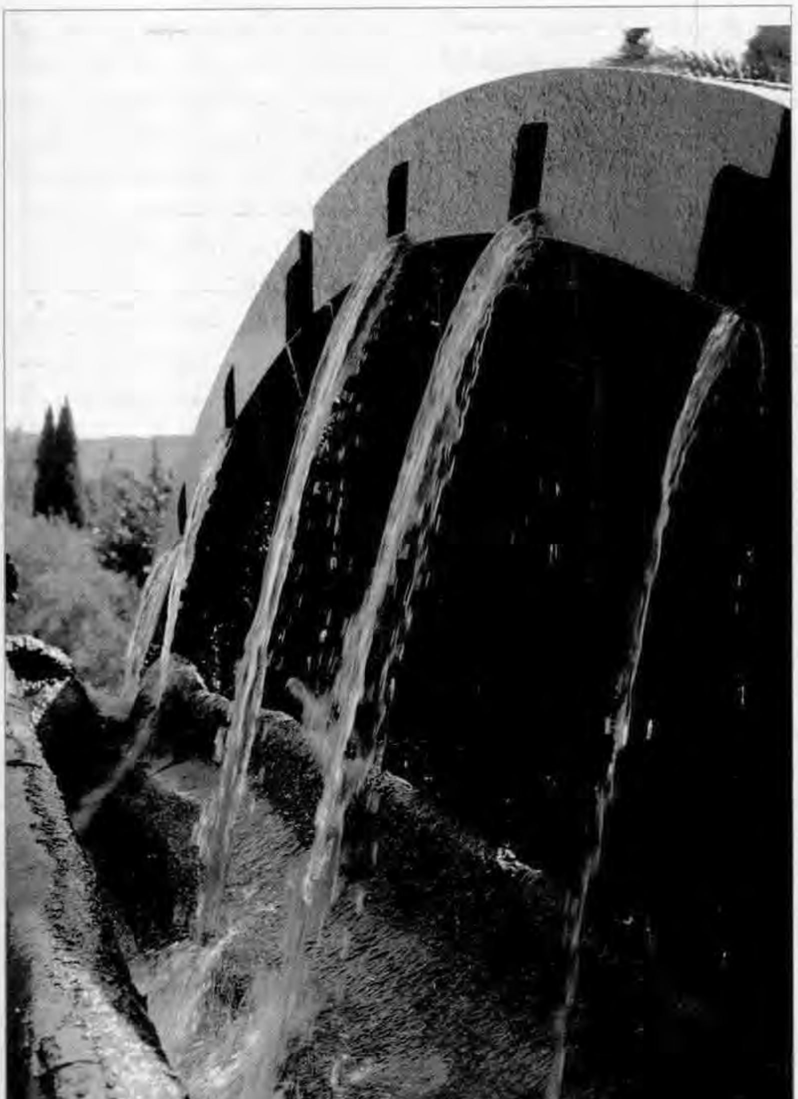
اشتهرت مدريد منذ القدم بتطور أنظمة الري وبحدائقها الغنية



مجرى مائي أسفل بناء معماري

للحديث عن مسجد قرطبة أكبر مساجد الأندلس، بل الغرب المسلم كله، وذلك عن تاريخ بنائه (٧٥٦ - ٧٨٨) والتوسعات التي أدخلت عليه على مر السنوات ليواكب الزيادة السكانية، إلى أن بلغ حجمه الحالي. كما يعرض الفصل وصفاً معمارياً دقيقاً للمسجد، ويلقي الضوء على دوره في التعليم وتحفيظ القرآن، ويتحدث عن الإصلاحات التي تمت فيه على مر العهود وخصوصاً في مجال توصيل المياه إليه، ويورد فقرات مما كتبه المؤرخون بهذا الشأن.

ثم ينتقل الفصل إلى عنوان آخر حول نقاء الماء ونوعيته، لذلك اهتم الأندلسيون بمياه الأمطار التي كانوا يخزنونها في جباب داخل بيوتهم عن طريق مزاريب كانت تلتقط ماء الأمطار لدى سقوطه وبعد أن يمر عبر مصاف ملتوية يصل إلى مستودع الجب. كانوا يبتعدونَ عن الماء القادم من مناطق تقع بالقرب من تجمعات للماشية أو الدواب، أو من حيث تسقى هذه الحيوانات بسبب تلوثه من فضلاتها. وتعدد السطور أنواع المياه النقية بالنسبة إلى الأندلسيين وأماكن وجودها، ويتحدث أيضاً عن عين مياه معدنية كانت تستخدم للاستشفاء. وتحت عنوان داخلي آخر هو: ماء المطر كهبة من السماء، تأتي ترجمة لبعض الآيات القرآنية التي تشير إلى الماء كبركة من الله، مثل الآية العاشرة والحادية عشرة من سورة النحل، والبهجة التي كانت تستقبل بها الأمطار في الأندلس والتي كانت تسجل في كتب تاريخ الأندلس ويذكر فيها بعض مظاهر هذا الفرح والشكر لله. ولقد عانت أيضاً الأندلس من فترات ممتدة من الجفاف فكان أهلها يقيمون الصلوات العامة للاستسقاء ومن النفرات المذكورة حول ذلك على لسان أحد المؤرخين تضرع قاضي قرطبة أبو عيسى لله في صلاته فاستجاب له ربه حيث سقط المطر في يوم سبت تلا الصلاة فغمر الغيث بلاده، وبدأ الناس من فورهم في الزراعة، وانخفضت الأسعار واطمأن الناس». ويضيف الفصل أنه كان يوجد في الأندلس، وخصوصاً في عهد الموحدين (القرن الثاني عشر والثالث عشر) مجموعة من الأتقياء المسلمين المعروفين بالورع والتقوى، كانت تنسب إلهم عدة كرامات خصهم الله بها منها استجابة الله لدعائهم واستغاثتهم به لطلب الغيث.



الساقية الشهيرة «أبو العافية» على نهر الوادي الكبير، وكانت تقع بجوار الطواحين واختفت حديثاً

مياه خفية وآليات سحرية

يتحدث هذا الفصل عن معجزة الماء والأسرار والمفاجآت التي يختزنها باطن الأرض، ومنها مياه الأمطار التي تتسرب إليه مخترقة القشرة الخارجية ثم الطبقات الداخلية مكونة أنهاراً في عالمها المظلم، ثم محاولة الخروج إلى السطح على شكل نبع أو فوارة. إن التاريخ مملوء بالمعجزات التي فجرت العناية الإلهية عيناً أو نبعاً مانحة المكان طابعاً مقدساً. ولعل الإنسان قد أراد بذلك أن يربط بين العلاقة الإلهية والعثور على نبع لمياه جوفية.

وتؤكد السطور أن العرب كانوا على دراية وخبرة عظيمة بتقنية مسار المياه الجوفية التي تعلموها، كما ذكرنا، في فارس والعراق وسورية، ونشروها في شمال إفريقية والأندلس. ثم تشرح هاتين النقطتين وتطورهما في الأندلس، والقنوات التي أنشئت لاستغلالهما. كما يأتي في هذا الفصل مقتطفات من الكتب الأندلسية التي تصف أهمية المياه الجوفية، وأن اكتشافها من أروع الفنون نفعاً. فهي تبعث الحياة في الأرض والسكان. تليها دراسة للجغرافية الطبيعية للأرض وتحليل لطبيعة الطبقات الأرضية ووصف للشكل والمواد التي يجب أن تبنى بها مصارف المياه الجوفية؛ كما تأتي إرشادات صحية ووقائية للذين يعملون في بناء هذه المصارف وأنواع المياه المختلفة: العسرة واليسرة والعكرة والساخنة والعذبة وغير المستساغة. كما يتحدث عن طريقة تنقية الماء بالطين الذي يزيل عسره وطعمه المر، وهو ما يتبع حتى الآن في بعض المناطق الريفية بإسبانيا. كما تأتي مقتطفات من كتاب «الزراعة» للمهندس الزراعي الإشبيلي الشهير ابن العوام الذي عاش في القرن الثاني عشر، والذي يتحدث فيه عن كيفية حفر الآبار، وعن الحدائق والبساتين الأندلسية، والدلائل التي يتم بها تعرف قرب الماء عن سطح الأرض أو بعده، وكيفية اختبار مذاقه. ثم يتعرض الفصل لقنوات مدريد ماراً بأصل اسمها «مجريط»، وهو ما يعني بالعربية مجرى ماء، وتاريخ تأسيسها في عهد أمير قرطبة الأموي محمد الأول عام ٨٧١م، ووصفاً تفصيلياً لأهم معالمها. ويذكر القول المعروف عنها إنها «مدينة قد بنيت فوق المياه»، وهذا يعود إلى الأسطورة التي تقول إن تحت مدريد مياه جارية وافرة.

والمؤكد أنها كانت شبكة من القنوات الجوفية استطاعت مدريد بفضلها في العصور الوسطى أن تمتلك في نواحيها عدداً كبيراً من الحدائق المثمرة التي أغنت المدينة في عهد فيليب الثاني الذي اختارها لتكون عاصمة لبلاده عام ١٥٦١م، ولعل اختياره هذا يعود إلى وفرة الماء ونوعيته في مدريد. وقد كان هناك لغز يصاحب تاريخ مدريد هو «لغز الماء» الذي يصفه هذا الفصل بدقة. وقد استمر إمداد مدريد بالماء عبر هذه القنوات الجوفية حتى عام ١٨٦٠م عندما شقت قناة إيسابيل الثانية. وهو شرف ينسب إلى هؤلاء المهندسين الإسبانو مسلمين المعروفين باسم قنويين Ganawiyn. وينتقل الفصل إلى القول بأن مهارة المسلمين في استخدام الماء في أمور نفعية كان يصاحبها أيضاً تقنية خاصة بالترف. فقد ذكرت كتب التاريخ الأندلسية آليات الماء التي كانت تزين قصور الأمراء والخلفاء وحدائقهم، والتي كان الهدف منها، بخلاف الجانب الجمالي والتقني، هو إحداث دهشة لدى جلساء الحاكم والسفراء الذين كانوا يذهبون لتعظيمه، فربما كان في أغلب تصور الأندلس - وهو ما اندثر أغلبه - ساعات مائية وآلات ذاتية الحركة وأجهزة كانت تستمد قوتها الدافعة من مزيج من الزئبق والماء، ويستخلص ذلك من بعض القصائد التي كتبت بهذا الشأن. كما كان الماء يستخدم في تزيين القصور بنوافير بها نباتات وتماثيل لحيوانات

يخرج الماء من أفواهها بهندسة مائية باهرة، كما كانت هناك أيضاً ألعاب مائية لتسلية الملوك، وقد انتشرت هذه المعارف المائية في أوروبا عن طريق الأندلس عبر ترجمتها إلى اللاتينية في منتصف القرن الثاني عشر، وربما قبل ذلك، وتم تطبيقها في الجامعات الأوروبية دون معرفة أصولها الحقيقية. وهكذا فُتح باب اختراعات عصر النهضة الكبرى على مصراعيه.

الوظيفة الاجتماعية للماء

يؤكد هذا الفصل المهمة الاجتماعية الصحية التي يمثلها الماء بالنسبة إلى المسلمين في الأندلس سواء في استهلاكه المنزلي أم استخدامه المدني أو الديني، ثم بعد وصف دقيق ومسهب للتخطيط العمراني للمدينة وطريقة إدارتها ينتقل إلى موضوع الكتاب وهو الماء، فيتحدث تحت عنوان داخلي «الماء العام والسقاؤون» عن الفساقي العامة الملحقة بأسوار المنازل التي كانت مزخرفة بقيشاني رائع متعدد الألوان، وكانت توفر الماء للمارة والمتعبين للشرب أو للتوضؤ أو للنساء والصبية أصحاب المنازل الفقيرة التي لا يتوافر فيها الماء، فكانوا يملؤون الماء من أقرب فسقية لهم. كانت هذه الفساقي توجد أيضاً بالقرب من المسجد، أو مدرسة القرآن، وعلى أبواب الدخول والخروج من المدينة حيث يحتشد المسافرون القادمون أو الجموع التي كانت تتوجه إلى سوق المواشي، والذين كانوا يعتادون البقاء خارج أسوار المدينة بجوار أبوابها الرئيسة. كان الماء يمثل أيضاً هدفاً للتجارة الصغيرة حيث كان عدد كبير من السقائين يجوبون الطرق وهم يجلجلون بأكوابهم المعدنية ويحملون الماء الثمين في قرب من الجلد. وقد استمرت صورة السقائين في الأندلس بل في مدريد حتى العصر الذهبي حيث كانوا ينقلون الماء النقي من القنوات إلى المنازل وسط دهشة الأجانب الذين كانوا يزورون العاصمة في ذلك العصر. وكان عمل السقائين يخضع لنظام الحسبة، وكانت تخصص لهم أرصفة في المناطق التي يقل فيها اندفاع تيار الماء، وكان يحظر على أصحاب المركب أو أي إنسان آخر منازعتهم هذا الحق. وكانت مخالفة هذه الأوامر تواجه بعقوبة السجن أو التعذيب الجسدي حسب ما يقرره المحتسب الذي كان عليه أيضاً مراقبة السقائين ونقاء الماء الذي يجلبونه ونظافته. وقد جاء في رسالة «ابن عبدون» أخبار حول المعاملات الخاصة بالماء في إشبيليا الأندلسية، منها أنه كان يحظر على النساء غسل ملابسهن في مكان استخراج السقائين للماء، وكان يخصص لهن مكان أكثر ستراً، وكذلك إلقاء القاذورات والبقايا في مياه نهر الوادي الكبير. وكان الجزء الأكبر من المنازل الأندلسية يتمتع بماء الشرب عن طريق بئر في وسط الفناء الداخلي، كانت تتصدر كل بيت أندلسي، أو عن طريق القنوات التي كانت تنقل الماء من الأماكن البعيدة وكانت البئر الأهلية تمتلئ بماء الأمطار الذي كان ينساب من الأسطح عبر مواسير من الفخار ويتجمع في خزان، ولضمان نظافة المياه كانت توضع مصاف عند مصب الخزانات، وكانت تنظف دورياً. وكان الفناء، مهما كان متواضعاً، يتميز بوجود فوارة صغيرة لترطيب المكان، وكان خرير الماء بها، وخصوصاً في الليل، يتبارى مع الرائحة القوية لأفرع الياسمين المتسلقة على الجدران. أما ميسورو القوم فكانوا يزينون أفنيتهم وحجرات المعيشة ببركة ماء دليلاً على الترف. ثم يتحدث الفصل عن الاهتمام الكبير الذي أولاه أمراء الأندلس لتزويد المدن بالماء.

وتحت عنوان داخلي حول الطهارة



القنوات والسدود من أهم آثار الإمبراطورية الرومانية



بركة ماء في جيان



الساقية العربية في مرسية

والعادات الصحية يتحدث الفصل عن أنه، إضافة إلى استخدام الماء عند المسلم في التوضؤ وتطهر الجسد، فإن المسلم الحق يجب أن يغسل يديه قبل تناول الطعام وبعده، وعليه أيضاً مضمضة فمه، ولهذا الغرض كانت تزدهر في البيت الأندلسي مجموعة من الأعمال الفنية المرتبطة بالماء، مثل الجرار والطشوت المصنوعة من الخزف الخشن أو السيراميك الدقيق والأباريق المنقوشة من النحاس أو الفضة التي كانت تقدم باهتمام لخدمة المدعوين حسب المستوى المادي للأسرة، وكان يصاحب الماء الصابون المعطر والمنشفة ليكتمل بذلك هذا الطقس المهم للطهارة والنظافة.

وينتقل الحديث إلى الحمامات الخاصة والعامة، وشرح تفصيلي لآليات العمل في تلك الحمامات، وطريقة إضاءتها وزخارفها، مع تأكيد أن عدد الحمامات في الأندلس كان كبيراً، ففي قرطبة كان يوجد في القرن العاشر ما بين ٣٠٠ إلى ٦٠٠ حمام. وكان الحمام مكاناً للاجتماعات العامة، وكان يخصص في الصباح للرجال وفي المساء للنساء. وفي فقرة مهمة من هذا الفصل يؤكد المؤلفان أنه على الرغم من أن آليات الحمامات لها سابقتها عند اليونانيين والرومان إلا أن هناك فرقًا جوهرياً في الغرض منها عند المسلمين. فقد كانت عند الأولين مخصصة لطبقة ما مختارة، وكانت وسيلة أساسية للترفيه والتمتع وإقامة العلاقات الاجتماعية، أما عند المسلمين فكانت بغرض النظافة والطهارة اللتين يوجبهما الدين الإسلامي شرطاً أساسياً للصلاة كما كانت الحمامات عند المسلمين أيضاً تساوي بين الناس اجتماعياً، ولأن الماء من عند الله فهو ملك للجميع، وهي مساواة لم تكن مقبولة أحياناً من قبل بعض الناس.

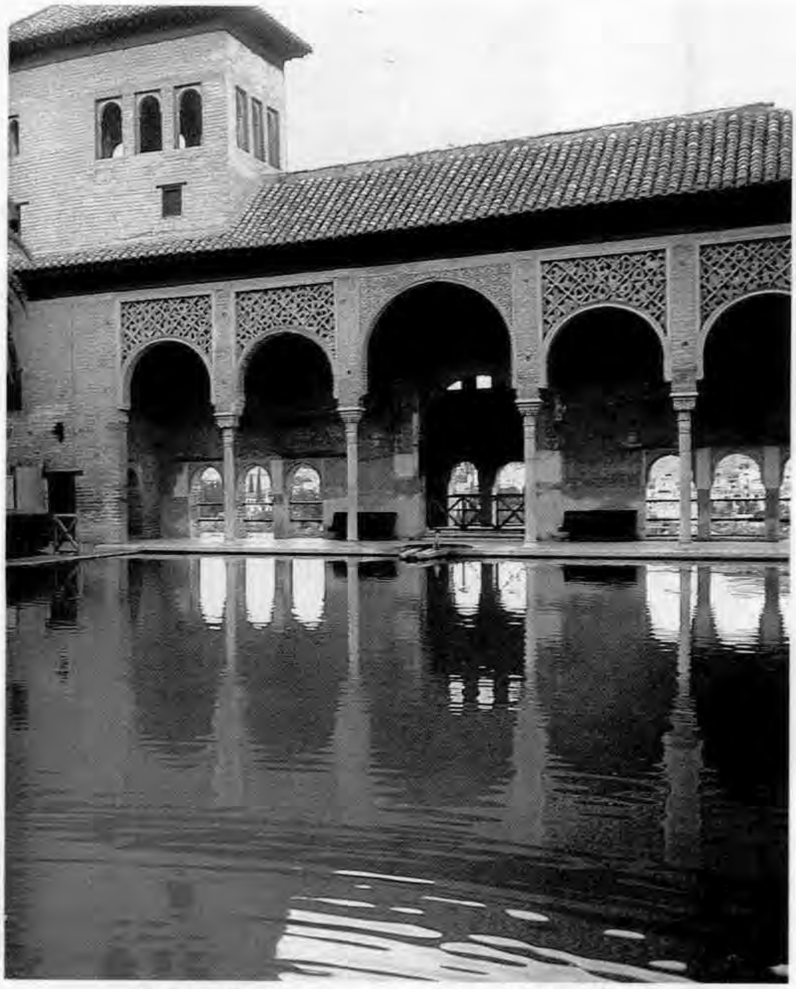
وتحت عنوان داخلي آخر حول الماء والدواء يؤكد هذا الفصل اهتمام الأطباء المسلمين في الأندلس بوصف الطعام والشراب المثاليين للمحافظة على الصحة في كتبهم، منها كتاب الطبيب والشاعر والمؤرخ والوزير أيام غرناطة النزارية ابن الخطيب وهو «كتاب العناية بالصحة خلال فصول السنة» وهو ملخص كامل للطب الوقائي والغذائي يعتمد كل الاعتماد على النظافة، لكي يضمن الإنسان حياة متوازنة تصبو إلى الكمال، وفيه يشير ابن الخطيب إلى نوعية ماء الشرب، وأي الماء أفضل للاستحمام وكيف يتم؟ كما يأتي تصنيف الماء حسب جودته. فيضع ماء المطر وخصوصاً الصيفي في المقام الأول، ثم ماء العواصف والذي يمكن تحسينه بالغليان (ومن هنا فطن الإسبان إلى سبب قيام الأندلسيين بغلي ماء الشرب قبل تناوله) وكان يعد ماء الآبار أسوأه.. إلخ. ويأتي بالكتاب المذكور أيضاً وصفات للاستحمام الخاص بالشخص النحيف أو البدين، وأن أهم خصائص الاستحمام هو أنه يرطب الجسد ويفتح المسام ويزيل الأوساخ.

ويصف ابن الخطيب أنظمة غذائية مهمة حسب البنية وفصول السنة، وغالبًا ما يصف شراب الماء المضاف إليه العسل، والذي يعطي الطاقة المستمدة من أهمية العسل الذي أوصى به الرسول عليه الصلاة والسلام.

جمالية البعد الرابع

يتحدث هذا الفصل عن اتساع تأثير الحواس، وخصوصاً التأثير المرئي، في العناصر الزخرفية للفن الإسلامي. فقد كان التناغم بين الأضواء والظلال، البارز بين النقوش والمقرنصات التي ازدهت بالزخارف النباتية والفسيفساء الذهب، يطعم دائماً بالعناصر المائية التي كانت تتسرب داخل القاعات الفخمة كعنصر زخرفي، بل معماري لا غنى عنه في القصور الأندلسية. فقد كان

تأمل الماء في الطبيعة أو بين أسوار بيت ما، يستدعي في نفس المسلم الشعور بوجود الله واهب هذه النعمة. ثم يذكر الفصل الأشكال الزخرفية المختلفة التي كان الماء فيها عنصراً زخرفياً مهماً متعدد الصور. فإضافة إلى أن خريره يبعث السكينة في النفس والشعور بالأمان، فإن الماء ينقل الطبيعة الحية والمتحركة إلى داخل البيئات المعمارية المغلقة ليحولها إلى حدائق من الرخام والقيشاني والمصيص؛ كما أن الماء يساعد على إضاءة العالم المعماري الصغير الذي يندرج فيه من خلال الضوء الذي يسقط عليه فيستقبله ويعكسه على كل ما يحيطه مثله مثل أي جسم سماوي بلا ضوء ذاتي، كما أن انعكاس أشعة الشمس على الماء واختراقها جسده السائل ينشران ألوان الطيف السبعة وكأنها إشارة مبكرة وسريعة الزوال للجنة؛ ويساهم الماء أيضاً في إبراز الجمال الزخرفي بطبيعته الشفافة التي لا تحول دون رؤية قطع الفسيفساء المتعددة الألوان التي بقاع النوافير وأحواض الزينة، كما أن الماء يتشكل حسب البيئة التي يوجد فيها، فهو تارة شلال جارف، وتارة أخرى يرتفع بقوة نحو السماء ليعود فيسقط بدورة متكافئة، وفي كثير من الأحيان يكون سطحاً أملس ورقراقاً لا يقطع هدوءه سوى تحرك موجاته المحتشدة بفعل الريح أو سقوط ماء فوار.



الماء ينقل الطبيعة الحية والمتحركة إلى داخل البيئات المعمارية (قصر الحمراء)

فأراد الأمراء الأندلسيون الجمع بين المفهوم الديني والتعريف القرآني للماء، وكونه عنصراً جمالياً، ففي الزخارف الداخلية لأعمدة قصورهم كان يتكرر مفهوم الروضة. فالطبيعة الحية التي خارج قصورهم والمتجسدة في الأشجار والزهور والثمار والسماء والماء، كانت تضاهيها روضة أخرى داخلها وبين أسوارها بأشجار من رخام (الأعمدة) وأزهار وثمار من المصيص (الزخارف النباتية) وقباب من المقرنصات ثم الماء الذي كان العنصر الوحيد المحتفظ بطبيعته الحية حيث يستحيل على يد فنان أن تحيله إلى طبيعة جامدة.

وتتساءل الأسطر: لماذا هذا العشق الإسلامي للرياض؟ وتجيب بتساؤل آخر، ربما لأنها كانت متنفساً في مواجهة البيئة الصحراوية المرتبطة بشدة بالمجتمع العربي؟

إن الجنة التي تجري من تحتها الأنهار في العالم الإسلامي هي قبل كل شيء أسمى وعد بالسعادة والأكثر خلوداً. ثم تنقل الأسطر بعض مقتطفات عن التنافس الذي كان بين الأمراء والخلفاء المسلمين في بناء القصور بل المدن التي امتلأت بالعناصر الزخرفية المترفة، ومنها مدينة الزهراء التي يقال إنها كانت كالأسطورة. وتعدد أمثلة للاهتمام بالماء كعنصر زخرفي على لسان الرواة حتى بعد أفول الحكم العربي للأندلس، منها قصر المأمون حاكم طليطلة الذي بنى داخل قصره مقصورة بقبة كانت مصممة بحيث يساق الماء إلى أعلى قبتها بواسطة عملية هندسية، ثم يسقط من أعلى القبة على جوانبها ليحزمها فتصبح المقصورة داخل حلة من المطر الدائم. وكان المأمون يجلس بداخلها من دون أن تمسه قطرة ماء واحدة. وتذكر أيضاً «قصر السرور» المعروف باسم الجعفرية والذي كانت به برك وفوارات وقنوات ماء تنعكس فيها صور الأروقة مما كان يضاعف من أعدادها، وتزيد في عظمتها وروعتها. ويؤكد الفصل أن النموذج الحي الباقي كاملاً للقصور العربية هو الحمراء، فيتحدث عنها معمارياً بإسهاب، ثم عن دور الماء فيه كعنصر زخرفي واستهلاكي، ويتحدث أيضاً عن حدائق جنة العريف التي كانت منتجعاً صيفياً للأسرة النزارية مع وصف دقيق لها. وينتهي الفصل بتوكيد أن أهم خصائص الماء في الأندلس أنه كان وحياً شعرياً وهو الشيء الوحيد الذي صمد أمام صروف الدهر حتى يومنا هذا في إسبانيا. ويذكر بعض أبيات من مرثية شاعر إسباني يبكي فيها غرناطة. وينتهي بتوكيد على أن غرناطة قد حافظت على سلطان أكبر بكثير، إنه سلطانها في الحمراء وجنة العريف، ووقعهما الساحر على كل زائر لهما.

المجاري المائية والقنوات في البانوراما الأندلسية

يتحدث هذا الفصل عن نظم الريّ في الأندلس مؤكداً أن المعلومات في هذا المجال



أدخل العرب أنظمة ري مختلفة

قليلة ونادرة، وهي التي تركها لنا المؤرخون والجغرافيون العرب عن تلك الفترة، بعضها يتحدث عن ترع في شرق الأندلس، وروايات كثيرة عن أراض مروية كانت تحيط بالمدن الإسبانية المسلمة. ولكن الوثائق النصرانية التي كتبت بعد فترة قليلة من استرداد الأندلس قد وفرت معلومات قيمة حول استمرار نظم الري الخاصة بالعرب، منها الخاص بمجرى نهر الأبيض في مرسية، وكيف كان يتم التحكم في مياهه من خلال سد لري الأراضي المرتفعة، وأنه كانت به عشر ترع تساعد على ري البساتين، وكانت هذه الترع تحمل أسماء القرى التي تمر بها أو العائلات التي تعيش بتلك القرى مثل: بنو سعد وغيرهم.

ويصف هذا الفصل عدداً من الحمامات والعيون التي كان بها ماء للاستشفاء يلجأ إليها عدد من الأندلسيين في مرسية. كما أن نهر توريا الحالي (في بلنسية) واسمه القديم وادي الأبيض كان ينقسم فرعين تتفرع منهما ترع وصل عددها إلى ثمان ظلت تعمل حتى آخر أيام المسلمين في الأندلس، وحافظ على هذا النظام الملك خايمي الأول بعد غزوه البلاد، ويأتي في هذا الفصل وصف أحد الرحالة الفرنسيين، هو البارون ديه باسا الذي زار إسبانيا في القرن التاسع، للموارد المائية في قتالونيا وبلنسية فيقول، بعد وصفه للترع والمزارع والحقول والأنهار، إن هناك «مستعمرات من النخيل الذي جلب من الصحراء العربية مازالت تشهد على وجودها بعد عدد من السنين..». ثم تنقلنا السطور إلى موارد المياه والري في وادي إبرو وجزر البليار. ويتحدث المؤرخ العذري عن نهر بلكاش وعن قرية تقع بالقرب منه بها نبع غامض كان يظل جافاً طوال العام، وفي الليلة الأولى من شهر آب/ أغسطس كان الماء يبدأ في التدفق معه حتى ساعة الغروب حيث يتوقف عن التدفق حتى الليلة نفسها من العام التالي. ثم تسهب في الحديث عن الأراضي الشاسعة والأنهار التي كانت ترويها في هذا الفصل عن الري في تروال وموارد المياه في جزر البليار (الجزر الشرقية حسب الأندلسيين) ثم في المنطقة الجنوبية من الأندلس حيث انتشرت الجداول والترع والسدود التي كانت تجمع مياه الأنهار أو الآبار بغرض الري، والتي كانت أيضاً وحياً لشعراء أندلسيين مثل ابن عمار وزير الملك الذي التي يتذكر فيها سد مسقط رأسه.

ثم ينتقل إلى غرناطة التي ظلت مملكة إسلامية حتى ١٤٩٢م، ويذكر مقتطفات من وصف الرحالة المصري عبدالباسط بن خليل الذي زارها عام ١٤٦٦ قبل غزوها، والذي بهره ما تتمتع به من أراض شاسعة وموارد مائية هائلة وبساتين وكروم.. إلخ.

توزيع الماء والتقنيات المتعددة

يتناول هذا الفصل سلسلة القواعد والوظائف التي كانت تتعلق بتوزيع الماء، والتي كانت تخضع «لناظر الترع» وهو نظير «صاحب السوق» الذي كان يخضع أيضاً لسلطة القاضي، وكان يعينه الوالي أو الأمير مباشرة، وكانت مهمته فض المنازعات بين أقساط الري ومراقبة توزيع المياه بالإنصاف، ومراعاة النوبات، وكذلك مراقبة نظافة مياه الترع، والترع ذاتها من قبل مستخدميها. وكانت هناك أيضاً وظائف أخرى ترتبط بالري، منها قاضي المياه، وكان مختصاً بالقضايا الخاصة بالماء، وهي وظيفة أقل درجة، وكانت مهمته مراقبة عمليات الري الصغيرة. وقد انتقلت كلمة Amin (أمين) إلى اللغة الإسبانية Alamin أو Alami في بلنسية بمعناها نفسه وهو الأمين على الماء. وكانت هناك مؤسسات مثل «محكمة المياه» في بلنسية أو «رجال الحكمة» في مرسية التي كانت تعقد محاكماتها على الملأ، وكانت المياه العامة تدار بواسطتها وكانت تنظر قضايا أصحاب أقساط الري. وكانت أغلب الشكاوى حول احترام النوبة في الري أو عدم تنظيف الترع.. إلخ. وكانت محكمة المياه في بلنسية تجتمع كل يوم خميس في الساعة الثانية عشرة ظهراً. ثم يتحدث الفصل عن أن المفهوم الإسلامي بأن الماء هبة من الله يعني أنه ليس ملكاً لأحد، لذلك وجب توزيعه بالعدل بين محتاجيه، وعليه كان الماء يوزع في الأندلس

حسب مساحة الأرض الزراعية وتدفق مياه النهر ويوزع على الترع الرئيسة حسب مساحتها، وكل ترعة كانت توزع المياه بين فروعها طبقًا لنوبة صارمة تحدد مدتها وكميتها حسب مساحة الأرض وحاجة الإقليم. وكانت توزع يومًا واحدًا في الأسبوع أو عدة أيام بلياليها. أما وحدة قياس ماء الري فكانت ساعة من بدء تدفق الماء، وهي إحدى خصائص توزيع المياه في العالم الإسلامي، وكانت تستخدم ساعة مائية مراقبة طول ظل معين، وحساب الوقت الذي يمر منذ طلوع الشمس. وكانت تطبق أنظمة البلد الأصل للسكان في ساعة الري، فكان الري في بلنسية وكاستيون مدة ١٢ ساعة، وكان يطلق عليه «النظام السوري»وفي لقنت وأماكن أخرى من الأندلس مدة ٢٤ ساعة، وكان يسمى «النظام اليمني». أما السدود فكانت تنتشر في كل أنحاء الأندلس لأهميتها في تحويل المياه إلى مجرى متقطع (متناوب)، وكانت تستغل أيضًا في الترويح والتنزه بالنسبة إلى الأندلسيين، استخدمت أيضًا السواقي المائية في شبه الجزيرة الأيبيرية أولاً عبر الرومان ثم القوط. ولكن المؤرخين يؤكدون أن أصلها شرقي وأنها كانت تشتهر في الأندلس باسمها العربي «ناعورة» وأيضًا الفارسي «دولاب». ومن أشهرها ساقية «أبو العافية» وهو اسم مصممها في قرطبة، وقد بنيت سنة ١١٣٦م وفككت عام ١٤٨٥م لأن صريرها كان يزعج الملكة إيزابيل الكاثوليكية في أثناء إقامتها في القصر القرطبي. وبعد استعراض عدد من السواقي، اندثر بعضها ومازال بعضها يستخدم حتى الآن، يتحدث الفصل عن المياه الجوفية التي كان للمسلمين في الأندلس باع كبير في تعرف أماكن وجودها.

الأسماء المتعلقة بالماء

يمكننا أن نستدل على أهمية استخدام الماء في الأندلس من خلال هذا الكم الكبير من الكلمات الإسبانية المستمدة من أصل عربي التي ارتبطت باستخدام الماء، أو على صلة ما به، والتي مازالت باقية مع تطور صوتي بسيط أو كبير. وإذا كان الزمان والإنسان قد وليًا فإن العادات والأماكن مازالت قائمة حتى الآن، على الأقل، شاهدًا على أسلافنا الأندلسيين.

فمن المألوف أن نجد في طرق بعض القرى أسماء مثل «شارع الماء»، و«ميدان النافورة» و«عطفة الساقية»، و«طريق النهر»... إلخ.

ويأتي في هذا الفصل معجم صغير للأسماء الإسبانية العربية الأصل، التي شوهت صوتيًا بسبب تطورها الدلالي (السيمنطيقي)، والتي يتصل ٣٠٪ منها بالماء. من هذه الكلمات: سانية، والساقية، والقادوس، والتنور، والزرب، والسد، والقناة، والجب، والجفينة، والشريك، والتحويلة. ويذكر الفصل في هذا الشأن اثنتين وأربعين كلمة مع شرح معانيها في مختلف المناطق الإسبانية.

وتحت عنوان أسماء المكان العربية في الجغرافية الإسبانية كأثر اجتماعي وثقافي، يؤكد الكتاب أنه من خلال أبحاث العالم الإسباني الكبير ميجيل آسين بلاثيوس وكثيرين غيره، يمكننا أن نستدل على أسماء كثير من المدن الإسبانية التي كانت ترتبط بالنشاط السكاني بها، حيث كانت الغلبة للأنشطة الزراعية والمائية في كل أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية. من هذه الكلمات «المنية» (بستان) و«البير» (البئر). ثم يسترسل الفصل في ذكر أسماء إسبانية عربية الأصل غير متعلقة بالماء لذلك لن نذكرها. أما أسماء المكان المتعلقة بالماء، وهي أسماء أماكن وقرى في مدن أندلسية كثيرة اشتق اسمها من مصادر أو آلات مائية، وأعطي للمكان منها: Maria ناعورة (اسم قرية في المرية)، و Ayna عين (اسم عين ماء في البسيتية)؛ وفي مدينة لقنت كلمة Alberca (البركة)، و Albufera (البحيرة)، و Azut (السد)، وهو اسم ساقية هناك؛ وفي كاثيريس Albuera (البحيرة)، وهي تختلف عنها في مدينة لقنت، وهناك أيضًا Albuhera وهي أقرب إلى الكلمة العربية، وتحمل المعنى نفسه، ولكن اسم المكان مختلف، و Alcantara (القنطرة)، و Guada-lupe (وادي الذئب) وهو اسم نهر هناك... إلخ؛ وفي قرطبة Ahora (الناعورة) وهو اسم ساقية و Guadl Cazar (وادي القصر) وهو اسم نهر... إلخ؛ وفي غرناطة



من مصادر المياه في ملقا

Aljibe (الجب) و Norel (من نـاعـــورة) وهو اسم قرية...إلخ.

ويذكر الفصل أسماء أماكن متعددة عربية الأصل مشتقة من الماء في وادي الحجارة ولبة وجيان وليون ولاردة ومرسية وسلمنقا وإشبيليا وصوريا ثم في مدريد حيث تنحصر أسماء المكان في كلمات اشتقت من المياه الجوفية والعيون والينابيع مثل: Alfbir (البئر)، و Arroyo Albala (مجرى ماء البلاعة)، و Canillas (الأقنية)، Canillejas (تصغير الكلمة الأولى)، و Guadarrama (وادي الرملة)، و Madrid (مـــدريد من مجريط: مجرى ماء).. إلخ؛ وفي ملقا Alcan-tarilla تصغير Aalcantara (القنطرة)؛ وفي مـــايورقـــا Alcana (القناة) و Albufera (البحيرة)...إلخ؛ وفي إشبيليا Guadalcanal (وادي القناة) وهو اسم نهر هناك...إلخ؛ وفي طليطلة Al Godor (الغـــدير) و Aloyon (العيون) ...إلخ؛ وفي بلنسية Burjassot (برج السد)؛ وفي سرقسطة Alhama (عين مياه معدنية)، و Jaraba (شراب)

وتنتشر أيضاً أسماء المكان الخاصة بالأنهار واستخداماتها المائية منها: Guadal-quivir نهـــر الوادي الكبـــيـــر بالأندلس، و Guadaisa (وادي عيسى) وهو اسم نهر صغير في ملقا و Guadalcoton (وادي القطن) في جيان؛ ونهر Guad Alen (وادي العين) في ثيـــوداد ريال؛ ونـهـــر Guadalimar (وادي الأحمر) في قرطبة؛ ونهر Guadalmazan (وادي المازن) في قرطبة أيضاً؛ ونهر Gua-dalmedina (وادي المدينة) في ملقـــا؛ ونهـــر Guadarrama (وادي الرملة) في مدريد؛ ونهر Guadarroman (وادي الرمـــان)، وجــدول Guadatin (وادي الطين) في قرطبة، ونهر Guadazalema (نهر سلامة) في وشقة. كما يشار إلى مسلمي الأندلس والمغرب بشكل خاص، وإلى سائرهم بشكل عام بكلمة Moro، وكذلك إلى كثير من أسماء الأنهار مثل Fuente Del Moro (عين مـاء المسلم)، وفي الجزيرة الخضراء Riomoros (نهر المسلمين) في Butrago بمدريد. أما بالنسبة إلى الترع فقد حملت أسماء عائلات عربية - إسبانية تبدأ باسم النسب Beni (بني)، واكتسب المكان الذي تشقه الاسم نفسه، ولا سيما في مدن بلنسية مثل مرسية وغيرها منها ترع Beniscornia (بني أشقر)، كمـا أن هناك أسماء ترع مركبة من كلمة Ras (رأس) و Canya (قناة) مثل Roscanya، وأحياناً كانت الترعة تعطي اسمها للنهر مثل نهر Gaudasequies (نهر الساقية)، وقد جمع في الإسبانية وصار نهر السقاية في بلنسية.



الحديقة جزء رئيس في القصور والمنازل الأندلسية

الماء في التقليد الزراعي الأندلسي

استطاع علماء الزراعة الأندلسيون الجمع بين تقاليد زراعية رومانية وجدوها في شبه الجزيرة الأيبيرية وأخرى متوسطية اكتسبوها من مصر والعراق وفارس والهند، وكان أيضاً للزراعة النبطية من خلال كتاب «الزراعة النبطية» للوحش النبطي (القرن العاشر تقريباً)، والذي كان متداولاً بكثرة في الأندلس تأثير كبير في هذا الشأن. وقد بدأ الازدهار الزراعي في الأندلس عـبـــر هدية من الإمبراطور البيزنطي قسطنطين إلى الخليفة القرطبي عبدالرحمن الثالث (٩١٢ - ٩٦١م) هي كتاب «العقاقير الطبية» لديوسكوريدس باللغة اليونانية ولترجمته أرسل الإمبراطور المذكور راهباً يونانياً (نيقولاس) ملماً باللغة العربية كان له الأثر الكبير في العديد من رجال الخليفة القرطبي المتعطشين للمعرفة. ومن هنا بدأت في قرطبة أول مدرسة للترجمة في شبه الجزيرة الأيبيرية في مجال الطب وعلم العقاقير والنباتات والزراعة. وكان أول كتاب أندلسي متخصص في علوم الزراعة هو «مختصر علوم الفلاحة» لأبي القاسم الزهراوي، ثم يعدد الفصل كتباً أخرى كثيرة في المجال نفسه لمؤلفين مسلمين، يشير الفصل أيضاً إلى كتاب «الفلاحة النبطية» وهو كتاب مهم للإشبيلي أبي زكريا يحيى بن العوّام (القرن الثاني عشر) الذي أفاد فيه من كتاب ابن وحشي النبطي ومن معارف أبي الخير مؤسس أول مدرسة زراعية في إشبيليا (١٠٦٩ - ١٠٩٠). وكان تأثير ابن العوام كبيراً، فقد أسس في عهده أهم نظام زراعي استمر حتى القرن الثامن عشر.

وتحت عنوان داخلي عن البنية التاريخية

ـ الاجتماعية للثورة الخضراء في الأندلس يؤكد هذا الفصل أن العرب القادمين إلى إسبانيا لم يكتفوا بما وجدوا من طرائق زراعية وأخرى خاصة بتربية المواشي التي كانت نظامًا رومانيًا وقوطيًا، وإنما نوّعوا في هذا النظام وأدخلوا زراعات جديدة تم جلبها من المشرق مما أدى إلى تحسن اقتصادي ملحوظ في الأندلس سمح بالتصدير إلى بلاد إسلامية أخرى، وأدى إلى إدخال بعض المحاصيل الجديدة إلى البلاد. كانت هذه المحاصيل تزرع في المناطق التي يتوافر فيها الماء بكثرة مثل مناطق أنهار الإبرو والتاخو والوادي الكبير ووادي آنه. ويعدّد هذا الفصل أنواع الخضر والفواكه، وكيف تم إدخال زراعتها في الأندلس. ويتحدث عن النخيل وأنها شجرة ارتبطت بالعالم الإسلامي لذلك كانت مفضلة لدى الأمويين، وقد تم تأقلمه في لقنت، ونجحت زراعته بحيث أصبح بهذا الإقليم أجود أنواع النخيل في العالم. أما أنواع الماء الذي تروى به النباتات فيذكر الفصل أن ماء المطر هو أفضل أنواع الماء، وهو يصلح للنباتات الحساسة والضعيفة، وفيما يتعلق بري المحاصيل فينصح بري الفواكه ريًا دائمًا حتى تظهر براعمها، ما عدا الزيتون الذي يحتاج بعد أن تنبت أزهاره بالتحديد إلى الماء. كما يجب أيضًا ري النباتات التي تظهر جذورها لأن هذا إشارة إلى أنها في حاجة إلى الماء. كما أن الماء الراكد مضر بالأشجار المثمرة؛ والنباتات الحساسة والضعيفة لا تحتاج إلى ري زائد. أما النخيل والذي يأتي من بيئة شبه صحراوية فإنه يتحمل الماء العذب والمالح. وبالنسبة إلى الأسمدة فإن سماد الحمام هو أفضلها رغم قوته، وهو مفضل للنباتات التي يضعفها البرد. وكانت تحظر الأسمدة الصناعية وأسمدة بقايا الخنزير والطيور المائية لأنها تسمم النباتات.

وكانت تنتشر في الأندلس النظم الزراعية المأخوذة عن الزراعة النبطية. ويقول ابن العوّام: إن نظم الزراعة النبطية لا يتم فيها زرع أو تطعيم أو بذر أي شجرة إذا لم يكن القمر هلالاً، وهو يوم الخامس عشر تمامًا وهو الذي يمحق فيه القمر وإن هذا ما فعله أبونا آدم. ويضيف أن النبطيين كانوا يجنون العنب والقمر ممحوق حتى لا تنتفخ حباته كثيرًا، وكانوا يقطعون الأشجار لتسقيف بيوتهم أو لصنع الأثاث في الأيام الثلاثة الأخيرة من محوق القمر، وذلك لضمان عدم تسوسها. ويضيف أن السفرجل من الثمار التي تذهب الحزن وتهدئ. كما يتحدث عن الحياة الروحية بين النباتات فنجد أن أشجار البرتقال تميل إلى أشجار الزيتون، وأن النخيل والعرعر يتنافران، والرمان والريحان يتجاذبان، ولهذا فهما متلازمان في كل بساتين الأندلس وحدائقها.

وينتهي الفصل بالحديث عن بعض العادات الاجتماعية السيئة التي ارتبطت بالزراعة والمعاملات الزراعية مثل الغش والخداع والرشوة والتكاسل عن العمل... إلخ.

الفردوس المفقود في الأندلس

يعود الوصف الشهير للأندلس بأنها جنة الله في الأرض إلى المساحة الخضراء الهائلة التي كانت تحيط المدن الإسبانية المسلمة التي كانت تقع كلها تقريبًا على ضفاف الأنهار الوفيرة المياه. ولما كان الأندلسي عاشقًا للطبيعة، كان يحلو له التمتع بمظاهرها، ومن هنا كان اهتمامه بالبعد لفترة ما عن المدينة والبحث عن الهدوء والسكينة خارجها مهما كان مستواه الاجتماعي، لذلك اتجه الأندلسيون إلى بناء منتجعات لهم في الريف كل حسب إمكاناته، وخصوصاً خلال عهد ملوك الطوائف. وكان للأمراء وعلية القوم المنيات أو منازل ريفية كبيرة تحوطها البساتين والحدائق، وبها ترع ونواعير وفوّارات، حتى إنه ظهر هناك لون أدبي متخصص في وصف الرياض وهو «الروضيات» كان الأندلسيون يطلقون فيه العنان لخيالهم في وصف الطبيعة. وقد أصبحت هذه العادة الأندلسية بالعيش في وسط الطبيعة وقلبها، والاهتمام بالحدائق والبرك والفوارات من أهم الموروثات الأندلسية التي بقيت حتى الآن. ثم يعدد هذا الفصل المناطق الخضراء التي كانت تفترش الأندلس المسلمة ويبدأ بمجريط (مدريد) والتي كانت مدينة ثانوية للأندلس رغم أنها الإستراتيجية، ويؤكد أنها كانت محاطة بمساحات خضراء شاسعة وكان بها كل صنوف الفواكه والأزهار التي بقيت حتى بعد استردادها في القرن الحادي عشر، وكان الفضل لوجودها للماء ولنظام الري الذي أوجده المسلمون في مدريد عن طريق المياه الجوفية. ثم ينتقل الفصل إلى الحديث عن المنيات الأموية التي كانت موزعة في كل



للماء معنى تطهيري عند الإنسان المسلم، إلى جانب كونه أصل الحياة

أنحاء أراضي الأندلس في عصر الازدهار السياسي والثقافي للدولة (من القرن التاسع إلى الثاني عشر). كانت هذه المنيات تستخدم للتنزه وللترويح، وكان منها الخاص والعام. وقد جاء ذكرها في كتب التأريخ ولكن لم يبق منها شيء الآن.

وكان أول أمير أموي لإمارة مستقلة في الأندلس، وهو عبدالرحمن الأول، قد بدأ بإنشاء أول منية على ضفة جدول ماء في سلسلة جبال عند الشمال الشرقي من قرطبة، على بعد بضعة كيلو مترات من المدينة، وأطلق عليها اسم «الرصافة» وهو اسم مزرعة كان يمتلكها جده الخليفة الأموي هشام الأول في دمشق. وكان يمضي بها أوقاتاً طويلة وحوله حدائق واسعة ملأها بالنباتات التي جلبها من بلده سورية. وكان للنخيل مكان خاص بها وكذلك أشجار الرمان والتين. وكانت هناك أيضاً منية «الناعورة» التي أمر الأمير عبدالله (٨٨٨ - ٩١٢م) بإقامة دار كبيرة فيها، وبها بستان كبير رائع وأعداد هائلة من الأشجار والنباتات كانت تروى من نواعير ترفع الماء من نهر قريب، وقد أهداها عبدالله إلى حفيده الذي صار بعد ذلك الخليفة عبدالرحمن الثالث الذي حولها إلى مقره المفضل خلال الفترة الأولى من ولايته. وكانت هناك أيضاً، عند منعطف نهر الوادي الكبير منية شهيرة تعرف باسم «أرحاء الحنة» ملأى بالترع التي تغذيها مياه النهر المذكور، وكان بها مبان رائعة، وكان حولها وحتى ضفة الوادي الكبير أشجار زيتون تمنح الظلال وتلطف الجو. ثم يصف الفصل يوماً للراحة في منية ملكية فيبدو وكأنه يوم من أيام الفردوس ويأتي قول المؤرخ ابن سعيد بأنه كانت هناك عدة قصور ودارات (فيلات) ملكية بها بساتين وحدائق كانت تقع حول قرطبة ابتناها الأمويون ونبلاؤهم مثل «منية السرور» وقصر «المعشوق» وقصر «التاج» وغيرها كثير. وكان هناك قصر باسم «دمشق» كانت به أعمدة رائعة من الرخام، وكانت أرضيته من (الموزايكو) المتعدد الألوان، وكانت به بساتين مملوءة بالفواكه اللذيذة وعبير الأزهار ومجاري المياه الصافية. وبعد وقوع الفتنة وسقوط الأمويين (١٠٣١م)، حاول ملوك الطوائف والأسر الحاكمة ذات الأصل المغربي (المرابطون والموحدون) إعادة الازدهار الخاص بالخلافة القرطبية إلى ممالكهم فتزاحموا على امتلاك المنيات الشهيرة مثل منية ملك طليطلة المأمون بن ذي النون (١٠٤٣ - ١٠٦٥) والمعروفة باسم «المنية المنصورة» التي أمر المأمون عالمي الزراعة ابن وافد وابن بسال بتولي زراعة بساتينها وحدائقها، وكان في وسطها بركة كبيرة بها مقصورة رائعة أشير إليها من قبل اسمها «مقصورة الناعورة» كتبت عنها أبيات



النوافير زينت قصور الأندلس

شعرية كثيرة. وقد دمرت هذه المنية الرائعة بعد ذلك بيد المرابطين ثم الموحدين فالمسيحيين خلال محاصرتهم لطليطلة وتطبيقهم إستراتيجية «الأرض المحروقة للعدو». أما في أشبيليا فقد اشتهر على ضفاف نهر الوادي الكبير «مرج الفضة» الذي كان يتوجه إليه وجهاؤها حتى القرن الثالث عشر للاجتماعات المرحة غير الرسمية. ويذكر أيضاً هذا الفصل نقلاً عن المؤرخين أن المعتمد ابتنى فوق بحيرة مشهورة باسم «البحيرة الكبرى» منصة للراحة محاطة بغابة من الحدائق والبساتين، وبعده بزمن قصير قام الخليفة الموحد أبو يعقوب يوسف (١١٦٣ - ١١٨٤م) ببناء قصور شامخة في المكان نفسه باسم البحيرة، وزرع فيها أجود أنواع أشجار الزيتون والتين والكروم والتفاح والكمثرى والبرقوق... إلخ. ويذكر الفصل عدداً كبيراً من المتنزهات في بلنسية وغرناطة التي اشتهرت بها «جنة العريف» وهي منتجع صيفي للملوك النزاريين، وهم في أصولهم البعيدة يعودون إلى الجزيرة العربية. وهي لخصوبتها ووفرة مياهها تغنى بها الشعراء المسلمون والمسيحيون في الأندلس، وكان أفضلها أبيات ابن الخطيب الذي يصف منيات غرناطة بأنها كانت تحزمها مثل سوار من خضرة وبمئات الجنات فكانت تنتشر في كل مكان العُرس وأشجار التفاح والحبوب والخضراوات.. إلخ ويواصل الفصل ذكر أسماء أشهر المنيات الأندلسية التي لا نعجب من الأشعار التي كتبت في وصفها وخلدتها لنا.

وتروي الأسطر الأخيرة من الكتاب قصة أسطورية اشتهرت عن الصوفي الأندلسي الشهير محيي الدين بن عربي الذي زار أطلال مدينة الزهراء في بداية القرن الثاني عشر، وسمع هناك طائراً يغرد بلا توقف على فرع شجرة، فسأله ابن عربي عن سبب نحيبه فأجابه بأنه يبكي عهداً مضى ولن يعود أبداً. وينتهي الكتاب بقوله: إنه على الرغم من الحنين إلى ذلك العهد إلا أنه قد تجدد مع الزمان، وصار قادراً على إثارة الإعجاب وذلك بفضل الماء: خير دروب الأمل. ثم بفقرة من إحدى رسائل أستاذ العلوم الإنسانية الإيطالي الشهير بيدرو مارتير ديه أنجليرية (١٤٥٧ - ١٥٢٦م) التي كتبها عندما زار غرناطة في الربع الأول من القرن السادس عشر والتي يقول فيها:

«إجمالاً فإن البلد كله يشبه لفخامته ونضارته ووفرة مياهه، الفردوس لقد تأكدت بنفسي كيف أن هذه المياه الصافية التي تجري بين أشجار زيتون وارفة وبساتين خصبة، تثلج الصدر وتولد طاقة جديدة للحياة»

حقًا لقد استحق أولئك الأندلسيون كل هذا العلاء.

من كتب التراث

تاريخ الطبري

درة فكر التاريخ الإسلامي

محمد الصادق عفيفي

لا أغالي أو أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إن الجيل الماضي كان أكثر صلة، وأوثق معرفة من الجيل الحاضر بتراثنا من التاريخ الإسلامي والتاريخ العام، بل تربى عليه(١)، أما الجيل المعاصر فهو أبعد ما يكون عن أمهات كتبنا القديمة، سواء في مجال الأدب، أو التراجم، أو التاريخ العام، أو تاريخ العلوم، فهو لا يعرف شيئا عن تاريخ الرسل والملوك للطبري، أو أغاني الأصفهاني، أو رحلات ابن بطوطة، أو طبقات ابن أبي أصيبعة.

ومن ثم رأيت أن أقدم في هذا المقال دراسة لكتاب «الرسل والملوك..» لمحمد بن جرير الطبري(٢)، أحد الكتب العظيمة الأهمية، وذات التأثير الفكري في التاريخ الإسلامي، وقد عني المسلمون بالتاريخ عناية كبيرة، حتى قام بعض مستشرقي الألمان بإحصاء المؤرخين من المسلمين في الألف سنة الأولى من الهجرة، فبلغوا تسعين وخمسمئة مؤرخ عدا من فاته منهم.

ومع أن بعض المستشرقين قصد إلى الحقيقة والموضوعية في أثناء تناولهم للتاريخ الإسلامي، بل في كل ما يمس الإسلام والمسلمين، إلا أن جمهرتهم قد خنقت الحقائق، وزيفت الوقائع، وحاولت التدليس والمغالطة، لأنهم - ولاشك - متأثرون في ذلك بولائهم لعقيدتهم وسياسة بلدانهم، وكل ذلك لا يخفى على الباحث المدقق(٣).

ومن الجناية على الإسلام والمسلمين أن نتلقى الإسلام عن أعدائه، وعمن يجهلونه، ويجهلون بواعثه وأسبابه ودقائقه مهما بلغ فهمهم للفصحى، أو نتلقاه من عبيد التقليد الذين يرددون ما يقوله الأجانب دون وعي أو روية، إلا شهوة أن يقال عنه: (إنه نقل عن الإنجليزي أو الفرنسي أو الألماني الفلاني). هذه الآراء التي حسبوها أثوابا تشبع نهمهم، وأنهم وقعوا فيها على جديد، ولكنها في حقيقتها أكفان بالية مهلهلة تطوي السم بين لفائفها.

نعم يمكن أن نستفيد من المنهج الاستشراقي إلى أقصى حد، فالحكمة ضالة المؤمن - ولكن يجب أن نصوغه بفكرنا وقلمنا وشعورنا، ووحي عقيدتنا، ولا يخفى علينا أن اهتمام العرب بالتاريخ قد بدأ منذ وقت مبكر، (وقد قام الإسلام بدور الحافز في هذا الاهتمام، كما كان هو الحافز في شتى العلوم، اللغوية والدينية والرياضية والطبية..)(٤)، وقد اتجهوا في كتابته اتجاهات مختلفة، فمنهم من ترجم لشخص كما فعل مؤرخو السيرة، حيث كان الاهتمام كله موجها لسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، واشتهر من بينهم محمد بن إسحاق (ت:١٥٢هـ)، وقد رواها عنه ابن هشام (ت:٢١٣هـ) وعرفت بسيرة ابن هشام.

ومنهم من ترجم لجماعة تجمعهم صفة واحدة، كما فعل أبو عبدالله بن سعد، (٢٣٠هـ) في كتابه «الطبقات» الكبير، حيث ذكر فيه تاريخ الصحابة والتابعين. وغاية هؤلاء المؤلفين أن يجعلوا من حياة النبي - صلوات الله عليه - ومن حياة الصحابة وتصرفاتهم مثالا يحتذى، وأن يمجدوا البطولات التي أبدوها في الفتوحات الإسلامية.

ومن هنا جاء مؤرخو الطبقات كابن سعد هذا، ومؤرخو الفتوحات كالبلاذري ت: ٢٧٩هـ) في كتابه «فتوح البلدان»، ومؤرخو البلدان كالأزرق (ت:٢٥٠هـ) في كتابه «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار»، ومؤرخو التراجم العامة التي مثلت دورا بارزا في مؤلفات العرب، مثل ابن خلكان (ت:٦٨١هـ) في كتابه «وفيات الأعيان»، ومؤرخو التاريخ العام مثل محمد ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) في كتابه «أخبار الرسل والملوك»، وهو المعروف بتاريخ الطبري.

وهو كتاب ضخم يقع في عدة مجلدات، وقد طبع في لندن، وفي مصر بدار المعارف وهي أصح الطبعات(٥)، وقد سلك فيه طريق الإسناد إلى الرواة مكتفيا بذكر الأسباب المباشرة، دون أن يعرض النص على تفكيره الخاص، ودون أن يزنه بميزانه النقدي، وأن يقوم بتحليله، وهو يذكر ذلك صراحة في مقدمته فيقول: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما دونته، إنما هو ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون أن أدعم ذلك بحجج العقول، واستنباط النفوس إلا اليسير القليل(٦).

وكانت ولا تزال للكتاب فائدة جليلة، مما دفعنا إلى التعريف به، لأنه يعد من أوفى المراجع، وأكثرها إحاطة بالروايات المختلفة، سواء في التاريخ القديم أو التاريخ الإسلامي، وفي هذا يقول جورجي زيدان: «إن الطبري يعد عمدة المؤرخين، ومرجعهم في التحقيق، وإن القوم منذ القديم حتى اليوم قد تغالوا في اقتناء كتابه

حتى كـان منه في خزانة العـزيز الفاطمي عـشـرون نسـخـة بخط المؤلف، وعني به المستشرق الألماني فـي نولدكه ـ هو وغيره عناية خـاصـة ـ وقـد ترجم إلى الألمانيـة الجـــزء الخـــاص بتـــاريخ (الفـــرس الســـاســـانيين) وترجم إلـى اللاتينيـــة والتركية)(٧).

ويقـول عنه المسـتـشرق جـيب: (كـان الطبـري أولاً من رجال الحـديث النبـوي، وعلماء الدين، وقد قصد بكتابه في التاريخ استكمال تـفسيره للقرآن، ولـلكتاب مزاياه الإيجابيـة التي تتمـثل في الاعـتـماد عليـها وشمولها، مما كان حـافزاً لاعتماد كل من جاؤوا من بعده عليه، وقـد عُني غير واحد بكتابة ذيل أو تكملة لهـذا التاريخ من حيث توقف)(٨).

وقد بدأه ببدء الخلق، منذ تاريخ آدم أبي البشريـة، ومن خلفه مـن الأنبيـاء عليـهم السـلام، ثم أخـبـار بني إسـرائيل، وملوك بابـل، والفــرس واتصـــالـهم بالـيــونان والرومـان، ثم انتـقل من بعـد ذلك كله إلى نسب الرسـول عليه السلام، وذكـر بعض أخبار آبائه وأجداده، وسيرته وغزواته، ثم أحـــداث المسلمـين سنة فـــسنة إلى سـنة (٣٠٢هـ ـ ٩١٤م) أي فـــاتحـــة الـعـــام الهجري الرابع.

وقد سلك في تاريخه إلى جانب السَّنَد، طريقـة التـاريخ لأحـداث المسلمين، وفق نظام السنين فـهـو يذكر السـنة، ويذكر مـا حدث فيها في الأقطار الإسلامية المختلفة، حـتى إذا استـوفـاها انتـقل إلى السنة التي بعدها، مهـتـمـا في ذلك كله بالرواية، أي تدوين الأخـبـار في (روايات مـعنعنة) أي منقـولة مـن فـلان عن فـلان، إلى أول من روى الخبـر، حتى إنه ليـجمع في الحـادثة الواحدة أكثر من رواية، مما يمكن الباحث أن يراجع ويوازن بين الروايات المخـتلفـة، ويختار أقربها إلى الصدق.

على أنه هو نفسـه قد قام بقسط مـوفور في هذه الناحية، فاستبعد الروايات التي لم يصح سندها، والتي ظـهر خطؤها، وكـان عمله في الـتاريخ كعـمل البخـاري ومسلم في الحـديث الـنبـوي فكلاهمـا قـد صـفى الحديث، وخلَّصـه من كثـير مما دخله من الزيف، وكـذلك الطبـري نقى التـاريخ من الزيف. «وليس في القدماء ممن كـتبوا في التاريخ، من لم يستفد من الطبري، ويتأثر بطريقـتـه، وكـان الطبـري جـريء الفكر، جريئًا على الجهر بأفكاره»(٩)، كما «كان عظيم التدقيق، عظيم الصـبر على العمل، وقد وضع تاريخه على أوسع مدى ببراعة فائـقة ومعلـومات غزيرة، وحـكم مستـقل، وأسلوب عربي جـذاب»(١٠)، يجمع بين السـهـولة، والوفـاء بالغـرض من أقـرب سـبيل، وفي تصـويره للحـوادث وضـوح وقـوة، «وقد مكنتـه سـعـة اطلاعـه على الأدب من أن يرصع كـتـابه بمجمـوعـة صـالحة من القصـائد الشائقـة، والخطب البليغة، والأمثال الحكيمة، ينزلها منازلها اللائقـة مـن سـياق الكلام فـيـضـيء بهـا جـــوانـب التـــاريخ، ويـجلو غـــوامض الأحداث»(١١).

وكـــان المؤرخـــون يكتــفـــون في أول أمـرهم بالأخـبـار عن الملوك والحكام، ثم مـا برحـت كـتـابة التـاريخ تـرقي، حـتى وجب أن يكون التـاريخ وسـيـعـاً، يتناول وصـفـاً لحـيـاة الشـعـوب، وبيـان أحـوال المجتمعات، وشـرحـاً لقوانين التطور، وقد غدت المادة التي تدخل في التاريخ غزيرة جداً.

ولكن التـاريخ فـي كل هذا، والتــاريخ الإسـلامي بصـفـة خـاصـة «لابد أن يكون مـعروضـاً من وجـهـة النظر الإسـلاميـة، بصـورة صحيحة، وتـلك ضرورة لا مـفر منهـا، ليس فـقط لأهمـيـتـهـا، ولكن أيضـاً لانطبـاقـهـا عـلى الواقع التـاريخي، وهذا العـرض لا يتـهـيـأ إلا إذا كـان من منطلق إسلامي، وبقلم مؤرخ ممن يقفون في وسط الحياة الإسلامية، ويطلُّون من خلالها على الأحداث والوقائع، ويعيشونها بكل كيانهم في جو إسلامي»(١٢).

وقـد كان للمسلمين في كـتابة التـاريخ طريقتان:

الطريقـة الأولى: أن يـسـردوا السنين، ومـا وقع فـيـهـا من الحـوادث في أي مكان مسندة من غير اتصال ولا رابطة كما فعل الطبـري، وابن الأثيـر (ت: ٦٣٢هـ) في «الكـامل فـي التـــاريخ»، والجـــزري (ت:٨٣٣هـ)، وأبو الـفـداء (ت:٧٣٢هـ) في «مـخـتـصـر تاريـخ البـشـر»، وتلك الطريقـة على ما فـيـها من إضـجار، فـهي الأصلية عند العرب.

والطريقة الثـانية: أن يسوقـوا الحوادث باعتبـار الأمم والدول، كما فعل المسعودي (ت:٣٤٦هـ) في «مـروج الذهب»، وابن الطقطقـي (ت:٧٠٩هـ) في «الفـجـري»، وابن خـلدون (ت:٨٠٨هـ) في «العـبـــر وديوان المبـتدأ والخـبـر»، وابن العبـري (٦٨٥هـ) في «مـخـتـصـر تاريخ الدول»، وفي كلتـا الطريقـتين، لابد أن نفـهم أن التـاريخ الإسـلامي ليس مـجـرد أحـداث، وظواهر اجتمـاعية وسياسية واقـتصادية، بل هو روح الشـعـوب، وحيـاة الدول، وهو كيان الأمـة الإسلامية من حيث عقيدتها، وحضارتها، ومدنيتها، وثقافتها.

الهوامش والمراجع:

١ـ كان من ثمرة ذلك على سبيل المثال في السعودية: تاريخ مكة لأحمد السباعي، وتاريخ جده لعبدالقدوس الأنصاري، وفصول من تاريخ المدينة المنورة لعلي حافظ، وموسوعة تاريخ الجزيرة لأمين مدني، والمخلاف السليماني للعقيلي.

٢ـ ترجم له ياقوت الحموي قديماً في كتابه معجم الأدباء: ١٨/٤٤، وترجم له حديثًا في كتاب خاص الدكتور أحمد الحوفي.

٣ـ الإسلام في مفترق الطرق للمستشرق المسلم محمد أسد: ٥٣ (ط. دار العلم، بيروت، دون تاريخ).

٤ـ المحيط لجبران مسعود:١/٢١٤ (ط. دار المكشوف، بيروت ١٩٥٩م).

٥ـ حققها العلامة: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٧٧م.

٦ـ تاريخ الطبري: ج١، ص٧، (ط. الرابعة، دار المعارف بمصر ١٩٧٩م).

٧ـ تاريخ آداب اللغة العربية: ٢/٢٤٠ (ط. دار الهلال ١٩٦٠م).

٨ـ دراسات في حضارة الإسلام: ١١٨ (مترجم) ط. دار الشروق بمصر ١٩٦٠م.

٩ـ ضحى الإسلام لأحمد أمين: ٢/٢٠٤ (ط. النهضة المصرية ١٩٤٥م).

١٠ـ فلسفة التاريخ لروبرت فلنت (مترجم) ط. دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٧م.

١١ـ انظر مقالاً لعلي أدهم بمجلة الهلال:٥٠ في ديسمبر ١٩٧٥م.

١٢ـ انظر مقالاً لفيصل حنبلي بمجلة البعث الإسلامي، ج١٣، ع٥، ص٥٢، بالهند، فبراير ١٩٦٩م.

الملف الثقافي

رحيل عدد من أعلام الفكر الإسلامي

الاحتفال بمئوية همنجواي

مؤتمر لحماية التراث الشعبي

نشاط فني مكثف في مناطق المملكة

أمين معلوف مسروقاً !!

سيرة أولبرايت في كتاب

أحدث الإصدارات والدوريات



خاتمة المطاف:
درهم تذكاري
أموي

مؤتمر لحماية التراث الشعبي

أقيم في واشنطن في الفترة من ٢٧ يونيو / حزيران إلى ٣٠ يونيو / حزيران ١٩٩٩م «المؤتمر الدولي لحفظ وحماية التراث الشعبي»، بالتعاون بين اليونسكو ومعهد سيميشونيان، وحضره أكثر من مئة وخمسين شخصًا جاؤوا من مختلف أنحاء العالم، وتمثلت خطوط المؤتمر الرئيسة في:

- التركيز على أهمية احتياج البلاد لتميز الدور الثقافي التقليدي للفلكلور والمخاطر التي تواجه المهن من تعدد أصولها.
- إدراك قدرة الحرف والمهن للثقافة التقليدية والفلكلور على الإسهام في إظهار مهارة على المستوى المحلي والدولي والسياسي في شتى الجهات «الصحة والتعليم والشباب».
- الدور المهم للحكومات والمنظمات غير الحكومية في إبراز التراث الثقافي والفلكلور وحمايته بصورة سريعة بقدر المستطاع.



وفي نهاية الاجتماعات أصدر المؤتمرون توصيات موجهة إلى الحكومات والجمعيات الخاصة، وجاءت أهم التوصيات في الآتي:

- تشجيع البرامج التي تقدم الثقافات التقليدية والمتوارثة.
- دعم البرامج التي تتضمن تعليم الحرف

وفاة الشيخ مناع القطان



الشيخ مناع القطان

توفي الشيخ مناع خليل القطان العالم والداعية المعروف عن عمر يناهز ٧٥ عامًا، بعد أن قضى جل حياته في رحاب العلم والعلماء والدعوة إلى الله، والتأليف، والإشراف على رسائل الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية، والمشاركة في الندوات والمحاضرات والمجالس والهيئات العلمية، وكان الشيخ يواصل نشاطه حتى آخر حياته، على الرغم من مرض السرطان الذي أصيب به في كبده وأجري له العديد من العمليات الجراحية، فقد واصل خطبه في مسجده على شارع المطار، وواصل إشرافه على رسائل الطلاب الجامعية التي كانت آخرها رسالة تتعلق بدور الملك فيصل في الدعوة إلى الإسلام.

ولد في قرية «شنشور» إحدى قرى محافظة المنوفية عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٥م، وتلقى تعليمه الأولى بها حيث حفظ القرآن الكريم في مكتب القرية، وأنهى دراسته الابتدائية بها، ثم التحق بالأزهر وحصل منه على الشهادة العالية من كلية أصول الدين، ثم التحق بالتخصص وحصل على العالمية مع إجازة التدريس.

وعاش حياة حافلة بالأحداث، وعاصر فترة مهمة في تاريخ مصر والعالم العربي وهي فترة الخمسينيات.

عمل العالم الراحل بالتدريس بعد تخرجه في

وكيفية العناية بالمنزل.

- رعاية المجتمعات التي تنمو فيها الثقافات التقليدية والمهارات اليدوية مع حفظ حقوق وكرامة العامل الحامل للمهنة.

- عمل برامج تدريب للعاملين بالجهاز الإداري والحكومي لمن يرغب تعلم بعض الحرف المتوارثة.

- مد يد العون المادي للمجتمعات الحرفية لتنشيط الإبداع لديهم وتسهيل خروج أعمالهم من مجتمعاتهم المحلية للمجتمعات الخارجية.

- الاعتراف بالمهارات اليدوية التي يقوم بها صغار الحرفيين لتشجيعهم عليها.

- الخروج بالصناعات والحرف المحلية إلى مجالات السياحة والتعليم والتنمية والتنظيمات الحكومية وغير الحكومية.

- التفكير في تخصيص يوم عالمي لحماية الفلكلور والثقافة التقليدية.

أنشطة فنية في مناطق المملكة



لوحة للفنان سعيد قمحاوي «أصالة»

شهد صيف المملكة العربية السعودية هذا العام حركة فنية نشطة عمت أرجاء عديدة من المملكة، وكان تنشيط السياحة الداخلية واحدًا من أهداف هذه الأنشطة الثقافية والفنية.

ففي إمارة الباحة أقام فرع جمعية الثقافة والفنون المعرض التشكيلي الرابع الجماعي، قام بافتتاحه الأستاذ أحمد بن منيف المنيفي وكيل إمارة منطقة الباحة المساعد، نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن محمد بن سعود ➤

مصر قبل عام ١٣٧٣هـ، ثم واصل عمله بالتدريس في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٣٧٣هـ، فعمل في كلية الشريعة، وكلية اللغة العربية، والمعهد العالي للقضاء، ثم عمل عضوًا بهيئة التدريس بدرجة «أستاذ» بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومشرفًا على الدراسات العليا.

وله عدة أبحاث ومؤلفات كثيرة مطبوعة منها: «تفسير آيات الأحكام» (مجلدان)، و«مباحث في علوم القرآن»، و«تاريخ التشريع الإسلامي»، و«مباحث في علوم الحديث»، و«نزول القرآن على سبعة أحرف»، و«وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية»، و«معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية»، و«الحديث والثقافة الإسلامية» (ثلاثة كتب مقررة في المرحلة الثانوية للبنين والبنات)، و«نظام الأسرة في الإسلام»، و«موقف الإسلام من الاشتراكية»، و«رفع الحرج في الشريعة الإسلامية»، و«مزايا الثقافة الإسلامية»، و«الحاجة إلى الرسل في هداية البشرية»، و«إقامة المسلم في بلد غير مسلم»، و«رعاية الإسلام للمعاقين»، و«التكييف الفقهي للتبرع بالأعضاء وزراعتها»، و«القضاء في العهد النبوي وفي عهد الخلافة الراشدة»، و«حرب الخليج في الفقه الإسلامي».

وله - رحمه الله - كتب مخطوطة لم تطبع بعد، من بينها: «تاريخ التفسير ومناهج المفسرين»، و«الفرق الإسلامية»، و«العقيدة والمجتمع»، و«الزواج بأجنبية»، و«التوجه الإسلامي للعلوم»، و«تعليم الفتاة».

ابن عبدالعزيز وكيل إمارة منطقة الباحة، وذلك ضمن فعاليات برنامج التنشيط السياحي بمنطقة الباحة لعام ١٤٢٠هـ. واحتوى المعرض على ثماني لوحات لفنانين وفنانات سعوديين أغلبهم من منطقة الباحة.

أما في مدينة جدة، فقد قامت الإدارة العامة للنشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب بافتتاح المعرض الثالث عشر للأنشطة الثقافية في إطار فعاليات جدة ٩٩، وقد تضمن هذا المعرض عدة أجنحة منها: جناح الفنون التشكيلية الذي ضم ٣٠ لوحة لفنانين وفنانات سعوديين، كما شارك فيه «بيت الفوتوغرافيين» بجناح للتصوير الفوتوغرافي، وشاركت الإدارة العامة لمكافحة المخدرات بجناح عرضت فيه لوحات إرشادية وتحذيرية للعواقب الوخيمة لاستعمال المخدرات.

وكانت مشاركة الرعاية العامة لرعاية الشباب بجناح شمل إصداراتها من الكتب والكتيبات وإصدارات تعكس نشاطاتها المختلفة، وجناح خاص برسومات الأطفال، وجناح للكاريكاتير.

مهرجان صور العمانية للشعر والقصة



سالم بن عبدالله الغزالي

برعاية معالي سالم بن عبدالله الغزالي وزير المواصلات، وبحضور معالي الشيخ محمد بن مرهون المعمري رئيس الهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية بسلطنة عمان، انطلقت فعاليات المهرجان التاسع للشعر والقصة لدول مجلس التعاون الخليجي والملتقى الخامس لشباب السلطنة بمدينة صور العمانية.

المدينة تشيع الشيخ عطية سالم



الشيخ عطية سالم

توفي بالمدينة المنورة في عصر الإثنين ٦ ربيع الآخر ١٤٢٠هـ (١٩يوليو/تموز ١٩٩٩م) الشيخ عطية محمد سالم عن عمر يناهز ٧٤ عامًا.

ولد في مصر في عام ١٣٤٦هـ وبدأ حياته الدراسية بكتاتيب قريته، ثم المدارس الابتدائية فيها، والتحق بعدها بالمعهد العلمي في الرياض ونال شهادته، ثم كلية الشريعة واللغات العربية في الرياض أيضًا، ونال شهادته العالمية، ثم واصل دراسته فتلقى العلم بعد ذلك على أيدي مشايخ فضلاء بالمسجد النبوي الشريف منهم الشيخ عبدالرحمن الأفريقي، والشيخ محمد بن علي الحركان، والشيخ محمد بن تركي، ثم لزم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وقتًا طويلاً.

عمل في معهد الاحساء العلمي وفي كلية الشريعة في الرياض، وكلية الشريعة في مكة المكرمة، ثم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فالمعهد العالي للدعوة التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة.

وكان يقوم بالتدريس في المسجد النبوي منذ عام ١٣٨٤هـ، وكان يعمل بالقضاء في المحكمة الشرعية الكبرى في المدينة المنورة، إلى جانب مشاركاته الأخرى في إلقاء المحاضرات

وقد تحدث في حفل الافتتاح كل من الشيخ هلال بن محمد العامري مدير عام النشاط الثقافي بالهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية مرحبًا بالحضور، تلاه الأستاذ خالد محمد الحمد ممثل الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي، ثم ألقى كل من الشاعر خميس بن محمد المقيمي والشاعرة شفيقة الجابري عدداً من قصائد الترحيب.

وأكد معالي سالم الغزالي «أن هذا الملتقى الثقافي يجسد بعد النظرة ويجسد وحدة اللقاء بين أبناء المجلس وينمي إبداعاتهم الفكرية والأدبية».

تلا ذلك معالي الشيخ محمد بن مرهون المعمري رئيس الهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية، فأوضح أنه سعيد بانعقاد هذا المؤتمر على أرض عمان، وعدّد فوائد مثل هذه الملتقيات خصوصًا أثناء الإجازة.

وتكوّن الوفد السعودي المشارك في هذه التظاهرة من عبداللطيف بن محمد آل الشيخ رئيسًا، وغرم الله أحمد المالكي إداريًا، والشاعر نايف رشدان العتيق (شاعر فصيح)، ورشيد دهام السبيعي (شاعر شعبي)، وعبدالله الوصالي (قاص)، والشعراء محمد سعد الدخيني، ومحمد عبدالرحمن المقرن وصالح عبدالله العلياني.

أمين معلوف مسروقًا!!

كيف نحمي المؤلف ونحافظ على حقوقه الفكرية؟ هذا السؤال طرحه ملحق بيان الكتب وهو ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر ويعنى بشؤون الكتب، ففي العدد الصادر بتاريخ ٦ ربيع الآخر ١٤٢٠هـ الموافق ١٩ يوليو/ تموز ١٩٩٩م. جاءت كلمة الملحق عن عملية السطو والقرصنة التي تعرضت لها رواية «الهويات القاتلة» للروائي اللبناني الأصل ـ الفرنسي ➤

والدروس في المؤسسات العلمية والثقافية والرياضية بالإضافة إلى قيامه بإعداد برامج إذاعية ثابتة ومعروفة وتقديمها.

وللشيخ عطية عدد من المؤلفات بعضها منشور وبعضها الآخر لا يزال مخطوطًا، ومن كتبه المنشورة: «مع الرسول صلى الله عليه وسلم في رمضان»، و«نكاح المتعة عبر التاريخ»، و«السؤال والجواب في آيات الكتاب»، و«تفسير أضواء البيان» (الجزء الثامن)، و«تفسير أضواء البيان» (الجزء التاسع)، و«ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي» (ملحقة بالجزء التاسع من كتاب أضواء البيان).

ومن كتبه التي لم تنشر: «تراجم القراء عبر التاريخ»، و«تاريخ المدينة المنورة الحديث».

وفاة عالم النفس الدكتور محمد خير عرقسوسي


د. محمد خير عرقسوسي

توفي في ٢٥ ربيع الأول الماضي (٩يونيو/ تموز ١٩٩٩م) الأستاذ الدكتور محمد خير بن حسن عرقسوسي عن عمر يناهز ٧٧ عامًا، وذلك بمدينة سلا بالمملكة المغربية.

ولد الراحل في مدينة دمشق في عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٢م)، وأكمل المرحلة الابتدائية في مدارس جمعية الإسعاف الخيري، وتابع دراسته الثانوية في مدارس اللايك الفرنسية بدمشق، ثم التحق في وقت واحد بالأزهر الشريف وجامعة الملك فؤاد الأول ➤

الجنسية ـ أمين معلوف.



أمين معلوف

فقد قام الملحق بنشر عرض للرواية وصله من أحد كتابه في دمشق مرفقًا معه غلاف للرواية صادرة عن (دار ورد)، وما إن نشر الموضوع حتى انهالت المكالمات الهاتفية والفاكسات على الملحق تؤكد أن قرصنة وسرقة وقعت على جسد الرواية.

والقصة ـ كما جاءت في الملحق ـ أن حق نشر هذه الرواية حازت عليه دار النهار اللبنانية وأصدرت طبعتها لهذه الرواية في عام ١٩٩٨م، وكانت قد دخلت في خلاف مع دار الفارابي التي كانت تعد لإصدار هذه الرواية وانتهى الخلاف بقيام دار الفارابي بإتلاف ما طبعته من الرواية!!

في الوقت نفسه قامت كل من دار ورد ودار الجندي بدمشق بطباعة الرواية طبعتين مختلفتين وبأسماء مترجمين مختلفين لتصبح هناك أربع طبعات للرواية نفسها ومن مصادر مختلفة. فما الحل؟ الملحق يراه في الدخول في معاهدة حماية المصنفات الفكرية والتزام تنفيذ كل بنودها، وهو أمر يحفظ حق المبدعين، وينظم جهد المترجمين، فلا يترجم عمل واحد أكثر من مرة في أكثر من مكان، كما حدث لهذه الرواية.

السؤال الذي يطل بوجهه يقول: هل لدى (دار الجندي) و(دار ورد) الإذن بترجمة هذه الرواية؟!

إننا مثل الجميع ننتظر هذه الإجابة!!

وفاة الحسين فوزي

رائد فن الحفر في مصر والعالم العربي

توفي في الرابع عشر من يوليو/تموز الماضي الفنان التشكيلي المصري الحسين فوزي عن عمر يناهز ٩٤ عامًا، والفنان الراحل يعد رائدًا لفن

لدراسة علم النفس، حتى أكمل تعليمه الجامعي في أواخر ١٩٥٢م، عاد إلى دمشق والتحق بالسلك الدبلوماسي ملحقًا تعليميًا في السفارة السورية بالباكستان التي أمضى فيها ثلاث سنوات، وشارك خلال هذه الفترة في تأسيس مدارس لتعليم اللغة العربية إلى جانب معهد لتكوين معلمي العربية، وأسهم في وضع سلسلة لتعليم اللغة العربية، وفي الوقت نفسه حصل على الماجستير في علم النفس من جامعة كراتشي، وعاد إلى دمشق ليعمل في حقل التدريس، وابتعث بعد ذلك إلى جامعة السوربون لاستكمال دراساته العليا، ولكنه اختلف مع مشرفه، فتنقل بين جامعات فرنسا حتى استقر أخيرًا في سويسرا، حيث معهد جان جاك روسو «معهد العلوم التربوية بجامعة جنيف» ودرس هناك تحت إشراف عالم التربية المشهور جان بياجيه، فحصل على الدكتوراه في التربية المقارنة والتخطيط التربوي وكان عنوان أطروحته للدكتوراه: L' ETALONNAG EN PEDAGOGIE COMPAREE **تمكن فيها من إيجاد قوانين إحصائية يساعد تطبيقها على استخلاص سلم معياري نظري بطرق جبرية تسمح باعتبار أوزان نوعية مقابلة لدرجات مئوية ثابتة لا تتغير، لاستخلاص قوانين اجتماعية تربوية احتمالية ثابتة في ميدان التربية المقارنة، وشارك خلال إقامته في سويسرا في تأسيس أول مسجد في جنيف، وكان يقوم طول تلك الفترة بتعليم العربية لغير الناطقين بها.**

الحفر في مصر والوطن العربي، وكان قد أوفد في بعثة إلى فرنسا لدراسة فن الحفر، وبقي فيها مدة ٣ سنوات عاد بعدها إلى مصر ليؤسس قسم الحفر بكلية الفنون الجميلة في سنة ١٩٣٦م ويصبح رئيساً له، وكانت كلية الفنون الجميلة يومها مدرسة عليا بدرب الجماميز.


الحسين فوزي

وتعد لوحته «الدلالة» أشهر لوحة في تاريخ الفن المصري الحديث رسمها قبل ٥٩ عاماً وتبلغ مساحتها ٥ر٢×٥ر١متر، وله بعض اللوحات التي صاحبت رواية الكاتب المصري الكبير نجيب محفوظ «أولاد حارتنا»، كما أن له معجماً يضم بعض لوحاته وبعض الخرائط لمصر طبعتها مصلحة المساحة التي درجت على إهدائه إلى كبار الزوائر.

اكتشافات أثرية

في منطقة القصير التي تبعد نحو ٥٠٠كم شرق القاهرة على ساحل البحر الأحمر، اكتشفت بعثة مصرية بلجيكية مشتركة كهفاً أثرياً يعود تاريخه إلى ٧ آلاف عام قبل الميلاد.

وقال جاب الله علي جاب الله الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار: إن النقوش والآثار المكتشفة تسجل النشاط اليومي لإنسان تلك الفترة.

وصرح محمد الصغير رئيس قطاع الآثار المصرية أن الآثار المكتشفة تتمثل في فؤوس ومقاشط وسكاكين ومخارز مصنوعة من حجر الصوان، وفي داخل الكهف عثرت البعثة على بعض الصور لطيور وحيوانات ومراكب.

وأضاف الصغير أن البعثة عثرت أيضاً على أدوات مشابهة لهذه الأدوات المكتشفة داخل كهف آخر مجاور لهذا الكهف.

وعندما عاد إلى سورية عمل مدرساً بجامعة دمشق، وبعد خمس سنوات أعيرت خدماته للعمل في كلية التربية بمكة المكرمة، وعاد بعد ذلك إلى جامعة دمشق، ثم طلبته منظمة اليونسكو للمشاركة في تأسيس كلية التربية بجامعة الرياض (الملك سعود حالياً)، وتعاون في الوقت نفسه مع إدارة الكليات والمعاهد الإسلامية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حالياً)، وأصدر ثلاثة كتب أساسية في العلوم السلوكية، وشارك في تأسيس قسم الدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة مكة المكرمة، وعمل بعد ذلك في اليونسكو خبيراً في التربية في معهد المعلمين العالي بأم درمان في السودان الذي ألحق بعد ذلك بجامعة الخرطوم وأصبح مسماه كلية التربية، وعاد إلى جامعة دمشق، ثم تعاقد للعمل في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط حيث شارك في تعريب الدراسات الاجتماعية والنفسية والإحصاء في الكلية، وأسس مؤسسة بدر الخاصة للتربية والتعليم، وعاد في نحو عام ١٩٧٦م ليتعاقد للعمل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فشارك في تأسيس قسم علم النفس بكلية العلوم الاجتماعية ومعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها، ثم عمل في جامعة أم القرى في مكة المكرمة منذ عام ١٩٨٣م، فشارك في تأسيس قسم الماجستير والدكتوراه في كلية التربية بها، كما تعاون - يرحمه الله - مع رابطة العالم الإسلامي وجمعية تحفيظ القرآن الكريم بجدة، وأشرف على أكثر من ٤٥ أطروحة ماجستير ودكتوراه، وألقى محاضرات

يغير ألوانه البحر



نازك الملائكة

صدرت بالقاهرة - مؤخراً - مجموعة شعرية جديدة بعنوان «يغير ألوانه البحر» للشاعرة العراقية نازك الملائكة المقيمة حالياً بالقاهرة، وذلك ضمن سلسلة آفاق الكتابة التي تصدرها الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ويرأس تحريرها الكاتب إبراهيم أصلان.

جاءت مقدمة الكتاب تحت عنوان «لمحات من سيرة حياتي وثقافتي» وكانت بقلم الشاعرة نفسها، وتحدثت فيها عن تجربتها ولمحات من سيرتها الذاتية ومراحلها الدراسية.

وأوضحت الكاتبة أن المجموعة الشعرية الجديدة «يغير ألوانه البحر» تضم القصائد التي قامت بتأليفها عام ١٩٧٤م، وتحتوي المجموعة على عدة قصائد منها: «ويبقى لنا البحر»، و«الماء والبارود»، و«تتمات في ساحة الإعدام»، وغير ذلك من القصائد.

جون بيرت يحذر من التهديد الثقافي الأمريكي

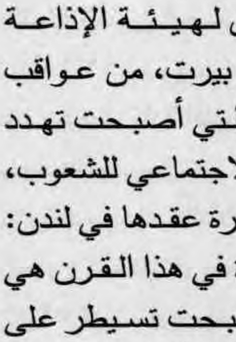
حذر المدير العام السابق لهيئة الإذاعة والتلفزيون البريطانية جون بيرت، من عواقب الثورة الإعلامية الرقمية التي أصبحت تهدد الثقافات القومية والتماسك الاجتماعي للشعوب، وقال جون بيرت في محاضرة عقدها في لندن: إن الثقافة العالمية السائدة في هذا القرن هي الثقافة الأمريكية التي أصبحت تسيطر على البرامج التي تبث عبر شبكات الأقمار الصناعية البريطانية وغيرها من شبكات التلفزيون الخاصة، وحذر من أن باقي الثقافات قد تهبط إلى مستويات أكثر انحطاطًا نتيجة لتأثرها بالثقافة

في المركز العربي للدراسات الأمنية (أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية)، إلى جانب عشرات المحاضرات والندوات واللقاءات الإذاعية والصحفية والتلفازية.

ومن أهم مؤلفاته: «الموازنة في أصول التربية المقارنة»، و«السلم المعياري التربوي وتطبيقاته في التربية المقارنة»، و«الأصول الإسلامية للتربية»، و«التعلم نفسيًا وتربويًا»، و«ابن سينا والنفس الإنسانية»، و«في علم الحسبان».

رحيل الناقد شكري عياد

توفي في القاهرة في ١٠ ربيع الآخر الماضي (٢٣ يوليو ١٩٩٩م) الناقد والأديب الأستاذ الدكتور شكري عياد عن عمر يناهز ٧٨ عامًا.



شكري عياد

ولد الناقد الراحل في كفر شنوان بمحافظة المنوفية في مصر عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، وتخرج في قسم اللغة العربية في جامعة القاهرة (فؤاد الأول) عام ١٩٤٠م، وحصل على الماجستير عام ١٩٤٨م برسالة موضوعها «وصف يوم الدين والحساب في القرآن الكريم»، ثم نال الدكتوراة عام ١٩٥٣م عن رسالة حول الترجمة العربية لكتاب أرسطو في فن الشعر مع ترجمة عربية جديدة له.

وعمل أستاذًا للأدب الحديث في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة القاهرة منذ عام ١٩٦٨م، ثم عميدًا لمعهد الفنون المسرحية عام



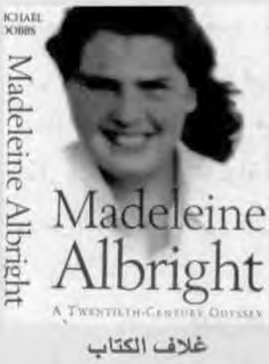
السوقية التي تخاطب الغرائز والشهوات.

ودعا بيرت إلى إيجاد نوع من التوازن في البرامج المقدمة، مع العمل على تفعيل وتشجيع قوة العقل للوقوف ضد هذا الغزو الثقافي.

والجدير بالذكر أن بيرت كان قد عمل - أثناء إدارته لهيئة الإذاعة البريطانية - على إدخال وسائل جديدة للاتصال وانفق في سبيل ذلك ٧٪ من دخل الهيئة على دعم الخدمات الرقمية، وكانت نتيجة ذلك أن جاء ترتيب الهيئة الثاني من حيث إقبال المشاهدين على مشاهدة برامجها.

سيرة أولبرايت في كتاب

«أسفار من القرن العشرين»، وهو عنوان كتاب صدر حديثًا في أمريكا للمؤلف مايكل دوبس عن حياة وزيرة الخارجية الأمريكية الحالية مادلين أولبرايت، تعرض فيه لحياتها منذ ميلادها في عام ١٩٣٧م حينما كان والدها جوزيف كوربل سفيرًا لتشيكوسلوفاكيا في لندن ومشرفًا - في الوقت نفسه - على الإذاعة التشيكية التي كانت قسمًا من الأقسام الخارجية التابعة لهيئة الإذاعة البريطانية، ثم تتبع مراحلها الدراسية والشخصيات التي أثَّرت فيها، وقال: إن أهم ما ورثته مادلين عن والدها هو قوة الانضباط.



غلاف الكتاب

لكن أهم الحقائق التي كشف عنها الكتاب أن أولبرايت لا تعرف الرحمة أو الشفقة، وأورد المؤلف كثيرًا من القصص التي تدل على ذلك منها تجاهلها لأمها وعدم الاهتمام بها حتى ماتت.

وخلص المؤلف في ختام كتابه إلى أن أولبرايت «تلوح ➤

١٩٦٩م، ثم وكيلاً لكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٧١م، وقد عمل بالتدريس في جامعة الخرطوم بالسودان، وجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، ثم تفرغ للكتابة.

ومن أهم إنتاجه العلمي في ميدان النقد: «البطل في الأدب والأساطير»، و«القصة القصيرة في مصر: دراسة في تأصيل فن أدبي»، و«تجارب الأدب والنقد»، و«الأدب في عالم متغير» و«الرؤيا المفيدة»، و«عنترة الإنسان الأسطورة» و«طاغور شاعر الحب والسلام»، و«الحضارات الغربية»، و«موسيقى الشعر العربي»، ومن أعماله الإبداعية في مجال القصة القصيرة «ميلاد جديد» و«طريق الجامعة»، و«زوجتي الرقيقة الجميلة» و«رباعيات»، و«كهف الأخيار»، و«حكايات الأقدمين»، و«الطائر الفردوس».

وقد نال جائزة الملك فيصل للأدب العربي عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، وكان موضوعها «ترجمات الدراسات الأدبية والنقدية إلى اللغة العربية».

الاحتفال بمئوية همنجواي


إرنست همنجواي

صادف يوم ٢١ يوليو/ تموز ١٩٩٩م مرور مئة عام على ميلاد الروائي الأمريكي إرنست همنجواي الذي عدّه بعض النقاد من كبار كتَّاب القرن العشرين، وشغلت أعماله الأدبية الناس زمنًا طويلاً وترجمت رواياته إلى اللغات الحية، وكتب ➤

دائماً بالتهديد في تصريحاتها، وتبدو أكثر تشدداً وتطرفاً من زملائها الرجال في الحكومة، وتميل إلى استخدام الحلول العسكرية أكثر من الرئيس كلينتون نفسه، لأنها بكل بساطة أول امرأة في تاريخ أمريكا تشغل منصب وزير الخارجية الذي ظل دائماً تحت هيمنة الرجال».

مهرجان موسيقى العالم

تشهد مدينة روما في الفترة من ١٦ إلى ٢٥ يوليو / تموز من هذا العام مهرجان الموسيقى في العالم، وسوف يشارك في هذا المهرجان - الذي ستقام فعالياته الفنية في حدائق فيلا بورغيزي - عدد من الفرق الموسيقية في العالم، وتأتي على رأس هذه الفرق المشاركة الفرقة التشيلية الشهيرة أنتي إيليماني التي سوف تفتتح المهرجان، والمعروف عن هذه الفرقة أنها استطاعت أن تدمج الموسيقى الكلاسيكية بالأغاني التراثية التشيلية.

كما أن الفنون الغجرية مرشحة أن تكون غالبة على فعاليات هذه التظاهر الفنية العالمية وذلك بمشاركة كثير من الفرق الموسيقية الغجرية مثل فرقة الفلامنكو (باسيون جيتانا)، وعائلة بايلاردوريس.

وستمثل كوبا بأوركسترا «لاس شيكاس ديل سول»، كما ستمثل إفريقية بفرقة «أدزيدو»، بينما تمثل أمريكا بحضور ستيفنسون كلارك وادي فلويد.

• موسم نوبل، لعام ١٩٩٩م


ألفرد نوبل

أعلنت مؤسسة نوبل في ستوكهولم أن «موسم نوبل» لعام ١٩٩٩م سيبدأ في الحادي عشر من شهر أكتوبر/ تشرين الأول وحتى الخامس عشر منه هذا العام.

وقد حدد يوم الاثنين ١١ أكتوبر/تشرين يوماً لمنح جائزة نوبل في الطب، والثلاثاء ١٢ أكتوبر/ تشرين الأول

عنها كثير من البحوث والدراسات النقدية، كما أنها أغرت كثيراً من المخرجين فحولوها إلى أفلام. وقد حصل همنجواي على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٤م وقد أشادت اللجنة المنظمة إشادة خاصة بروايته «العجوز والبحر».

ومن رواياته التي أخرجت سينمائيًا «وداعًا للسلاح» و«لمن تقرع الأجراس»، و«الغنى والإملاق»، وتحكي «جزائر الغدير»آخر رواياته التي حولت إلى فيلم عن اشتراك توماس هرسون في بعض العمليات الحربية في الحرب العالمية الثانية ضد النازية، وتم إنتاجها في عام ١٩٧٧م.

ولد همنجواي في عام ١٨٨٩م في أمريكا وقضى عدة سنوات في إسبانيا وترحل في كثير من المناطق، وقد تدخلت ثلاثة عوامل في تشكيل شخصيته الأدبية، أولها تجربته وهو صحفي شاب، فالإحساس بالخطر وأسلوب الكتابة الموجزة، والجمل القصيرة كلها جاءت من عالم الصحافة، أما العامل الثاني فهو الحرب العالمية الأولى حيث التحق همنجواي بفيلق إسعاف الصليب الأحمر وأرسل إلى الجبهة الإيطالية، وفي هذه الحرب أصيب بقذيفة مورتر لزم بسببها سرير المستشفى، والعامل الثالث هو طليعية باريس في أوائل العشرينيات حيث مناخ التجريبية متوافق مع حالة غير مألوفة من النزعة الأمريكية في فرنسا، حيث وصل إلى هناك للعمل مراسلاً في تلك الفترة.

كان الكاتب يحس بالغربة فقد جاء من الغرب الأمريكي الأوسط في وقت كان فيه العالم القديم

لجائزة نوبل في الكيمياء والفيزياء، كما حددت الأربعاء ١٣ أكتوبر/ تشرين الأول يومًا لمنح جائزة نوبل في الاقتصاد، والجمعة ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول لجائزة نوبل للسلام، أما جائزة نوبل في الأدب فلم تحدد بصورة رسمية حتى الآن.

وقد جرت العادة أن يبدأ في توزيع هذه الجوائز يوم خميس من شهر أكتوبر/ تشرين الأول الذي ربما يكون يوم ٧ أكتوبر/ تشرين الأول أو يوم ١٤ على الأرجح.

ولم تحدد قيمة الجائزة لهذا العام ١٩٩٩م حتى الآن، مع العلم أن جائزة العام الماضي بلغت ٧ر٦ ملايين كورون سويدي أي ما يعادل (٩٣٨ ألف دولار أمريكي).

خشب من شجر البقس

أعلنت دار نشر أسباسا الإسبانية أنها بصدد إصدار رواية «خشب من شجر البقس» للكاتب الإسباني كاميلو خوسية ثيلا، وهي رواية تدور أحداثها في إقليم غاليسيا الواقع شمال إسبانيا، وكان الكاتب قد بدأ كتابة هذه الرواية ثم تركها، لأنه لم يكن مقتنعا بها مدة طويلة، مشغولاً بأعمال أخرى، قبل أن يرجع ليكتبها مرة أخرى.

ولد كاميلو خوسيه ثيلا في كورونبا الإسبانية في عام ١٩١٦م وبدأ دراسة الطب ثم تركه ليلتحق بالحقوق ليتركها هي الأخرى وهو في السنة الثالثة ليلتحق بالعمل في وظيفة متواضعة، أصيب بعدها بمرض أقعده الفراش طويلاً.

أخذ كاميلو في هذه الفترة يتسلى بالقراءة ويشغل نفسه بها وهو راقد في فراش المرض، فقرأ أمات الكتب الأدبية واستفاد من ذلك فكتب الشعر والقصة، وكانت روايته «عائلة باكسوال داورته» التي نشرت عام ١٩٤٢م، هي التي فتحت له باب المجد والشهرة.

حصل كاميلو على عدد من الجوائز أهمها محليًا الجائزة الوطنية للآداب في إسبانيا، التي فاز بها في عام ١٩٨٤م، وعالميًا نوبل للآداب في عام ١٩٨٩م، كما انتخب عضواً في الأكاديمية الملكية الإسبانية في عام ١٩٥٩م.

لهذا الغرب يحتضر ومدن الوسط تنمو، وكان الكاتب متعلقًا بالحياة الأمريكية القديمة حيث الإحساس بقوة الطبيعة ومزاج المغامرة والرجولة التي تختبر في الغابات الكبرى، وقد فقد هذا في حياته في مدن الوسط.

وفي الثاني من يوليو / تموز ١٩٦١م قرر أن ينهي هذه الحياة بعد أن استنفذ المغامرة والارتحال والحروب وامتلك منزلاً على الجبال وقصرًا في كوبا وشقة في نيويورك ويختًا مجهزًا للصيد، وزيجات متعددة، فانطلقت رصاصة في الرأس ليظل انتحاره لغزًا محيرًا يكتنفه الغموض وعلامات الاستفهام حتى الآن.

والجديد في الاحتفال بمئوية هذا الروائي هو صدور إحدى قصصه غير المنشورة من قبل، وهي عن رحلة إلى إفريقية عنوانها «الحقيقة عند الفجر»، وقد وصل إلى واشنطن نجله باتريك (٧٠عامًا) خصيصًا للترويج لهذه القصة التي اختصرها قبل إعدادها للنشر، وصرح قائلاً: «إن همنجواي لم يكتب يوميات، إنها قصة خيالية كتبت على طريق اليوميات». وقامت دار «سكريبنر» بنشر كل أعمال همنجواي، وصرحت مديرتها «سوفليمينغ» أن هنالك ازديادًا في مبيعات الكتب منذ بداية الصيف، كما قامت مكتبة «بارنز ونوبل» بتسويق كتب همنجواي ورواياته، ومن ضمن هذه الكتب مجموعته القصصية الأولى «في زماننا» ١٩٢٥م، وكتاباه اللذان صنعا مجده الأدبي «الشمس تشرق أيضًا» ١٩٢٦م، و «وداعًا للسلاح» ١٩٢٩م، ورائعته «العجوز والبحر» ١٩٥٢م.



خليل، محمود محمد محمود/ أزمة المياه في الشرق الأوسط والأمن القومي العربي والمصري. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٨م، ٢٨٩ص.

يشير المؤلف إلى أن عقد التسعينيات هو عقد الصراع على موارد المياه بينما كان عقد السبعينيات والثمانينيات عقداً للصراع على البترول، ويوضح أن حدة الأزمة المائية في الدول العربية تزداد خطورة لأن أكثر من ٨٥٪ من منابع الموارد المائية العربية تسيطر عليها دول غير عربية.

وقد قصدت الدراسة إلى توضيح أبعاد مشكلة المياه في الشرق الأوسط، من خلال تحليل الأوضاع المائية، وإلقاء الضوء على الجوانب القانونية والجيوبوليتيكية، كما قصدت أيضاً إلى تحديد التهديدات القائمة والمحتملة التي قد تنتج منها صراعات إقليمية نتيجة أزمة المياه في المنطقة، وحاولت الوقوف على تأثيرات هذه الأزمة في الأمن القومي العربي والمصري والإستراتيجيات اللازمة لمواجهة هذا التهديد.

يقع الكتاب في أربعة فصول وخاتمة، تحدث فصله الأول عن «تحليل الأوضاع المائية للدول العربية»، والثاني عن «تحليل الأوضاع المائية لدول الجوار الجغرافي»، بينما ركز الفصل الثالث على «الأمن القومي العربي والمصري»، وتحدث الفصل الأخير عن «تأثيرات أزمة المياه في منطقة الشرق الأوسط على الأمن القومي العربي والمصري». أما الخاتمة فقد تضمنت التوقعات المستقبلية لحل أزمة المياه.



المعجم المفهرس للمخطوطات العربية والإسلامية في طشقند/ إشراف: الأستاذ الدكتور عصام الدين أورونباي والدكتورة لاريسا إيبيفانوفا. بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

يقع هذا المعجم في أحد عشر مجلداً صدر منها حتى الآن المجلدان الأول والثاني، وهما فهرس بالمخطوطات العربية والإسلامية في طشقند عاصمة أوزبكستان إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي المستقلة.

ويقود هذا العمل الضخم معهد الاستشراق وهو معهد لدراسة المخطوطات الشرقية تابع لأكاديمية العلوم الأوزبكية، وتضم مكتبة هذا المعهد حالياً ١٣ ألف مجلد لأكثر من ٨٠ ألف مخطوطة عربية وإسلامية باللغات العربية والفارسية والطاجيكية والتركية حيث كانت المخطوطات المذكورة في الماضي مجهولة، بل إنها كانت في حكم المفقودة، وهي مخطوطات نفيسة ونادرة وصل عمر بعضها إلى ما يقرب الألف عام، وتعود لرجال مشهورين في الفكر العربي والإسلامي، كتبت بعضها بأقلام مؤلفيها وبعضها الآخر بأقلام كتاب بارزين.

يقدم هذا الفهرس وصفاً لهذه المخطوطات يشمل «عنوان المخطوطة واسم مؤلفها، وتلخيصاً موجزاً لها وتاريخها واسم الناسخ وتاريخ النسخ وأسماء المراجع المتوافرة في مكتبة المعهد نفسه، والمراجع الأخرى بما فيها المراجع الأجنبية».

وقد أورد المفهرسون كشفاً بالرموز التي استخدموها في أثناء وصفهم لبعض المخطوطات باللغة العربية واللغات الأجنبية.



ديوان الرحالة ابن جبير الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة: منجد مصطفى بهجت. الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ١٧٣ص.

ينقسم الديوان قسمين، اختص القسم الأول بالدراسة، والقسم الثاني بالتحقيق، ففي القسم الأول تعرض المحقق إلى حياة الشاعر وعصره وشخصيته وأخلاقه ورحلته ونثره وديوانه ومصادر شعره والسمات الفنية في شعره.

أما القسم الثاني فقد جاء فيه ديوانه مرتباً ترتيباً هجائياً مع الإشارة إلى المصدر الذي أخذ عنه، مع بيان البحر العروضي الذي جاء فيه الشعر. كما جاء في هذا الباب أيضاً ما عُثر عليه من نثره.

احتوى الديوان على ٨٥ نصاً شعرياً بين قصيدة طويلة، أو مقطوعة قصيرة، أو بيت واحد، كما احتوى أيضاً على عشرة نصوص نثرية بين حكمة موجزة أو رسالة إخوانية كتبها المؤلف إلى أحد أصفيائه، وهذا نذر يسير عن الشاعر الذي ضاعت أغلب آثاره.

خُتم الكتاب بخمسة فهارس أولها للمصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة والتحقيق، والثاني للشعر، والثالث للنثر والرابع للأعلام والمدن، ثم فهرس عام لما تناوله الكتاب.



تحلية المياه المالحة في المملكة العربية السعودية: نشأتها، وتطورها ودورها في التنمية. الرياض: المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة - الإدارة العامة للأبحاث والتطوير، ١٤١٩هـ، ٢٢٤ص.

هدف الكتاب إلى وضع تاريخ متكامل لمشروعات تحلية المياه «الآحادية الغرض»، ومشروعات تحلية المياه وتوليد الطاقة الكهربائية «المزدوجة الغرض» التابعة للمؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة، وهو يتضمن سجلاً من الحقائق لأهم منجزات المؤسسة منذ إنشائها في عهد الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - عام ١٣٤٨هـ الموافق ١٩٢٨م حتى عهد خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله.

يقع الكتاب في سبعة أبواب، جاء بابه الأول عن «المياه في المملكة»، والثاني عن «نشأة تقنية التحلية وتطورها»، والثالث عن «تقنية التحلية»، أما الرابع فقد جاء عن «التحلية في المملكة»، وجاء الخامس عن «نشأة المؤسسة»، والسادس عن «دور المؤسسة في التنمية وتطوير مستوى المعيشة في المملكة»، أما السابع والأخير فقد جاء عن «ترشيد استخدام المياه في المملكة».

زُيّن الكتاب بعدد من الصور التي توثق لتاريخ هذه المؤسسة شملت صوراً

لقادة البلاد خلال زياراتهم المتعددة لهذه المؤسسة، كذلك صوراً للعاملين من مهندسين وفنيين وعمال خلال أدائهم لأعمالهم، كما شملت أيضاً صوراً لكل أعضاء مجالس الإدارات التي تعاقبت على إدارة هذه المؤسسة.

وقد دعمت الحقائق الواردة في هذا الكتاب بعدد من الجداول والخرائط والرسوم البيانية والتخطيطية.



اللغات الفارسية المعربة في تاج العروس/جمع وترتيب عزيز الله العطاردي- تجريش: انتشارات عطارد، ١٣٧٤هـ، ١٧٦ص.

بدأ الكتاب بنبذة تعريفية عن مؤلف كتاب تاج العروس محمد مرتضى الزبيدي شملت الحديث عن مولده، وأسفاره من أجل العلم، والشيوخ الذين أخذ عنهم العلم، ووفاته، وآثاره العلمية.

تتبع الكاتب الكلمات الفارسية المعربة التي وردت في كتاب تاج العروس فأوردها مرتبة ترتيباً هجائياً، ثم أورد ضبطها ومعانيها كما وردت في قواميس اللغة، واستشهد على تعريبها بأقوال الشعراء والنحاة وعلماء اللغة.



لوليدي، يونس/ الميثولوجيا الإغريقية في المسرح العربي المعاصر- فاس: مطبعة أنفو برانت، ١٩٩٨م، ٢٧٠ص.

تحدث الكاتب عن أهمية الأسطورة وقيمتها في الكتابة المسرحية، وكيف أنها تمنح الكاتب المسرحي موضوعاً عاماً يستطيع أن يبلور من خلاله الفكرة التي يريد طرحها.

رمى المؤلف من هذه الدراسة إلى تقريب الميثولوجيا الإغريقية إلى ذهن القارئ العربي عن طريق دراستها ومعرفة مكوناتها الأساسية، كما قصد أيضاً إلى معرفة الأسباب الموضوعية التي جعلت الكتّاب المسرحيين العرب يستلهمون الميثولوجيا الإغريقية أكثر من غيرها مع وجود ميثولوجيات أخرى كالفرعونية والبابلية والأشورية.

لجأ المؤلف في هذه الدراسة للمنهج المقارن للموازنة بين الاتجاهات والمدارس، كما لجأ إلى المنهج التاريخي لرصد تطور الميثولوجيا الإغريقية عبر مختلف العصور التي مرّت بها، وهي محاولة لرصد العلاقة التاريخية القائمة بينها وبين المسرح بصفة عامة.

يقع الكتاب في ثلاثة فصول وخاتمة، جاء الفصل الأول عن «الأسطورة الإغريقية والمسرح»، والثاني عن «علاقة المسرحية ذات البناء الأسطوري بالواقع»، والثالث عن «مقومات الفرجة في المسرحية ذات البناء الأسطوري»، ثم جاءت الخاتمة والببليوجرافيا والفهارس.



مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية (مج٤، ع٢، رجب - ذو الحجة ١٤١٩هـ / نوفمبر ٩٨ - أبريل ١٩٩٩م)

مجلة نصف سنوية محكمة، تصدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، وتهتم بنشر البحوث التي تتعلق بالمكتبات والمعلومات ومصادر تاريخ المملكة العربية السعودية.

تزامن صدور هذا العدد مع الاحتفال بمرور مئة عام على توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - وقد جاء حافلاً بالدراسات والمقالات والببليوجرافيات ذات الصلة بمصادر تاريخ المملكة وإنتاجها الفكري والثقافي، وجاءت هذه البحوث تحت عناوين مختلفة منها: «الطباعة والنشر في عهد الملك عبدالعزيز» للدكتور عباس طاشكندي، و«جهود الملك عبدالعزيز في دعم حركة المكتبات» للدكتور سالم بن محمد السالم، و«جوانب من حياة الملك عبدالعزيز في الوثائق العثمانية» للدكتور سهيل صابان، واستعرض الدكتور أحمد أنور بدر انجازات المملكة في حقل البحوث العلمية والتقنية، وقدم الأستاذ علي الصوينع حصراً لـ «مصادر التراجم السعودية»، كما قدم الأستاذ صالح العبودي قائمة ببليوجرافية عن «المخطوطات السعودية في مكتبة الملك فهد الوطنية»، وتتبعت الدكتورة ناريمان إسماعيل متولي «الأطروحات الممنوحة للمرأة السعودية»، وقدمت دراسة تحليلية في إطار الضبط الببليوجرافي للإنتاج الفكري السعودي، وكتب الأستاذ عبدالرحمن فراج عن «أدب الرحلات إلى المملكة العربية السعودية»، وقدم ببليوجرافية مختارة من «القسم العربي»، كما كتب عن الموضوع نفسه في «القسم الإنجليزي» الأستاذ ملك أحمد نواز.



التاريخ العربي (العدد ١٠، ربيع ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)

وهي مجلة علمية ومحكمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة.

شارك في هذا العدد مجموعة من الشعراء والأدباء والأكاديميين من مختلف جامعات الوطن العربي.

وقد جاءت بحوث العدد تحت عناوين وموضوعات مختلفة منها: عمان والمغرب في التاريخ الحديث، والصدام بين البريطانيين والقواسم عام ١٨٠٠ - ١٨١٩م، والجامع الأموي الكبير بحلب، ومع العياشي في رحلته إلى القدس، ورؤى حول دور رابح فضل الله التاريخي في الربط بين العرب والأفارقة إسلامياً، والتراث العربي في مواجهة التغيرات الفكرية في القرن الحادي والعشرين، وغير ذلك من الموضوعات.

وختمت المجلة بكشاف بحوث الأعداد العشرة الأولى لمجلة التاريخ العربي.

• دخلت المجلة عنصر الانترنيت ويمكن لقرائها الالتقاء بها عبر العبارة التالية:

WWW- ATTARIKH ALARABI ORG - MA



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، (العدد ٩٤، ربيع الأول - ربيع الآخر، جمادى الأولى ١٤٢٠هـ / يوليو - أغسطس - سبتمبر ١٩٩٩م)

مجلة فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، وتعنى بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والبيئية والعلمية والقانونية.

احتوت المجلة على عدد من البحوث التي ناقشت مسائل متعددة باللغتين العربية والإنجليزية، كما تضمن العدد مجموعة من الأبواب مثل: مراجعات الكتب، والتقارير، والببليوغرافيات العربية والإنجليزية، وملحقات البحوث.

وجاءت كلمة العدد بمناسبة الذكرى المئوية لتوحيد المملكة العربية السعودية بقلم رئيسة التحرير الدكتورة أمل يوسف الغربي الصباح، وفيها تعرضت لسيرة الملك المؤسس عبدالعزيز - طيب الله ثراه - وجهاده في سبيل توحيد البلاد.

درهم تذكاري أموي
بمناسبة القضاء على حركة عبد الله بن الزبير

عاطف منصور محمد رمضان

بمناسبة نجاح عبدالملك بن مروان في القضاء على ثورة عبدالله بن الزبير وإعادة الحجاز إلى طاعة الخلافة الأموية ضربت دراهم تذكارية تخليداً لهذه الذكرى، فجاءت فريدة في نقوشها والكتابات المسجلة عليها، وذلك على النحو التالي(١):

الوجه

مركز: نقش به صورة نصفية للعاهل الساساني خسرو الثاني، ينظر برأسه جهة اليمين، وتختلف هذه الصورة من حيث التفاصيل وغطاء الرأس (التاج) عن صورة خسرو الثاني التي جاءت على الدراهم العربية الساسانية، وقد سجل اسم خسرو باللغة الفهلوية إلى جهة اليمين، بينما دُوّن الدعاء له بالنماء والزيادة إلى جهة اليسار.

هامش: يشتمل على كتابة عربية بالخط الكوفي البسيط نصها: بسم الله لا ا*) له إلا الله و * حده محمد ر (* سول الله ⁘

الظهر

مركز: نقش به رسم محراب، عبارة عن عمودين يعلوهما عقد، وبداخل المحراب رسم لرمح (عنزة رسول الله صلى الله عليه وسلم) قمته إلى أعلى. سجل على يمين الرمح كلمة «نصره» بينما دون على يساره لفظ الجلالة «الله»، كما سجل على يمين المحراب لقب «أمير المؤمنين»، بينما نقش لقب «خلفت الله» على يسار المحراب، وذلك بالخط الكوفي البسيط.

هامش: نقش به حروف فهلوية هي: لله: AF، ثم رسم لهلال ونجمة*).

نال هذا الدرهم اهتمام عدد كبير من الباحثين في مجال المسكوكات، فقاموا بدراسته، واجتهدوا في تحديد أسباب سكه، ووضع تاريخ له ومحاولة معرفة مكان سكه، وأول الباحثين اهتماماً بهذا الدرهم هو الأمريكي الدكتور جورج مايلز GEORGE MILES، حيث أفرد له بحثاً مستقلاً، ذهب من خلاله إلى أن الصورة المنقوشة بمركز الوجه هي لأمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، وأن هذه الدراهم ضربت في دمشق بعد سنة ٧٥هـ، وقبل مرحلة التعريب(٢). وقد وافق السيد جريسون GRIESON على رأي مايلز دون اقتراح جديد(٣). ولكن الدكتور مايكل باتس MICHAEL BATES ذكر أنه ليس من الضروري أن تكون هذه الدراهم قد ضربت في دمشق على الرغم من أنها تحمل ألقاب الخلافة التي ظهرت على الدراهم المضروبة في دمشق. ولم يضع باتس تاريخاً محدداً لسك هذه الدراهم، وإن رجح ضربها في سنة ٧٥هـ، أو أنها ضربت في الفترة من سنة ٧٧هـ إلى سنة ٧٩هـ، وهي بداية ظهور الطراز الإسلامي - على حد قوله - وقال: إن هذه الدراهم تمثل طرازاً جديداً ضرب بعد طراز الخليفة الواقف ليملأ الفراغ في التعامل في تلك الفترة(٤)، بينما رجح الأستاذ سمير شما أن يكون هذا الطراز ضرب في سنة ٧٦هـ أو ٧٧هـ(٥).

لقد أغفلت هذه الجهود المشكورة في دراسة هذه الدراهم - عن غير قصد - جانباً مهماً في دراستها، وهو أسباب حذف معبد النار، مكان العبادة لدى الفرس من على هذه الدراهم، ونقش رسم المحراب وعنزة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدلاً منه، وكذلك دراسة النصوص الكتابية الجديدة التي دونت على هذه الدراهم مثل عبارة «نصره الله»، ولقب «أمير المؤمنين - خلفت الله»، وذلك في ضوء الأحداث التاريخية المعاصرة.

ويمكن القول: إن رسم المحراب على هذه الدراهم هو إشارة إلى قبلة المسلمين في الصلاة، وهي الكعبة المشرفة، وكان المحراب قد استخدم في المساجد المبكرة منذ صدر الإسلام لتحديد اتجاه القبلة. كما نقش بداخل المحراب رسم لعنزة رسول الله صلى الله عليه



الوجه

وسلم، وهذه العنزة كانت ضمن ثلاث عنزات بعث بها النجاشي ملك الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أعطى لعلي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - واحدة، وأعطى لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - واحدة، واحتفظ لنفسه بواحدة. وكان بلال بن رباح - رضي الله عنه - يحمل عنزة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم العيد والاستسقاء، وكان بلال يمشي بهذه العنزة حتى يصل إلى المصلى، فيركزها بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيصلي إليها، ثم كان يحملها أيضاً في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ثم حملها سعد القرظ بين يدي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان - رضي الله عنهما - في العيدين وركزها بين أيديهما، ويصليان إليها(٦)، ومن ثم فإن رسم عنزة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما هو إشارة أيضاً إلى قبلة المسلمين في الصلاة، وهو بيت الله الحرام، وفي ضوء ذلك يمكن القول: إن المحراب وعنزة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشيران إلى بيت الله الحرام قبلة المسلمين في الصلاة بصفة خاصة، ومكة المكرمة البلد الحرام بصفة عامة.

وقد سجلت عبارة «نصره الله» - وهي المرة الأولى التي تظهر فيها على النقود في العصر الإسلامي - بداخل المحراب على يمين العنزة ويسارها إشارة إلى موقع انتصار عبدالملك بن مروان على عبدالله بن الزبير، وهو مكة المكرمة، كما يقصد من تسجيلها أيضاً أن النصر الذي حققه عبدالملك على ابن الزبير بفضل الله وتأييده للخليفة الأموي. كذلك فإن عبدالملك سجل على هذه الدراهم لقب «أمير المؤمنين - خلفت الله»، وذلك بعد نجاحه في القضاء على منازعه في الخلافة وإمرة المؤمنين، وهو عبدالله بن الزبير، فما كان لعبد الملك أن يتخذ هذه الألقاب في أثناء ثورة ابن الزبير، الذي بويع بالخلافة وإمرة المؤمنين في الحجاز والعراق واليمن ومصر، ولكن بعد نجاح عبدالملك في القضاء عليه أصبح هو خليفة المسلمين الأوحد وأمير المؤمنين(٧).

ومن ثم فإن رسم المحراب وعنزة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على هذه الدراهم، وكذلك تسجيل عبارة «نصره الله»، ولقب



الظهر

«أمير المؤمنين - خلفت الله» كان إعلاناً عن عودة مكة المكرمة وبلاد الحجاز إلى طاعة الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، ولو أن تفسير الدكتور مايلز الذي ذكر فيه أن الصورة المنقوشة بمركز الوجه تخص أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان صحيح، لكان ذلك تأكيداً لما ذهبنا إليه أيضاً، وأن هذه الدراهم هي إصدار تذكاري، أصدره الخليفة عبدالملك بن مروان بمناسبة نجاحه في القضاء على فتنة عبدالله بن الزبير، وعودة بلاد الحجاز لطاعته.

أما تاريخ هذا الإصدار التذكاري فيغلب على الظن أنه ضرب بعد جمادى الأولى سنة ٧٣هـ/ أغسطس /آب ٦٩٢م، وهو تاريخ وفاة عبدالله بن الزبير، أو أنه ضرب في عام ٧٤هـ وهو عام الجماعة. ومن المرجح أيضاً أن مكان سك هذه الدراهم هو دمشق عاصمة الخلافة التي استعادت مكانتها عاصمةً للدولة الإسلامية، بعد أن نازعتها بلاد الحجاز في هذا الأمر في أثناء ثورة عبدالله بن الزبير.

المراجع:

١- البنك العربي المحدود: المسكوكات الإسلامية. عمان، ١٩٨٠م. ص٦٦.- مايكل ل. باتس: مسكوكات سورية في فترة الخلافة الأموية. ترجمة: نايف القسوس. مجلة اليرموك للمسكوكات، مجلد ٢، عدد١، ١٩٩٠م. ص ٢٣.- نايف القسوس: مسكوكات الأمويين في بلاد الشام، عمان ١٩٩٦م. ص٤٩، رقم ٢٤.- محمد بن فهد الفعر: دراسة للكتابات العربية على نقود المشرق الإسلامي في العصر الأموي، مجلد ٨، جـ٢، يولية ١٩٩٣م. ص٢٣٧، رقم٢.

WALKER,J.: CATALOGUE OF THE ARAB - SASSANIAN COINS, IN THE BRITISH MUSEUM. LONDON, 1941. P. 24, NO. ANS, 5. PL. XXXI.5.- MILES, GEORGE C.: MIHRAB AND ANAZAH: A STUDY IN EARLY ISLAMIC ICONOGRAPHY. ARCHAEOLOGICA ORIENTALIA IN MEMORIAM ERNST HERZFELD GEORGE C.MILES, EDITOR, NEW YORK, 1952.PP157 - 158, P1. XXVIII,3.- BATTES, MICHAEL L.: THE COINAGE OF SYRIA UNDER THE UMAYYAD, 692 - 750 A,D. THE FOURTH INTERNATIONAL CONFERENCE ON THE HISTORY OF BILAD AL-SHAM DURING THE UMAYY - AD PERIOD 2-7 RABI I, 1408 A.H./ 24-29 OCTOBER 1987. EDITED BY ADNAN BAKHIT ROBER SCHICK AMMAN, 1989. P.208.

2 - MILES: OP. CIT., PP.170 -171.

3 - GRIESON, PHILIP: THE MONETARY REFORM OF ABD ` AL - MALIK. JESHO, 1960. P.245.

٤- مايكل باتس: المرجع السابق، ص٢٣ - ٢٤.- BATES: OP. CIT., P.208.

٥- سمير شما: نقود الجزيرة العربية أثناء خلافة بني أمية. مجلة اليرموك للمسكوكات، مجلد ٥، ١٩٩٣م. ص١٤.

٦- ابن سعد (محمد ت ٢٢٠هـ/٨٣٥م): كتاب الطبقات الكبرى، ٨أجزاء، ليدن ١٣٢١هـ. الجزء الثالث، القسم الأول، ص١٦٨.

٧- ظهر لقب «أمير المؤمنين - خلف الله» على دراهم ضرب دمشق سنة ٧٥هـ، انظر عنها: عيسى سلمان: درهم نادر للخليفة عبدالملك بن مروان. مجلة سومر، مجلد ٢٦، ١٩٧٠م. ص ١٦٣ - ١٦٧.- محمد أبو الفرج العش: النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني. جـ١، الدوحة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ص١٨. WALKER: OP. CIT.,P.25,NO.ZUB.1

Imperial Lamps srl

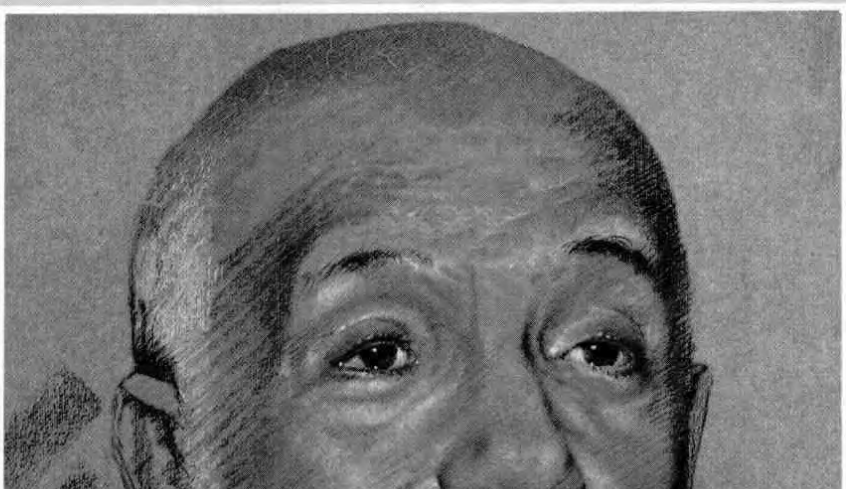
factory for chandeliers



ملحق خاص

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٧٦ - جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ - سبتمبر/أكتوبر ١٩٩٩م



الشيخ علي الطنطاوي
العالم الأديب

مقدمة

في مساء الجمعة ٤ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ١٨ يونيو/ حزيران الماضي ١٩٩٩م، توفي الشيخ علي الطنطاوي بعد أن ألزمته السنون والآلام بيته عدة سنوات.

كان الفقيد الراحل - يرحمه الله - عالماً من طراز خاص، جمع بين علوم الدين والدنيا، وقد زانت كتاباته موهبة أدبية متميزة وسَمَت أسلوبه بسمات الأصالة والظُّرف وقوة الحجة وبلاغة التعبير.. ولقد تحدث الكثيرون عن الطنطاوي في كتبه وخطاباته وأحاديثه في الإذاعة والتلفاز، وبيّنوا الخصائص التي جعلت منه متحدثاً يأسر مستمعيه، وخطيباً يهزّ أعواد المنابر، وأديباً تنساب عباراته فتملأ العقول علماً والقلوب إعجاباً وتأثراً.

ليس من غرض قسم التحرير في «الفيصل» أن يدرس أدبه ويعدد مزاياه، فذلك أمر عسير في هذا الكتيب القليل الصفحات، ولكن يسعده أن يقدم فيه بعض ما قيل في الشيخ الجليل، وأن يورد ثبتاً بعناوين بعض مؤلفاته الكثيرة التي تناول فيها جوانب الحياة كافة، لعل فيه خدمة للقراء والمثقفين.

ندعو الله له بالمغفرة والرحمة وأن يسكنه فسيح جناته، مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين.

الطنطاوي..
العالم الأديب

محمد بن لطفي الصباغ

فجع العالم الإسلامي ليلة السبت ٥ من ربيع الأول سنة ١٤٢٠هـ بوفاة العلامة الفقيه القاضي الأديب الشيخ علي الطنطاوي.

مات الداعية إلى الله، مات العلامة الموسوعي المعرفة، مات المتحدث الناجح، مات الخطيب المفوه الذي عرفته منابر بلاد الشام خطيباً مصقعاً، يقول الكلمة فتتأثر بها القلوب ويكون لها الصدى الكبير.

فكم اهتدى بسبب كلامه ناس مسرفون على أنفسهم.

وكم أقبل على الله وعلى فعل الخير ناس جفاة قساة ظالمون.

لقد كان وقع الخبر على نفسي أليماً جداً، وذكرت وفاة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز الذي ودعناه من شهر، وهما العالمان اللذان جعل الله لهما القبول عند الناس، ومن قبلهما فقدنا العديد من العلماء والدعاة.. وإنا لله وإنا إليه راجعون، فأحسست بوحشة ملكت عليّ أقطار نفسي وأحسست بفراغ في ساحة العلماء، وكلما تلفتُّ أبحث عن البديل لهما أعياني الأمر، وذكرت الأثر القائل:

إذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة لا تسد إلى يوم القيامة.

ومعنى هذا الأثر صحيح جداً، ذلك لأن كل عالم تشترك في إعداده وتكوينه عوامل عديدة من الموهبة الذاتية، ومن عوامل الوراثة، ومن البيئة الاجتماعية، ومن نوعية الأساتذة الذين درس عليهم، ومن الكتب التي درس فيها، ومن الأشخاص الذين تأثر بهم، ومن الأحداث السياسية التي وقعت في عصره. وهذه العوامل كلها من المستحيل أن تتكرر في إنسان آخر.

ومن هنا كان قد فقد العالم العامل المخلص خسارة لا تعوض.

عوامل شكلت تجربته

فالشيخ علي - رحمه الله - ذو موهبة فذة، وانحدر من أسرة علمية، ومرت به ظروف قاسية، إذ حمل مسؤولية القيام بشؤون الأسرة بعد وفاة والده، وكان إذ ذاك في السادسة عشرة من عمره، وأتيح له أن يتلقى العلم على علماء كبار، ووقعت أحداث في عصره هائلة.. وقعت الحرب العالمية الأولى ثم الحرب العالمية الثانية.. وقامت حركات عسكرية وانقلابية، ومرت عليه حكومات متعددة، وقام برحلات في العالم العربي ثم في معظم أصقاع الأرض، وتهيأت له مكتبة ضخمة.

أجل إن هذه العوامل يستحيل أن تتكرر في إنسان آخر.

لقد قدر الله أن يعيش الأستاذ الطنطاوي هذه الظروف ليكتسب خبرة جعلت منه العلامة علي الطنطاوي.

إن صلتي به - رحمه الله - تزيد على بضع وأربعين سنة، وقد وقفت خلال هذه الحقبة الطويلة على ملامح وخصائص من شخصيته، ولا أستطيع أن أوردها كلها في هذه الكلمة، وأؤكد أن هناك جوانب أخرى وقف عليها غيري من أصحابه وتلامذته.

إن الناس يعرفون الأستاذ الطنطاوي متحدثًا ناجحًا في التلفاز والإذاعة، ولا يعرف كثير منهم الجوانب الكثيرة التي امتاز بها فقيدنا العظيم من أنه فقيه متمكن، وقاض نزيه عادل، وحقوقي كبير، وأديب مشهور، وكاتب بليغ، وخطيب مصقع، ومؤلف موفق، وداعية إلى الله مخلص.

أسرته

وأسرة الطنطاوي أسرة علم وفضل، جاءت من مصر واستقرت في دمشق، واحتفظت بالنسبة إلى طنطا، فقد جاء الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي إلى دمشق سنة ١٢٦٥هـ وهو العالم الفلكي الشافعي وتوفي بدمشق سنة ١٣٠٦هـ، وجاء معه ابن أخيه الشيخ أحمد الطنطاوي الذي هو جد فقيدنا عليهم جميعًا رحمة الله، أما والد الفقيد فهو الشيخ مصطفى الطنطاوي، فقد كان معلمًا ثم أمينًا للفتوى بدمشق، وعين مفتيًا في السويداء، ثم رئيس ديوان محكمة التمييز، وكان في الوقت نفسه إمامًا في مسجد، وله مقطوعات شعرية في المدائح النبوية وقفت عليها وهي عندي ضمن مجموعة لعدد من المشايخ، وأتوقع أن يكون له شعر في موضوعات أخرى. وقد توفي في ٢٠ شعبان سنة ١٣٤٣هـ ولم يجاوز عمره أربعين سنة، وأخوال أستاذنا الفقيد - رحمه الله تعالى - من آل الخطيب وهي أسرة علم ودين ويرجع نسبها إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، ولها جزء من خطابة مسجد بني أمية حتى الآن، وخاله الكاتب الإسلامي الكبير، والعالم الجليل، والمحقق الكبير، والصحافي والسياسي محب الدين الخطيب صاحب (الفتح) و(الزهراء) ورئيس تحرير مجلة الأزهر.

بين ثقافتين

وأستاذنا - يرحمه الله - هو أول من جمع بين الثقافتين العصرية والدينية في بلاد الشام، إذ كان طلاب العلم قبله، إما من المشايخ الذين لا يدري كثير منهم شيئًا عن الثقافة المعاصرة، بل ولا عن الأوضاع الفكرية والسياسية التي تقوم في العالم، وإما من الأفندية الذين لا يدري كثير منهم شيئًا عن الثقافة الدينية، بل كانوا يحملون التصور الأجنبي عن هذه الثقافة ومضمونها. فجاء الشيخ علي فجمع بين الثقافتين على مستوى عال فيهما.. فدرس في المدارس العصرية العلوم التجريبية، وتمكن من اللغة الفرنسية، ونال شهادة البكالوريا الأولى والثانية.. ثم التحق بكلية الحقوق ونال شهادتها بتفوق في وقت قلّ فيه من يحمل هذه الشهادة.

الذنب الأكبر

وعمل في التدريس فكان نموذجًا فذًا في التعليم، كان يرى أن مهمة المعلم الأولى هي غرس العقيدة السليمة في نفوس تلامذته، يقول: «إن أكبر ذنب في التربية والتعليم نرتكبه، والله سائل مرتكبه عنه ومجازيه به، هو أن نسلم الولد أو البنت، وقلوبهما صفحات بيض إلى معلم لا يخشى الله، أو معلمة لا تتقيه، فينقشا عليهما سطور الشكوك والعصيان، بدلاً من كلمات الاستقامة والإيمان، والمعلم مهما بلغ من سعة العلم وكبر الشهادات وبلاغة اللسان لا يكون فيه خير إن لم يكن له مع ذلك المعرفة بالشرع والإخلاص لله».

ويقول أيضًا متحدثًا عن سيرته في التعليم: «ولكن الله يريد مني أن أراقبه في التلاميذ، وأن أدلهم عليه وأرشدهم إلى ما يرضيه منهم، وأجعل منهم أعضاء في جسم الأمة سليمة من العلل، قائمة بالعمل، لا أعضاء معتلة ولا مشلولة ولا خاملة، حاولت أن أعودهم على أداء العبادات على إقامة الصلاة، على الصدق في القول، على الجرأة في الحق، أغرس في قلوبهم الخوف من الله وحده، وأنزع منها الخوف من عبيده.. فأنا لا أريد أن يذلوا أمام المخلوقين».

رحلته في مجال الإعلام

وعمل في الصحافة وهو في سن مبكرة. وكان ذلك في سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) عندما نشر في المقتبس، والفتح، والزهراء، وعمل مع معروف الأرناؤوط، وكان يهاجم الفرنسيين بمقالاته في جريدة فتى العرب، ثم أختير للقضاء فكان القاضي الشرعي في النبك، ثم في دوما، ثم في دمشق، ثم أصبح القاضي الممتاز، ثم أصبح عضو محكمة التمييز (النقض والإبرام).

ودعي إلى المشاركة بتدريس بعض المواد في كلية الشريعة بدمشق، ثم جاء إلى المملكة العربية السعودية فعمل مدرسًا في كلية اللغة العربية في الرياض، ثم انتقل إلى كلية الشريعة في مكة.. ثم تفرغ للإذاعة والتلفاز.. فكان له برنامج إذاعي يومي يرد فيه على عشرات المسائل التي يتلقاها كل يوم، وكان له برنامج تلفازي أسبوعي يتلهف الناس لسماعه من مختلف المستويات. وما رأيت برنامجًا دينيًا أنجح منه على الإطلاق.

تزوج أستاذنا من آل الخطيب، ورزق خمس بنات زوجهن جميعًا، وله منهن عدد كبير من الأحفاد، وكان يقول لي: أنا من الدرجة الأولى بالنسبة إلى الأولاد، لأن الله تبارك وتعالى جعل الناس أربع طبقات وكان يتلو الآيتين: ***لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير. الشورى:*** ٤٩ - ٥٠.

جوانب مشرقة

ولنذكر الآن بعض الجوانب التي تميز بها بإيجاز بالغ:

- فقد كان فقيهًا كبيرًا، قرأ كتب الفقه الحنفي على مشايخ دمشق، وألمّ بما في المذاهب الأخرى، وقد أتقن مسائل الفقه المتعلقة بالأحوال الشخصية من نكاح وطلاق وخلع وميراث.. بل كان واحدًا من الذين وضعوا قانون الأحوال الشخصية المستمد من الشريعة الإسلامية في بلاد الشام.

- وكان عالمًا متمكنًا في أصول الفقه، وقد حضرت عددًا من الدروس الأسبوعية التي كان يلقيها في دار الدكتور أحمد حمدي الخياط، وكان يحضر معنا الشيخ ناصر الدين الألباني وغيره، واستمر هذا الدرس الأسبوعي مدة جيدة من الزمن.

- وكان قارئًا سريعًا يقرأ المجلد في ليلة واحدة مع الاستيعاب والقدرة على تلخيصه، وإعطاء فكرة واضحة عنه، وقد ذكر لي أن مجلة المختار الأمريكية ذكرت مرة أسرع قارئ في الدنيا في مباراة لعدد من القراء وفق قواعد وطريقة معينة في القراءة. فقال - رحمه الله -: «فطبقت تلك القواعد والطريقة فوجدت نفسي أسرع منه».

ولدى الأستاذ في دمشق مكتبة عامرة بعضها مما ورثه وأكثرها مما جمعه هو مما كان يشتريه ومما كان يهدى إليه.

- وكان قاضيًا نزيهًا، بل لقد كان في قمة النزاهة وابتغاء العدل والصدق، لا يقبل الشفاعة.. ولا يسمع من خصم إلا بحضور الخصم الآخر.

- وكان أستاذنا أديبًا.. أحاط بما في كتب الأدب شعره ونثره، وله

أسلوب بليغ هو من السهل الممتنع، وقد ظل يمد الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية بمقالات رائعة في الأسلوب والمضمون، تشهد له بالموهبة المتفوقة.

ـ وقد أغنى المكتبة الأدبية والإسلامية بعدد كبير من الكتب النافعة الرائعة. وظل عطاؤه ممتدًا أكثر من خمسين سنة.

ـ والأستاذ الطنطاوي خطيب مصقع، وكان يهز نفوس السامعين هزًا. وعندما كنا طلابًا في الجامعة وأقمنا فيها مسجدًا جامعًا كلفناه بإلقاء الخطبة الأولى فيه، فاستجاب لطلبنا ونقلت الإذاعة السورية الخطبة والصلاة.. وكان ـ جزاه الله خيرًا ـ يخطب محتسبًا مرات كثيرة في مسجد الجامعة.. ويتناوب هو والأستاذ عصام العطار هذه الخطابة، وكان لخطبه الأثر الكبير في المصلين.

ـ والأستاذ الطنطاوي كان محدثًا ناجحًا في الإذاعة والتلفاز، فقد شهد له الخبراء المختصون بذلك في هاتين الأداتين من أدوات الإعلام، ويمتاز بإلقائه الجميل المحبب إلى النفس. وقد كان له من نحو خمسين سنة حديث أسبوعي في إذاعة دمشق يذاع بعد صلاة الجمعة، وكان الناس نساء ورجالاً، صغارًا وكبارًا، عامة ومثقفين ينتظرون هذا الحديث ويقبلون على سماعه.

ـ والأستاذ الطنطاوي كان صادق التدين ـ ولا نزكي على الله أحدًا ـ وجريئًا في إعلان ما يرى ويعتقد، ولا يخشى في الله لومة لائم، وكان له قبول كبير في بلاد الشام، وكانت كلمته مسموعة، ويستجيب لها الكثرة من الناس، لأنهم يثقون بصلاحه ودينه ونصحه للأمة.. فقد مرت ببلاد الشام أزمات.. وجاء وضع جديد لم يلق الاستقرار والتأييد إلا عندما ألقى الشيخ علي الطنطاوي حديثًا بهذا الخصوص.

ـ والأستاذ الطنطاوي داعية إلى الله موفق، وقد استمر في الدعوة أكثر من ستين عامًا.. لقد بدأ يدعو إلى الله وهو في العشرين..

وله تاريخ حافل مجيد في مقاومة الفرنسيين في خطبه ومقالاته التي لو جمعت لكانت مجلدًا كبيرًا، فقد كان يذكر المسلمين بالعزة التي كتبها الله لهم وهي التي كانوا عليها يوم أن كانوا مستمسكين بحبل الله، والمعتز بالله لا يرضى أن يحكمه أعداء الله من الفرنسيين.

وكان يحرضهم على مجاهدة هؤلاء الغزاة المعتدين كلما نكّل أولئك الأعداء ببلاد الشام، فلقد قام يدعو إلى الثورة على الفرنسيين عندما ضربوا دمشق بالقنابل، وكذلك عندما حرقوا حيًا من أحيائها هو حي الميدان، واستطاعت كلماته الصادقة المخلصة أن تبث في شباب الأمة روح الجهاد والمقاومة. حتى حقق الله الخلاص للبلاد.. وكان الجلاء.

قضية إسلامية لا عربية

ـ وأما فلسطين فقد كانت قضيتها شغله الشاغل، يكتب لنصرتها، وحضر المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس، وكان رئيس إحدى اللجان، وقام برحلة إلى معظم بلاد المسلمين يرافقه الشيخ أمجد الزهاوي لخدمة فلسطين، والتعريف بها، والدعوة إلى التبرع لها، يقول رحمه الله: «ما قبضنا فيها ـ أي الرحلة ـ مالاً، ولا تسلمنا مما جمعوه قرشًا، بل أعطيناهم عنوان المؤتمر الإسلامي وقلنا لهم: أرسلوا إليهم ما جادت أيديكم به».

وكان ـ يرحمه الله ـ ينكر عدَّ قضية فلسطين قضية عربية، ويقول: إنها قضية إسلامية، ولو أننا جعلناها إسلامية لكسبنا الملايين، يقول: «لماذا لا ندخل الإسلام في المعركة فيدخلها معه ألف مليون؟ إن جعلناها عربية خالصة لاسترداد الأرض العربية أبعدناهم عنا، ولكن إن جعلناها جهادًا إسلاميًا لاسترجاع قبلة المسلمين الأولى، ومسرى نبيهم كانت معركتهم، ما نحن بأحق بها منهم، لأن المسجد الأقصى لنا ولهم، والإسلام يجمعنا ويجمعهم».

وكان يخاطب الأدباء أصحاب الأقلام أن يدخلوا المعركة ببيانهم وأقلامهم فقال: «الأدب هو محرك الشعوب، ومثير الهمم، وباعث العزائم، الأدب يوقظ النائم، وينبه الغافل، فأين أنتم يا أدباء العرب من قضية فلسطين؟».

أين الأقلام الحرة المؤمنة التي يتطوع أصحابها ليكونوا جنودًا في معركة فلسطين؟: تصف نكبة فلسطين، وتحرك الدنيا لنصرة فلسطين، بل تهز قبل ذلك أهل فلسطين، وجيران فلسطين ليتداركوا فلسطين قبل أن يأتي يوم يندمون فيه وليس ينفع في ذلك اليوم الندم».

جرأة في الحق

وكان ـ رحمه الله وغفر له ـ مجاهرًا بالحق في كل حين وفي كل مناسبة وفي أي وسط كان فيه، يقول كلمة الحق في الجامعة، وفي المحكمة، وفي الحفلات العامة، حضر مرة احتفالاً دعويًا أقامه الشباب المسلمون في مسجد من مساجد دمشق وامتلأ المسجد بالحاضرين فقال أحد المتكلمين كلامًا غير صحيح في مسألة فقهية فلم يمهله حتى ينهي كلمته، بل قاطعه بأعلى صوته: من أين جئت بهذا الكلام؟ هذا كلام باطل، فاستغفر الله ولا تقل إلا ما تعلم صحته يقينًا.

ولكلمته ـ رحمه الله ـ تأثير في الناس، ومن ذا الذي يستطيع أن يرد على الطنطاوي؟

ولقد كان جريئًا في قول الحق، فغضب الحكام أيام الوحدة لقوله الحق، فمنعوه من الكلام في الإذاعة.. ولكنه لما استطاع أن يعود إلى مخاطبة الجماهير من الإذاعة قال: «وما منعوني لأني أجرمت جرمًا، ولا لأني أسأت إلى البلاد ولا إلى العباد، بل لأن الذي كنت أقوله لهم لم يكن يعجبهم.

لم يعجبهم أن أقول: إنّ في الدنيا موتًا، وإن بعد الدنيا آخرة؛ لأنهم لم يكونوا يفكرون في الآخرة ولا يدخلونها في حسابهم.

لم يعجبهم أن أقول لهم: عودوا إلى شرع الله فهو أقوم وأقوى من كل شرع.

لم يعجبهم أن أقول لهم:إن طريق الجنة خير من طريق النار.

لم يعجبهم أن أقول لهم: استروا العورات وامنعوا المحرمات».

وفي هذا عرض لما كان يخاطب به جماهير المسلمين من أدوات الإعلام. لقد قضى حياته منافحًا ومدافعًا عن الإسلام بأسلوبه الجذاب وبيانه البليغ الممتع، وكان ينشر أفكاره النيرة في المجلات والصحف في بلاد الشام ومصر.

أذكر أنه نشر كلمة في مجلة الرسالة يردّ فيها على منحرف ذكر كلامًا فيه إساءة للإسلام فردّ عليه ردًا مفحمًا وقال في ختام كلمته: وما بسيفي أضرب ولكن بسيف محمد.

وكان طول حياته المباركة نصيرًا للقضايا الإسلامية، لا يبخل بوقته، ولا بجاهه ومكانته لتأييدها والدفاع عنها.

وأذكر من ذلك أن لونًا من الضيم تعرضت له مادة التربية الإسلامية في المدارس السورية، فجمع المشايخ وبيّن لهم الخطر الكبير الذي ينطوي عليه هذا الأمر، ودعاهم إلى مقابلة المسؤولين، واستطاع أن يقنعهم بضرورة التحرك.. وتشكل وفد لذلك كان الأستاذ الطنطاوي هو المتكلم فيه وذهبوا وقابلوا وتحقق الخير.

وكان زاهداً في الرياسة، فقد كان يعمل على إنشاء الجمعيات الإسلامية والخيرية في الشام ولا يدخل فيها، ولا ينازع شيخًا على مشيخته، ولا رئيسًا على رياسته.

وكان حريصًا على إحياء السنة، فالخروج إلى الصحراء لصلاة الاستسقاء سنّة كانت مهجورة في بلاد الشام.. فحصل قحط شديد، فدعا الشيخ - رحمه الله - إلى الخروج إلى ظاهر دمشق للاستسقاء، واستجاب له الجم الغفير من الناس، وصلى بهم صلاة الاستسقاء وألقى كلمة مؤثرة بكى منها وأبكى الحاضرين وكنت حاضرًا، ونادى الأطفال الصغار والفتيان وصار يدعو ويدعون بدعائه ويبكي.. واستجاب الله الدعاء وحقق ما يرجوه المسلمون ونزلت الأمطار كأفواه القرب، وكان يخشى بعضهم ألا ينزل المطر بعد الصلاة.

وكان - أجزل الله مثوبته وتغمده بالرحمة والمغفرة - عزيز النفس موفور الكرامة، لا يتهاون في الردّ على من يحاول النيل منه إن كان من المنحرفين مهما كان وزن المعتدي، وكان الله تبارك وتعالى يؤيده وينصره، أما مع إخوانه وتلامذته فقد كان يتحمل هفواتهم، وكان يتسع صدره لسماع الرأي المخالف.

وقد حصل مع كاتب هذه السطور أشياء من ذلك، فكان يتسع صدره لسماع وجهة نظري مع أني أصغر تلامذته علمًا واطلاعًا.

وكان يعترف بخطأ الرأي الذي يقوله إذا تبين له صواب رأي مخالفه، ويعلن ذلك. وهذه من صفات العلماء.

أما علاقته بإخوته فقد كانت علاقة حميمة متينة قائمة على الود والاهتمام والرعاية، وكثيرًا ما كنت أسمع من أخيه الأستاذ ناجي - رحمه الله وغفرله -: إن أخي علي بمنزلة الوالد لنا.

وكذلك كانت عنايته ببناته وأصهاره وأحفاده.

ترك الفقيد الكبير ثروة علمية ضخمة فالمطبوع من كتبه شيء كثير، والذي لم يطبع من مقالاته وأحاديثه المسجلة شيء كثير أيضًا.. ولعلّ الله يهيئ من يفرغ تلك الأشرطة التي كانت تحوي إجاباته وكلماته، وقد كان يحتفظ بها، ففيها فتاوى جديرة بالحفظ، كما أن فيها تصويرًا لأوضاع مجتمعات المسلمين في الوقت الحاضر.

وبعد فماذا عساني أن أقول؟ إن مجال القول واسع في شمائل هذا الرجل الكبير. وختامًا فإنني أسأل الله أن يجزيه الخير عن عمله وجهاده.

وأحسن الله عزاء المسلمين بفقده، وألهم أحبابه من العلماء وأسرته الكريمة وتلامذته وأحبابه عامة الصبر والسلوان، والحمد لله رب العالمين على قدره. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

العالم الجليل الطنطاوي: دعوة واحدة لي بعد موتي!!

مطيع النونو

انتقل إلى رحمة الله تعالى العالم الإسلامي الكبير فضيلة الشيخ علي بن مصطفى الطنطاوي مساء يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول ١٤٢٠هـ الثامن عشر من شهر يونيو/حزيران ١٩٩٩م، وبوفاته فقدت الأمة الإسلامية داعية ومفكرًا إسلاميًا قدم كل عطاء وبذل كل جهد في سبيل عقيدته الإسلامية.

مات الشيخ الطنطاوي يوم الجمعة وولد يوم الجمعة في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ الموافق الحادي عشر من شهر حزيران/يونيو ١٩٠٩م، وعاش ٩٣ عامًا هجريًا، و ٩١ عامًا ميلاديًا.

كان الفقيد كاتبًا وأديبًا ومؤرخًا، عرفته دور الثقافة ومنابر الفكر العربي والإسلامي واحدًا من أحرار الأمة الإسلامية الذين أوقفوا حياتهم من أجل عقيدتهم ورفع شأن الشريعة الإسلامية وكرامة الأمة الإسلامية ووحدتها.

كان الفقيد مناضلاً وطنيًا لأمته ومخلصًا وصادقًا في طريق دعوته. عاش حياة حافلة بالجهاد والحرية، وشهدت له ميادين العالم الإسلامي دفاعه عن الإسلام والعروبة، وعن فلسطين الحزينة المغتصبة ووطنه السوري المحتل، ودفاعه من أجل استقلال الجزائر وأية بقعة من بقاع العالم الإسلامي والعربي، وعاش من أجل ذلك حياة مشرفة جريئة موظفة لصالح وطنه وأمته.

جذوة باقية

كان صوته مجلجلاً هادرًا في إذاعة دمشق، وقلمه وفيًا طابعه المحبة في الصحف والمجلات الدمشقية وفي مجلة «الرسالة» المصرية للزيات رحمه الله، لم أعرف شخصية إسلامية تحرص على أن تنصف الراحلين وتؤبن العلماء الخالدين بكل دقة ومودة وحكمة مثل شيخنا الجليل علي الطنطاوي.

من يوم عرفت الدنيا منذ سن الطفولة والدراسة الابتدائية كنت أسمع باسم الشيخ الطنطاوي وأنه من علماء دمشق من خلال ما ينشره من مقالات في الصحف والمجلات في تلك الأيام وهي: فتى العرب، والمقتبس، والقبس، والأيام، وألف باء، واليوم، والنصر، والناقد وغيرها، وكان يدعو إلى وحدة أقطار العرب يوم كانت سورية مجزأة في عهد الاستعمار الفرنسي؛ في دمشق العاصمة دولة، وفي حلب الشهباء دولة، وفي جبل العرب «الدروز» دولة، وفي جبل العلويين «اللاذقية» دولة، وكان لكل دولة حدود، ولها حكومة ولها رئيس وفق التقسيمات الإدارية التي أوجدتها السلطات الفرنسية بهدف قتل الشعور الوطني بين أبناء الشعب الواحد.

حينما يتحدث الطنطاوي في الإذاعة ويكتب في تلك الصفحات كان يتحدث عن كل نفس في الوطن السوري، وحين يصف شعور مواطن واحد وعواطفه، إنما كان يصف شعور الناس كلهم وعواطفهم تحركه مشاعر الحرية والإباء التي كانت تملأ الناس.

لقد أبت على الشاميين عزة نفوسهم أن يصدقوا ما يرون من حكم الفرنسيين فاستيقظت في نفوسهم عزة الإيمان، ومواريث الجهاد، فأبوا أن يستكينوا وأن يذلوا.

ويضيف الطنطاوي: «هذه سنة المستعمرين في كل زمان ومكان، عملهم قطع رابطة الإيمان بين المسلمين، وربطه بروابط الجاهلية، قانونهم (فرّق تَسُدْ) وعملهم كسر الحزمة عوداً عوداً، لما عجزوا عن كسرها جملة، ولكن لا تخافوا فالذي عقدته يد الله، لا تحله يد البشر، فالقانون الإلهي ***إنما المؤمنون إخوة***. الحجرات: ١٠. لا ينسخه قانون (الوطنية) ولا (القومية) ولا الروابط الحزبية والعقائدية البشرية، ولا تميعه وتضيعه الدعوة (الأممية) و(الإنسانية) فالإسلام حق بين باطلين: بين القومية وبين الأممية».

في منتصف عقد الأربعينيات من هذا القرن الميلادي، وهو تاريخ النضال السوري عندما هبت سورية من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها للتحرر والحرية وطرد القوات الأجنبية الفرنسية والبريطانية من أراضيها؛ تعرفت إلى أستاذنا الكبير علي الطنطاوي في جلسة صغيرة عقدت في مكتب أستاذي ومعلمي الأول في مهنة الصحافة نصوح بابيل صاحب جريدة الأيام ونقيب الصحافة السورية. ومن ذلك الحين أصبحت قريبًا من الشيخ الطنطاوي.

عشق الصحافة

لقد ذاق الشيخ الطنطاوي لذة العمل في الصحافة عاملاً فيها من داخلها، وبدأ الكتابة في مجلة الزهراء التي كانت المجلة الأدبية الأولى، لم يدخل يومًا حزبًا سياسيًا، ولم ينتسب إلى جماعة أو فرقة، ولا ربط فكره بفكر غيره، إلا أن يكون الله ألزمه باتباع رأيه وإطاعة أمره من مبلغ حكم الله أو حاكم مسلم لا يأمر بمخالفة شرع الله. لقد رفض الدعوة إلى القومية العربية المجردة عن الدين، والدعوة إلى لوحدة العربية على حساب الوحدة الإسلامية، ولبث ثابتًا على إسلامه وعقيدة الإسلام المنزلة على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، أسهم إلى حد كبير في إنشاء الجمعيات الإسلامية التي تعمل لنصرة الإسلام والمسلمين، وفي إنشاء اتحادات الطلاب، إذ لم تكن معروفة في الشام آنذاك.

قال عن احترافه مهنة الصحافة: «أما من حيث قرب هذه المهنة في نفسي، فهي أحب إليّ من كل مهنة مارستها، ولو خيرت الآن لاخترتها دون سواها، بشرط أن أكون أنا وحدي المشرف على المجلة، وأن أكون حرًا لا رأي فوق رأيي، ولا مكره لي على نشر ما لا أريده، أو طي ما أريده، وأن يكون معي من آتاه الله من المعرفة والإدراك ما يعينني به على عملي فيها، وأن يكون موافقًا لي لا مخالفًا، لا يرى الخطأ مني ويسكت عنه مجاملة لي، بل إنه ينبه إليه بالأسلوب المناسب في الوقت المناسب».

لفضيلة الشيخ الطنطاوي تجارب عديدة في مهنة الصحافة منذ عام ١٩٢٦م، ونشر العديد من المقالات في الأدب والاجتماع والثقافة والسياسة. فقد كتب في التاريخ القديم والأوسط والحديث والجغرافيا الطبيعية والسياسية والاقتصادية.

هندسة محكمة

لقد تمرس الشيخ الطنطاوي بالحياة العملية مبكرًا وذاق منها ألوانها، وخبر الناس أصنافًا وأجناسًا، كان صريحًا في كل مواقفه شجاعًا في كشف الأخطاء ومحذرًا من مغبة الضلال والسير في طريق الخطأ، يقول: «إن هذي الدنيا: ارتفاع وانخفاض، امتلاء وفراغ، فقر بعده غنى، وغنى قد يأتي بعده الفقر، لا العالي يبقى فوق، ولا الواطي تحت، ولا يدوم في الدنيا حال، والدولاب دوار.. الأحمق يظنها حظوظًا ومصادفات، والعاقل يدرك أنه عمل متقن، إنه يصف الحياة مثل الناعورة، فلا البناء الذي يحمل الناعورة أقامه الحظ، ولا حركتها بنت المصادفات، لكنها هندسة محكمة، وحساب دقيق.. ما يعطى أحد في هذه الدنيا ولا يحرم، ولا يعلو ولا يهبط، إلا الحكمة بالغة، وأمر مقدر، سطّره مُقَدِّره في كتاب، فمن اهتدى إلى هذه الحقيقة، واطمأن إلى أنه عادل لا يظلم، حكيم لا يعبث، سكن واستراح، ومن أنزل غضبه بخشب الناعورة، أو بحديدها، يحسب أنها هي أفرغت إناءه، وأراقت ماءه، عذب نفسه بها، ولم ينل منها منالاً..».

في الرابعة عشرة من عمره، وكان في السنة السادسة الابتدائية ألقى أول خطاب حماسي ارتجالي أمام طلاب مدرسته عندما أعلن أمر الحكومة الفرنسية المحتلة لسورية بوجوب خروج الطلاب لاستقبال المفوض السامي الجديد الجنرال «ويغان» الذي حل مكان الجنرال «غورو» قال في خطابه: بأن الفرنسيين أعداء ديننا ووطننا، وأنه لا يجوز أن نخرج لاستقبال زعيمهم..».

كانت هذه هي الخطوة الأولى التي صعد بها المنابر، ثم ألفته أعوادها وصار بعد من روادها، وعوقب بالتكدير من إدارة المدرسة، مع كسر علامة الأخلاق والسلوك.

كان شغل الشيخ الطنطاوي - رحمه الله - الدائم المطالعة، وكان لديه ذخيرة من المعلومات، لا يقوى على حمل أكثر منها فتى في سنه جمعها وحده من خارج المدرسة.. ولم يتخذ له يومًا رفيقًا من لداته، ولا صديقًا من أقرانه، وبحكم تربيته في بيت علم ودين، لم يعرف الطريق إلى شيء من اللهو الذي كان يلهو بمثله أمثاله، فلم يكن أمامه عمل ينفق فيه فضل وقته ويشغل به نفسه إلا المطالعة.. وكان يحفظ كل ما قرأه، وأكثر ما سمعه. لأن ذاكرته بصرية لا سمعية. كان واثقًا من ذاكرته، مشى في دراسته من أول يوم على الطريقتين معًا، طريقة المشايخ، وطريقة المدارس النظامية منذ الدراسة الابتدائية إلى أعلى الصفوف الجامعية.

لذلك كان يحرك جذوة الحق والهدى والنور في نفوس الناس، ويذكرهم بأمور دينهم ويلح عليهم في التنبه لكثير مما تحتاجه الحياة لتقويم الإصلاح، وكان يحتل مركز الصدارة التي ينبغي للدعوة إليها وتوضيحها للمسلمين.

إن الحديث عن الشيخ الطنطاوي يطول ويحتاج إلى مجلدات ومجلدات فهو لم يتزلف للظالمين وليس في مقالاته وكتبه سطرٌ فيه إزراء على العربية، ولا سطرٌ فيه خروج على الإسلام، ولم يكن قلمه لهيئة ولا جماعة ولا حزب.

ومنذ عام ١٣٧٩هـ وعام ١٩٥٩م كان يردد ويقول: «ولدعوة واحدة لي، بعد موتي، من قارئ حاضر القلب مع الله، أجدى علي من مئة مقالة في رثائي، ومئة حفلة في تأبيني، لأن هذه الدعوة لي أنا، والمقالات والحفلات لكتابها وخطبائها، وليس للميت فيها شيء..».

قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميْت
إنما الميْتُ.. ميّتُ الأحياء

فوداعًا أيها الصديق الكبير، وأيها العالم الشهير، رحمك الله وأسكنك جنات الخلود.. أنتم السابقون ونحن اللاحقون، وهذه سنة الحياة: *ولن تجد لسنة الله تبديلاً*. الفتح: ٢٣.

من مؤلفاته
وأعماله المنشورة

ـ الإسلام والحضارة المعاصرة
الرياض الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٥/١٩٨٥.
٢٤٧ - ٢٧١ص

ـ خواطر فلسطين والانتفاضة ودور المسلمين
إسبانيا، شركة الزاد، ١٤١٥/١٩٩٤.
١١٢ - ١١٥ص.

ـ أبو بكر الصديق
جدة، دار المنارة، ١٤٠٦/١٩٨٦.
٣٢٦ص.

ـ أحمد بن عرفان الشهيد
دمشق، دار الفكر، ١٤٠٨/١٩٨٨.
٤٠ص

ـ أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر
بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣/١٩٨٣.
٤٨٦ص

ـ الإمام النووي
دمشق، دار الفكر، ١٤٠٨/١٩٨٨.
٦٣ص

ـ الجامع الأموي
جدة، دار المنارة، ١٤١٠/١٩٩٠.
٩٦ص

ـ القاضي شريك
دمشق، دار الفكر، ١٤٠٨/١٩٨٨.
٤٠ص

ـ القضاء في الإسلام
جدة، دار المنارة، ١٤٠٨/١٩٨٨م.
٢٩ص

ـ بغداد: مشاهدات وذكريات
جدة، دار المنارة، ١٤١٠/١٩٩٠.
١٥٥ص

ـ تعريف عام بدين الإسلام
دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢/١٩٨٣م.
٣١٥ص

ـ حلم في نجد
الرياض، دار الأصالة، ١٤٠٣/١٩٨٣.
٤٠ص

ـ دمشق: صور من جمالها، وعبر من نضالها
دمشق، دار الفكر، ١٤٠٧/١٩٨٧.
١٦٠ص

ـ ذكريات
جدة، دار المنارة، ١٤٠٧/١٩٨٧.
٣٢٠ص

ـ رجال من التاريخ
بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢/١٩٨٢
٢٤٣ص

ـ زيت الزيتون بين الطب والقرآن
جدة، دار المنارة، ١٤١٣/١٩٩١.
١٠٦ص

ـ صور وخواطر
بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ - ١٩٨٢.
٣٠١ص

ـ طرق الدعوة إلى الإسلام
جدة، دار المنارة، ١٤١١/١٩٩٠.
٢١ص

ـ طريق الجنة وطريق النار
مكة المكرمة، مكتبة المنارة، ١٩٨٨/١٤٠٨.
٢٠ص
ـ عبدالرحمن بن عوف
دمشق، دار الفكر، ١٩٨٨/١٤٠٨.
٤٠ص
ـ عبدالله بن المبارك
دمشق، دار الفكر، ١٩٨٨/١٤٠٨.
٣١ص
ـ عبقرية خالد بن الوليد العسكرية
جدة، دار المنارة، ١٩٨٦/١٤٠٦
٦٤ص
ـ فصول إسلامية
جدة، دار المنارة، ١٩٩٠/١٤١١.
٢٧١ص
ـ فكر ومباحث
مكة المكرمة، مكتبة المنارة، ١٩٨٨/١٤٠٨
٣١٤ص
ـ في سبيل الإصلاح
مكة المكرمة، مكتبة المنارة، ١٩٨٧/١٤٠٨.
٣١٤ص
ـ قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة
جدة، مكتبة السوادي للتوزيع، ١٩٩١/١٤١٣.
٣٧٧ص
ـ قصتنا مع اليهود
جدة، دار المنارة، ١٩٩٠/١٤١١.
٣١ص
ـ قصص من الحياة
دمشق، دار الفكر، [د.ت].
٣٢٣ص
ـ قصة حياة عمر
جدة، دار المنارة، ١٩٨٨/١٤٠٨.
٤٦ص
ـ مع الناس
جدة، دار المنارة، ١٩٨٩/١٤٠٩.
٣٢٣ص
ـ مقالات في كلمات
دمشق، دار الفكر، ١٩٨٤/١٤٠٤
٣٥٧ص

ـ من شوارد الشواهد
جدة، دار المنارة، ١٩٨٨/١٤٠٨.
٤٦ص
ـ من غزل الفقهاء
جدة، دار المنارة، ١٩٨٨/١٤٠٨.
٢١ص.
ـ من نفحات الحرم
دمشق، دار الفكر، ١٩٨٠/١٤٠٠.
١٤٤ص
ـ نحو أسرة مسلمة: السبيل إلى أسرة أفضل
بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٦/١٤٠٦.
١٤٣ص
ـ هتاف المجد
دمشق، دار الدعوة، ١٩٦٠/١٣٧٩.
٣٣٧ص
ـ الإمام النووي
دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩/١٣٩٩.
٦٢ص
ـ التاجر الخراساني
دمشق، دار الفكر، ١٩٨١/١٤٠١.
٤٢ص
ـ المجرم و مدير الشرطة
دمشق، دار الفكر، ١٩٨٣/١٤٠٢.
٥٣ص
ـ قصة الأخوين
دمشق، دار الفكر، ١٩٨١/١٤٠١.
٤٦ص
ـ يا بنتي ويا ابني
جدة، دار المنارة، ١٤٠٧.
٤٧ص
ـ فتاوى علي الطنطاوي
جدة، دار المنارة، ١٩٨٥/١٤٠٥.
ـ من حديث النفس
دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢ ـ ١٩٨١.
٣٣٨ص
ـ نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب
الطائف، نادي الطائف الأدبي، ١٩٧٧/١٣٩٧.
١٣٩ص